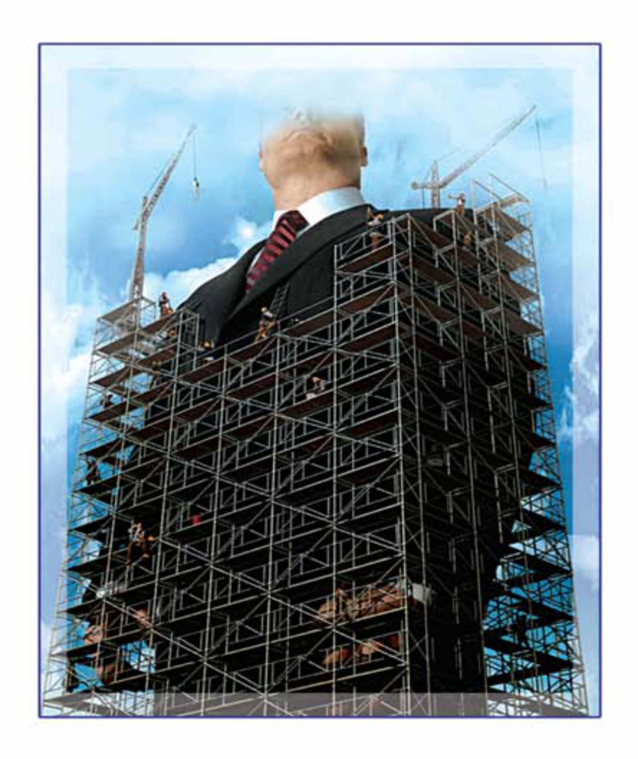
النهر الجاري

حكم وروائع من واقع الحياة



محمد بن عبدالله بن محمد الفريح





يعيش الإنسان في هذه الحياة في تقلبات وظروف مختلفة؛ يكون فيها أحياناً في قمة النشوة والانشراح، وفي أحايين أخرى في درك اليأس والقنوط والإحباط؛ بعض الظروف تتطلب منه القرار السريع الحازم الجازم، وبعضها يحتاج إلى الأناة والتمهل والتفكر، بعض أوقاته رائعة جميلة جمال زهور الربيع، وبعضها باردة برودة ثلج الشتاء، وأخرى ساخنة سخونة القيظ في اليوم الصائف، وأخرى فاترة مترددة مصفرة اصفرار أوراق الأشجار في الخريف، وفي هذا يقول الشاعر:

فيومٌ عَلَيْنا ويومٌ لنا ويومٌ نُسَاءُ وَيومٌ نُسَرّْ

وهذا الكتاب هو الإصدار الثاني من **سلسلة القرار الصحيح**؛ هذه السلسلة التي فيها من القصص البديعة، والتجارب المحكمة الرفيعة، والنوادر والفرائد، القصة تفضي بالتجارب للمثل، والمثل يرفل في أنيق المفرد البسيط الواضح، تهنؤك سرعة البديهة مع حسن التصرف، وفهم الأمور فهماً صحيحاً لا لبس فيه ولا مغالطة.

وقد حرص المؤلف جاهداً على التذكير بأهمية التريث وعدم التعجل في اتخاذ القرار أو إصدار الأحكام من زاويا ضيقة، ويتجلى ذلك في تنوع القصص والأحداث الواردة فيه من ثقافات ومشارب مختلفة؛ ليعطي للقارئ مساحة واسعة من التفكير قبل اتخاذ القرار المناسب.

الناشر

صدر من سلسلة القرار الصحيح (فن إدارة المواقف)



موضوع الكتاب: الأدب العربي

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com

النهر الجاري

حكم وروائع من واقع الحياة

جمع وإعداد

محمد بن عبدالله بن محمد الفريح



ⓒ **مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريح، محمد عبدالله

النهر الجاري، حكم وروائع من واقع الحياة./ محمد عبدالله الفريح.-

الرياض، ١٤٣٢هـ

٣٢٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٦-١٠٦-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الأدب العربي ـ مجموعات　　　أ. العنوان

ديوي ٨١٠,٨　　　رقم الإيداع: ٤٩١ / ١٤٣٢

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

الرياض – شارع العليا العام – جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ – ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض – العليا – تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ – ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم

للمزيد عن المؤلف وللتواصل معه يرجى زيارة الآتي:
http://www.facebook.com/profile.php?id=100001369173669
http://www.linkedin.com/profile/edit?trk=hb_tab_pro_top
http://twitter.com/settings/profile
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85

للاشتراك في قناة القرار الصحيح
أرسل ١٧ إلى ٥٥١١

للتواصل مع المؤلف
abo.ayaad@gmail.com
malfriah@obeikan.com.sa

إهداء

إلى

كل من كان له تأثير إيجابي في هذه الحياة..

كل سعاة الخير والفضيلة أينما كانوا وحيثما وجدوا..

كل من بذل النفس والنفيس لإسعاد الإنسانية وإنقاذ البشرية..

أهدي عملي هذا المتواضع .

المؤلّف



مُقَدِّمة

كان القَصَصُ الهادف -ولا يـزال- يشنِّف منّا الآذان، ويأخذ منّا الألبـاب، ويحلق بالخيال بعيدًا في سياحات أثيرة عـبر الماضي والحاضر والمستقبل؛ لـذا فما أشبه وقع الكلمة المفتاحية للقَصَـص: «كان يا ما كان ....، ويحكى أن...» على الآذان بالسحر، إذ تستقطب إليها النفوس، وتمتلك العقول، وتستحوذ على المشاعر والأحاسيس، فتذهب بها كل مذهب.

ولمـا كان للقَصَص ذلك التأثير الهائـل، والمكان الرائع، فقد يُستخدم أداة طيعة، وآلية ناجعة لترويج فكرة، أو الإقناع بقضيـة، أو طـرح عِـبْرة وحكمة، ومـن ثم رأينا هـذا المنحى الأخـير غاية نسعى إليها من وراء طـرح طائفة من القِصَص التـي تجري الواحدة إثـر الأخرى، وكأنهـا النهر الجاري بين دفتي هــذا السِّفر؛ لعلها تجـد قلوبًا عامـرة، وآذانًا مصغية، ونفوسًـا محبة للخير، تقتفي أثره، وتستقصي خبره في الشرق والغرب، وفي الصحة والمرض، ولدى القريب والبعيد، والصالح والطالـح، و...؛ إذ ديدن العقلاء البحـث عن النافع أنّى كان، بغض النظر عن زمانه أو مكانه، أو حاله، أو مآله،....

وقـد جاء القَصَص في القـرآن الكريم، بما تضمنه من عـبر وعظات ودروس هاديًا إلى الأقوم من السلوك، ومرشدًا

إلى الأفضل من الأخلاق، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، فمما لا شك فيه أن ذلك النهج القصصي هو أحسن وسيلة لتربية الإنسان وتهذيب نفسه؛ ليعيش سويًّا في سلوكه، مؤديًا رسالته في هذه الحياة، مستضيئًا بتجارب الآخرين، سواء في الزمن الماضي البعيد أو الحالي القريب.

ولكن هذه التربية التي تتبنى القِصَص الهادفة نهجًا، بأسلوبها الجذاب، وسردها المشوق؛ لغرس الفضائل في النفوس، وزرع المُثُل في القلوب من الذي يستضيء بها، وينتفع منها؟!

حقيقة الأمر، إن الذي ينتفع من ذلك هو كل من كان له قلب سليم على شاكلة: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤]، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٣] ومن آمن ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، و﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الصافات:٨٤]، و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:٢٨] و﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، و﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات:٣]، و﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة:٢٢]، و﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج:٤٦]؛ إذ

إنه «**في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

وإنني لأربأ بإنسان كرمه الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] وخلقه في أحسن صورة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وشهد بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن منهجًا ودستورًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً، وبالكعبة قبلةً، وبالجنة جزاءً للمطيعين، وبالنار عذابًا للعاصين أن يكون من إخوان هذا الطراز الثاني من الناس؛ لذا فليشمِّرْ كلٌّ منا عن ساعد الجِدِّ، وليكن نصب عينيه أن يكون من أصحاب الصنف الأول، ممن لهم قلوب حية نابضة، إن سمعت الموعظة أرعتها سمعها، وعملت بها، وإن رأت قصة هادفة، ملؤها حكمة تذيعها، وعِبْرة تعلنها كان شعارها: سمعنا وأطعنا، ولسوف نعمل وفق ما قرأنا.

وبعد، فها هو ذا «**النهر الجاري**» أضعه بين أيدي القراء، وقد أصبح بنعمة الله حقيقة واقعة؛ راجيًا أن يلقى لديهم حسن القبول، وألا يضنوا عليَّ بأي ملاحظة أو تصويب، فالعصمة والكمال لله وحده، والمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

ولا يفوتني قبل اطراح القلم، وقبل أن يجف المداد أن أزجي آيات الشكر والعرفان إلى:

- الدكتور/ **حسن كمال محمد محمد** الذي كان له إسهام يذكر فيشكر في التحرير الأسلوبي.

- والشيخ/ **صبري سلامة شاهين** الذي صنع هوامش الكتاب، فشكر الله له.

- والأستاذ/ **أحمد رمضان علي** المراجعة اللغوية والإملائية.

- والأستاذ/ **خالد أحمد محمد البحيري** الذي تولى تبعة الصف والإخراج.

- والأستاذ/ **محمد فياض الرختوان** الذي صمم الغلاف.

- والأستاذ/ **محمود عبود الصالح** الذي كان له جهد مشكور في المراجعة الفنية والإشراف العام، حتى خرج الكتاب إلى النور بهذه الحلة القشيبة التي أراها مفخرة يحق لي أن أعتز بها وأفاخر.



الهدية

دُعي رجل إلى حفل زفاف في أحد الفنادق، ولما وصل إلى المدخل وجد بابين: الأول مكتوب عليه لأهل العريس، والثاني مكتوب عليه لأهل العروسة، فدخل من باب أهل العريس، ومشى خطوتين، فلقي بابين: الأول مكتوب عليه للرجال، والثاني مكتوب عليه للنساء، فدخل من باب الرجال، ومشى خطوات، فلقي بابين: الأول مكتوب عليه لمن يحمل هدية، والثاني مكتوب عليه لمن لا يحمل هدية.

وبما أنه لا يحمل هدية، فقد دخل من باب لمن لا يحمل هدية، وفجأة لقي نفسه في الشارع! فلو طُبّق ذلك عندنا لوجدنا نصف النساء في الشارع.

الحكمة

تهادُوا تحابُّوا[1].

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/٩ رقم ٦١٤٨) والبيهقي في سننه الكبرى (١٦٩/٦) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (رقم ١٦٠١) وصحيح الجامع (رقم ٣٠٠٤).



المرأة والفقيه

سمعت امرأة أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعن من تغير خلقتها من النساء، فتفرق بين أسنانها، وترقق حاجبيها للزينة. فذهبت إليه، وسألته عن ذلك، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في كتاب الله!

فقالت المرأة في دهشة واستغراب: لقد قرأت القرآن الكريم كله، لكني لم أجد فيه شيئًا يشير إلى لعن من يقمن بعمل مثل هذه الأشياء.

وهنا ظهرت حكمة الفقيه الذي يفهم دينه فهمًا جيدًا، فقال للمرأة: أما قرأت قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؟! فأجابت المرأة: بلى، فقال لها: إذًا، فقد نهى القرآن عنه أيضًا[١].

الحكمة

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٤٥/٣ رقم ٥١٠٣) والطبراني في الكبير (٢٩١/٩ رقم ٩٤٦٦) وأصل الحديث عند البخاري (رقم ٥٥٩٩) دون ذكر قصة المرأة. وصحح الألباني اللفظ المذكور في مشكاة المصابيح (رقم ٤٤٣١).

الحق والباطل

سأل أحد الناس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: ما تقول في الغناء؟ أحلال أم حرام؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أقول حرامًا إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حرام. فقال الرجل: أحلال هو؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا أقول حلالاً إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حلال. ونظر ابن عباس رضي الله عنهما إلى الرجل، فرأى على وجهه علامات الحيرة، فقال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل. وهنا قال ابن عباس رضي الله عنهما: اذهب، فقد أفتيت نفسك.

الحكمة

«استفت نفسك، وإن أفتاك المفتون»[1]، فالحق أبلج، والباطل لجلج[2].

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٩٤٨).

(٢) انظر: لسان العرب (٢/٢١٦)، ومختار الصحاح ص٢٤٧.



السؤال الصعب

جاء شيخ كبير إلى مجلس الإمام الشافعي، فسأله: ما الدليل والبرهان في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. فقال الشيخ: وماذا أيضًا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ. قال الشيخ: وماذا أيضًا؟ قال: اتفاق الأمة. قال الشيخ: من أين قلت: اتفاق الأمة؟

فسكت الشافعي، فقال له الشيخ: سأمهلك ثلاثة أيام. فذهب الإمام الشافعي إلى بيته، وظل يقرأ، ويبحث في الأمر.

وبعد ثلاثة أيام جاء الشيخ إلى مجلس الشافعي، فسلم وجلس. فقال له الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى هداني الله إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. فمن خالف ما اتفق عليه علماء المسلمين من غير دليل صحيح أدخله الله النار، وساءت مصيرًا. فقال الشيخ: صدقت(١).

الحكمة

«يد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار»(٢).

(١) ذكر هذه الحكاية الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/٨٣-٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢١٦٧) وقال: غريب، وصحح الألباني الجزء الأول من الحديث، بينما ضعف باقيه في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٨).



الاتصال بالهاتف

دخلت على مريض في المستشفى، فلما أقبلت عليه، فإذا هو رجل قد بلغ من العمر أربعين سنة، من أنضر الناس وجهًا، وأحسنهم قوامًا، لكن جسده كله مشلول، لا تتحرك منه ذرة، إلا رأسه وبعض رقبته، فلو أخذت فأسًا وقطّعت جسده من رجليه إلى صدره لما شعر بشيء، دخلت غرفته، فإذا جرس الهاتف يرن، فصاح بي، وقال: يا شيخ، أدرك الهاتف قبل أن ينقطع الاتصال.

فرفعت سماعة الهاتف، ثم قربتها إلى أذنه، ووضعت مخدة تمسكها، وانتظرت قليلاً، حتى أنهى مكالمته، ثم قال: يا شيخ، أرجع السماعة مكانها، فأرجعتها مكانها.

ثم سألته: منذ متى وأنت على هذا الحال؟ فقال: منذ عشرين سنة، وأنا مشلول على هذا السرير!!

الحكمة

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى.



طعامه حليب

مرّ شخص بغرفة في مستشفى، فإذا فيها مريض يصيح بأعلى صوته، ويئن أنينًا يقطع القلب، فدخل عليه، فإذا بجسده كله مشلول، ويحاول الالتفاف، فلا يستطيع.

فسأل الممرض عن سبب صياحه؟ فقال الممرض: هذا الرجل مصاب بشلل تام، وتلف في الأمعاء، وبعد كل وجبة غداء أو عشاء يصيبه عسر هضم.

فقال ذلك الشخص للممرض: لا تطعموه طعامًا ثقيلاً، جنبوه أكل اللحم، والرز، فقال الممرض: أتدري ماذا نطعمه؟ والله لا ندخل إلى بطنه إلا الحليب من خلال الأنابيب الموصلة بأنفه، وكل هذه الآلام؛ ليهضم هذا الحليب!

الحكمة

احمد الله أن عافاك مما ابتلى به غيرك.



التصفح

مررت بغرفة مريض مشـلول، لا يتحرك منه شـيء أبدًا، فإذا به يصيح في المارّين.

فدخلـت عليه، فرأيت أمامه لوح خشـب، عليه مصـحف مفتوح، وهو منذ سـاعات، كلما انتهى من قراءة صفحتين منه أعـاد قراءتهما؛ لأنه لا يسـتطيع أن يقلب الصـفحة، ولا يجد أحدًا يساعده على قلبها.

فلما وقفت أمامه قال لي: لو سـمحت اقلب لي الصفحة، فقلبتهـا، فتهلل وجهه، وأخذ يقـرأ، فهالني الموقف، وانفجرت باكيًا بين يديه، متعجبًا من حرصه وغفلتنا!

الحكمة

لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس، ولا مستحيل إذا وُجِد الأمل.



أتمنى السجود

دخل شخص على رجل مقعد مشلول تمامًا في إحدى المستشفيات لا يتحرك منه إلا رأسه، فلما رأى حاله رأف به، وقال: ماذا تتمنى؟ ظن أن أمنيته الكبرى أن يُشفى ويقوم ويقعد، ويذهب ويجيء.

فقال المريض: أنا عمري قرابة الأربعين، وعندي خمسة أولاد، وعلى هذا السرير منذ سبع سنين، ووالله لا أتمنى أن أمشي، ولا أن أرى أولادي، ولا أن أعيش مثل الناس!

فقال: عجبًا، إذًا ماذا تتمنى؟!

قال: أتمنى أني أستطيع أن ألصق هذه الجبهة على الأرض، وأسجد لله عز وجل كما يسجد الناس!

الحكمة

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها

فإنّ المعاصِي تزيلُ النِّعم[1]

---

(١) هذا البيت من بحر المتقارب، وينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكر البيت المناوي في فيض القدير (٢/١١٠).



الأذان

قال أحد الأطباء: إنه دخل في غرفة الإنعاش على مريض، فإذا به شيخ كبير على سرير أبيض، وجهه يتلألأ نورًا، قال: فأخذت أقلب ملفه، فإذا به قد أُجريت له عملية في القلب، فأصابه نزيف خلالها، مما أدى إلى توقف الدم عن بعض مناطق الدماغ، فأصيب بغيبوبة تامة، في حين الأجهزة موصلة به، وقد وضع على فمه جهاز التنفس الصناعي، يدفع إلى رئتيه تسعة أنفاس في الدقيقة، وقد كان إلى جانبه أحد أولاده، فسألته عنه، فأخبرني أن أباه مؤذن في أحد المساجد منذ سنين.

أخذت أنظر إليه، وحركت يده، وحركت عينيه، وكلمته، فإذا به لا يدري شيئًا، فقد كانت حالته خطيرة، آنذاك اقترب ولده من أذنه، وصار يكلمه، وهو لا يعقل شيئًا، فبدأ الولد يقول، يا أبي، أمي بخير وإخوتي بخير، وخالي رجع من السفر، واستمر الولد يتكلم، والأمر على ما هو عليه، فالشيخ لا يتحرك، والجهاز يدفع تسعة أنفاس في الدقيقة!!

وفجأة قال الولد: والمسجد مشتاق إليك، ولا أحد يؤذن فيه إلا فلان ويخطئ في الأذان، ومكانك في المسجد فارغ، فلما ذكر الولد المسجد والأذان اضطرب صدر الشيخ، وبدأ يتنفس، فنظرت إلى الجهاز، فإذا به يشير إلى ثمانية عشر نفسًا في

الدقيقة، والولد لا يدري، ثم قال الولد: وابن عمي تزوج، وأخي تخرج، فهدأ الشـيخ مرة أخرى، وعادت الأنفاس تسعة يدفعها الجهـاز الآلي، فلمـا رأيت ذلـك أقبلت عليه حتـى وقفت عند رأسه، فحركت يده وعينيه وهززته، فإذا بكل شيء ساكن، بلا حراك، ولا يتجاوب معي أبدًا، فتعجبت!

قربت فمي من أذنه، ثم قلت: الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، وأنا أسترق النظر إلى جهاز التنفس، فإذا به يشير إلى ثمانية عشر نفسًا في الدقيقة!

الحكمة

بالهمة العالية تصل إلى القمة السامقة.

(ولـه)

استبشـر رجل بحمل زوجته، وبعد الولادة سـمَّى المولود: (ولـه) وبعـد تسـميتها دبَّت في البنـت حالة غـير طبيعية من البكاء الهستيري.

واسـتمرت هذه الحالـة أسـبوعًا، فلم يتركـوا طبيبًا إلا وذهبـوا إليه، فأجمـع الأطباء على أن البنت ليسـت مصـابة بأي مرض من الأمراض، فحاروا أشـد الحـيرة، فما كان من أحد النـاس إلا أن دلّهم على شـيخ عندما عرف حالتها، وأنهم عرضـوها على الأطباء، فقالوا: إنها سـليمة، قال الشـيخ: ما اسـمها؟ قالوا: اسـمها: (وله)، فقال لهم الشـيخ: هذا داؤها غيِّروا اسمها، ولاحظوا الفرق بإذن الله.

وبالفعل عندما غيَّروا الاسم، سبحان الله بقدرته رجعت البنت إلى حالتها الطبيعية! هل تعلمون لماذا؟ لأن اسـم (وله) معناه (شيطان الخلاء)؛ أي الشيطان الموجود في دورات المياه - أعزكـم الله -.

الحكمة

اسـم الإنسان قـد يجرّ عليه ويـلاً وثبورًا، وقد يعـود عليه خـيرًا ونعيمًـا؛ فأحسنوا اختيـار أسماء أبنائكم، وليكن الاسم حسنًا طيبًا.



شرف الأمومة

هي: تضع مولودها بعملية قيصرية، وبعد أسبوع، تجدها واقفة مقصوفة الظهر، وهي تحمل رضيعها بيد، وباليد الأخرى تقلب الطبخة، وفي الوقت نفسه تعتني بأطفالها الآخرين، تهيئهم للمدرسة، وترتب المنزل، وتحضر لزيارة أهل الزوج على العشاء.

هو: عند أول عطسة إيذانًا ببدء نزلة برد عارضة، تجده قد لبسه الاكتئاب، فيمتنع عن مزاولة أي نشاط، ويأخذ إجازة مفتوحة من عمله، ويطلب لنفسه وجبات خاصة، وأدوية خاصة، ومعاملة خاصة، ويتأفف، ويتأوه ليلاً ونهارًا. (وبعد كل هذا يتهم الرجل المرأة بالدلع...!).

هي: تتابع مسلسلاً في التلفاز، بينما تتصفح مجلة، وتحلّ واجب الحساب مع ولدها، وتناقش زوجها في العملية الانتخابية، وترد على الهاتف؛ لتهدئ أختها التي تشاجرت مع زوجها، وتؤنب ابنتها المراهقة على (طول لسانها) فيما تتابع كل ما سبق بالتركيز نفسه.

هو: يريد أن يقرأ خبرًا إعلانيًا في جريدة، فيصرخ: «سكووووت.... خلوني أركز».



هي: تذهب إلى وظيفتها صباحًا، وتعود ظهرًا؛ لتحضر الغداء، وتذهب إلى اجتماع أولياء الأمور؛ لتتحدث مع المدرس عن وضع ابنها الدراسي، وتأخذ ابنتها إلى طبيب الأمراض الجلدية؛ لحل المشكلة الأزلية (حب الشباب)، وفي طريق عودتها تمر على الجمعية، تحضر التموين، وتجلب ملابس «المسيو» من المغسلة، وتزور أمها خطفًا، وتعود بوجه مبتسم وروح مرحة؛ لتكمل واجباتها الزوجية.

هو: يذهب الى عمله صباحًا، ويعود مكفهرًا، غاضبًا، لاعنًا مديره والوظيفة والمرور. يجد كل شيء جاهزًا. يتغدى، وينام، ويقوم ليخرج إلى الديوانية، يعود لتناول العشاء، يشاهد التلفاز (مركزًا) على أي برنامج ينتهي بكلمة «أكاديمي». أخيرًا يذهب إلى فراشه، وهو يقول: «أنتم ما تحسون بتعبي»!

هي: لا تنام قبل أن تطمئن على البيت كله، وتضع رأسها المثقل بالهموم على المخدة، فتلاحقها الهواجس والمشكلات والتساؤلات: مرض الولد، ودراسة البنت، وموعد طبيب الأسنان للزوج، ومباركة الخالة، وعزاء الجارة، وماذا نطبخ غدًا... وطارت النومة.

هو: يغفو قبل أن يصل رأسه إلى المخدة. ويعلو شخيره ليوقظ أهل البيت، وأحيانًا الجيران. (ويقوم صباحًا ليقول: «تعباااااان، ما نمت أمس زين»).



هــي: تعيش علــى الخس والجزر، تواظــب على الريجيم والأكل الصحي والرياضة، لا لشيء إلا لتبدو جميلة في عينيه.

هو: يعيش ليأكل، ينمو أفقيًا، بنســبة بروز واضــحة حول محيط الكرش، مرددًا ببساطة مقولة: (الرجل ليس بشكله)!

الحكمة

لــو جردنــا المــرأة مــن كل شــيء، لكفاهــا شرف الأمومة.



الخشوع

قال لي: أتدري من علَّمني الخشوع في صلاتي، ووقوفي أمام ربي -سبحانه وتعالى- بخضوع، حتى أصبحت أتذوَّق لذة الصلاة، وأجد فيها الراحةَ، كلَّ الراحة من العناء؟ إنه رجلٌ نصرانيٌّ حضرت له محاضرةً خاصةً باللياقة البدنيَّة، ألقاها في النادي الرياضي الذي أعمل فيه.

قلت له: كيف حدث ذلك؟ قال: استضاف النادي الرياضي رجلاً رياضيًا عريقًا من إحدى الدول الأوروبية متخصِّصًا في اللياقة البدنية ووسائلها وعلاقتها بمخّ الإنسان ونفسه، وحضرت تلك المحاضرة؛ شغوفًا بما سأسمع من ذلك الرجل الشهير في مجاله عن أساليب اللياقة البدنية ووسائلها، وكان كلّ همِّي أن أستعين بما أسمع منه على تدارك ما بقي لي من لياقة بدنية قضيت على أكثرها - مع الأسف - بما ألتهمه من وجباتنا وولائمنا الدَّسمة التي لا تزال ترى (المفطَّح) رمزًا للجود والكرم.

وقد كانت تلك المحاضرة ناجحةً بما طرحته من معلومات مهمة في هذا المجال، ولكنَّ المعلومة الأهم هي التي علَّمتني معنى الخشوع في صلاتي، هذا المعنى الذي لا يكاد يدركه ويعيشه إلا القليل من المليار مسلم الذي لا يزال معظمه بعيدًا عن حقيقة ديننا العظيم.

قلت لصاحبي: دعك من الاستطراد، وحدّثني عن درس الخشوع الذي تعلَّمته من النصراني. قال: تحدَّث الرجل عن العلاقة بين

أعضاء جسم الإنسـان، والمخ، وما فيه من عجائب، وأشار إلى أهمية اللياقة البدنية في حصـول الاسترخاء الذهني، وأهمية استرخاء المخ في اللياقة البدنية، وقال: إن هناك طريقتين من طرق الحصـول على الاسـترخاء الذهنـي، والرَّاحة النفسـية الكاملة التي تجعل الإنسـان حيويًا قادرًا على الإبداع، والعطاء المتجدِّد جسديًا وروحيًا.

الطريقـة الأولى تبـدأ مـن الجسـم إلى المـخ، وهـي طريقة (المساج) وتمرين الأعضاء بأساليب متعارف عليها عالميًا، فأعضاء الجسـم إذا اسـتخدمنا معهـا التماريـن الطبيعيـة، تخلصـت من التشنج، وأصبح جريان الدورة الدموية فيها هادئًا طبيعيًا، وفي ذلك تأثير إيجابي في المخ، يجعل صاحبه يشعر بالراحة والاسترخاء.

أما الطريقة الثانية - وهي الأهم - فهي تبدأ من المخ إلى الجسم، ولا تتم إلا إذا استراح مخ الإنسان وهدأت نفسه، وتحقق له التركيز الذهني الذي يريح ذهنه من التشتت والاضطراب، ثم قال المحاضـر: أتدرون ما أفضل وسيلة لتحقيق الطريقتين في آن واحـد؟ قـال: إنها الصـلاة عند المسـلمين، بشـرط أن يتحقق فيها الأداء الكامل لحركاتها الجسدية، وتركيز الذهن الكامل الذي يسمى (الخشوع في الصلاة).

قال صـاحبي: هنا بدا الانبهار على وجوهنا جميعًا نحن المسـلمين، وبدا أثر إحساسـنا بما نحن عليـه من التفريط في هذه الكنوز العظيمة التي يحتوي عليها ديننا العظيم، لقد أكد لنا المحاضـر أن أنموذج الصـلاة عند المسـلمين هو الأنموذج الفريـد الذي يحقـق معنى الراحة النفسـية الكاملة التي تؤثر

تأثيرًا كبيرًا في ذهن الإنسان وتفكيره وشعوره وراحته النفسية، وفي نشاطه الجسدي ولياقته البدنية.

هنا تذكرت معنى الراحة فيما ورد عن رسولنا ﷺ من قوله لبلال رضي الله عنه: «**أرحنا بها يا بلال**»[1] أي بالصلاة، وتذكرت ما كنَّا نتعلمه، ونحن صغار من شروط الصلاة وواجباتها، وما كان يكرره المعلم على مسامعنا من كلمة: (الطمأنينة) في الركوع والسجود، بل تذكرت ذلك الرجل الإفريقي الذي صليت بجواره في الحرم المكي ذات يوم، فرأيت من سجوده وركوعه وخشوعه واستمتاعه بالقراءة والتسبيح في صلاته ما بهرني، حتى أشفقت عليه من طول الوقت الذي قضاه في ركعتي تحية المسجد، فعلمت أنه كان في غاية الراحة والمتعة ولذة العبادة.

نعم، يا صاحبي، لقد تعلَّمت من ذلك المحاضر النصراني معنى الخشوع في الصلاة، ومازلت أدعو له أن يمنَّ اللّه عليه باعتناق الإسلام.

الحكمة

خذ الحكمة والموعظة الحسنة من أي شخص في الشرق أو الغرب، قديمًا أو حديثًا[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٩٢) ولفظه: «**يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها**».

(٢) يروى في ذلك حديث وإن كان ضعيفاً، إلا أن معناه صحيح. «**الكلمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها**» أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٣٠٢).



اختبار السيدات

رجل على معرفة بثلاث نساء، فقرر الزواج من إحداهن، فأعطى كل واحدة منهن عشرة آلاف ريال، وانتظر ليرى ما ستفعله كل واحدة منهن بالمبلغ في اختبار لهن.

الأولى أنفقت المبلغ بأكمله على التجميل والملابس والمكياج والعطور، وجاءت في أحلى صورة، وقالت: إنها فعلت كل هذا لأجله ولأنها تحبه، فأعجب الرجل بما صنعت، والثانية اشترت له تلفازًا كبيرًا مع اشتراك في جميع القنوات الرياضية، فهي قنواته المفضلة، واشترت له بعض العطور الرجالية والملابس الفخمة، وقالت: إنها فعلت كل هذا؛ لأنها تحبه كثيرًا، فأعجب الرجل بما فعلت هي أيضًا.

أما الثالثة فاستثمرت المبلغ في السوق المالي، وبعد أسبوع ربحت أضعاف المبلغ، فأعادت له العشرة آلاف، واستثمرت البقية في حساب مشترك؛ لتؤمن مستقبلهما معًا؛ لأنها تحبه جدًّا، وتريد أن تقضي بقية العمر معه، وأعجب الرجل بهذه المرأة أيضًا.

وبعد تفكير عميق فيما فعلت كل واحدة بالمبلغ تزوج المرأة الأجمل!

الحكمة

«فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]، فالجمال زائل، والمال ذاهب.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٩٠) ومسلم (رقم ١٤٦٦).



كتيب التعليمات

جاءني مكفهر الوجه، ضــائق الصدر، ينفخ وكأن نارًا في صــدره يريدها أن تخرج، فقلت له: خيرًا إن شــاء الله؟! قال: ليتنــي لم أتزوج، كنت هانئ البال، مرتــاح الخاطر، قلت: وما يتعبــك في الــزواج؟ قال: وهــل غيرها؟! قلت: تعنــي زوجتك؟ قــال: أجل، قلت: وما تشــتكي منها؟ قال: قل: ماذا لا أشــتكي منهــا؟ قلت: تعني أن ما لا يرضــيك فيها أكثر مما يرضــيك؟ هز رأسه هزات متتالية، مؤيدًا، موافقًا.

قلت له: لعلك تشــتكي عدم انقيادها لك؟ نظر في عيني، وقــال: فعلاً، قلــت: وكثرة دموعهــا، حين تناقشــها وتحتدّ في جدالها؟ فظهرت الدهشة عليه، وهو يقول: نعم، تابعت: وكثرة عنادها؟ زادت دهشــته وقال: كأنك تعيش معنا! قلت: وتراجع اهتمامها بك بعد مضي أشهر الزواج الأولى؟ قال: كأنما حدثك عنها غيري! واصلت كلامي: وزاد تراجع اهتمامها بك، بعد أن رزقتمــا بالأطفال؟ قال: أنت تعرف كل شــيء إذًا؟! قلت: هوّن عليك يا أخي، واســمع مني، فهدأت مشــاعر الغضــب والحنق التــي بدت عليه، وحلّت عليه مكانها رغبة حقيقية واضــحة في الاستماع، وقال: تفضل.

قلت: حين تشــتري أي جهــاز كهربائي، كيف تســتعمله؟ قال: حسب التعليمات التي يشرحها صانعو هذا الجهاز. قلت:

حسنًا. وأين تجد هذه التعليمات؟ قال: في كتيب التعليمات المرفق بالجهاز. قلت: هذا جميل. لو افترضنا أن شخصًا اشترى جهازًا كهربائيًا، وورد في كتيب التعليمات المرفق به أنه يعمل على الطاقة الكهربائية المحددة بمئة وعشرين فولتًا فقط، ولكن قام مشتري الجهاز بوصله بالطاقة الكهربائية ذات المئتين وأربعين فولتًا، قاطعني: سيحترق الجهاز على الفور! قلت: لنفترض أن شخصًا يريد أن يشترك في سباق سيارات بسيارة يشير عداد سرعتها إلى أن أقصى سرعة لها هو ١٨٠ كيلو مترًا، والسيارات المشاركة الأخرى عدادها يشير إلى أن السرعة القصوى فيها ثلاث مئة كيلو متر.

قال بسرعة: لن يفوز في السباق. قلت: لنفترض أننا سألناه، فأجابنا بأنه سيضغط دواسة الوقود إلى آخرها، قال: لن ينفعه هذا، وليضغط بما يشاء من قوة، فإن السيارة لن تزيد سرعتها على ١٨٠ كيلو مترًا، قلت: لماذا؟ قال: هكذا صنعها صانعوها، قلت: وهكذا خلق الله المرأة! قال: ماذا تعني؟ قلت: إن الطبيعة النفسية التي اشتكيتها في المرأة هي التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- عليها، ولو قرأت طبيعة المرأة في كتيب التعليمات المرفق، وهو مخها، لما طلبت منها ما تطلبه من رجل!

قال: أي كتيب تعليمات تقصد؟ قلت: ألم تقرأ حديث رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من**

ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمُه كسرته، وإذا تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا»(١)
قال: بلى، قرأته، قلت: اسمح لي إذًا أن أقول: إن ما تطلبه من زوجتك يشبه ما يطلبه صاحب السيارة التي حددت سرعتها بـ ١٨٠ كيلومترًا في الساعة، قال: تعني أن زوجتي لن تستجيب لي، كما لن تستجيب السيارة لصاحبها الذي يضغط دواسة البنزين فيها؛ لتتجاوز سرعة ١٨٠ كيلومترًا المحددة لها؟

قلت: تقريبًا، قال: ماذا تعني بـ «تقريبا»؟ قلت: تأمل حديثه ﷺ إذ يخبرنا أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن هذا العوج من طبيعة المرأة، فإذا أراد الرجل أن يقيمه أخفق، وانكسر الضلع، قال: كما يحترق الجهاز الكهربائي المحددة طاقة تشغيله ١٢٠ فولتًا، إذا وصلنا به إلى طاقة كهربائية ذات ٢٢٠ فولتًا، قلت: أصبت. قال: ولكن ألا ترى أن هذا يعني نقصًا في قدرات المرأة؟ قلت: نقص في جانب، ووفرة في جانب. يقابلهما في الرجل، نقص ووفرة أيضًا، ولكن بصورة متقابلة، فنقص المرأة تقابله وفرة في الرجل ووفرتها يقابلها نقص في الرجل.

قال: اشرح لي نقصًا في ماذا، ووفرة في ماذا! قلت: عدّ معي إلى العوج الذي أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث، وحاول أن تتصور هل ترضع الأم طفلها، وهي منتصبة القامة؟! أو تلبسه ثيابه وهي منتصبة القامة، أو تضمه إلى صدرها، وهي منتصبة

---
(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٣١) ومسلم (رقم ١٤٦٨).



القامـةً؟ قال: يصـعب ذلك، فلا يمكن تصـور أم ترضـع طفلها إلا وهـي منحنية عليه، ولا تلبســه ثيابه إلا وهي منحنية عليه، ولا تضمه إلى صدرها إلا وهي منحنية عليه.

قلت: تصـور أي وضع من أوضاع رعاية الأم لطفلها، فلن تجدها إلا منحنية. قال: وهذا يفسر سر خلقها من ضلع أعوج، قلـت: هذه واحـدة. قال: والثانيـة؟ قلت: جميـع الألفاظ التي تحمـل العوج في اللغة العربية، تحمـل معنى العاطفة في الوقت نفسه. قال: وأين العوج في كلمة العاطفة؟ قلت: مصدر العاطفة «عَطَف»، ومن هذا المصـدر نفسه اشـتقت كلمة المنعطف، وهو المنحنـى كما تعلم، وفي لسـان العـرب: عطفت رأس الخشـبة فانعطف؛ أي حنيته، فانحنى والعطائف هي القسي، وهي جمع قوس، ألا ترى أن القوس يشبه في انحنائه الضلع؟ قال: سبحان الله! وهـل ثمة كلمـة أخرى يشـترك فيها معنى العـوج ومعنى العاطفـة؟ قلت: دونك الحنـان، ألا يحمل معنى العاطفة؟ قال: بلى. الحنان هو العطف والرقة والرأفة. قلت: وهو يحمل العوج أيضًا. تقول العرب: انحنى العود وتحنى: انعطف.

وفي الحديـث: «**لم يحـنِ أحـد منـا ظهـره**»[1]؛أي لم يثنـه للركـوع. والحنيـة: القوس. وهـا قـد عدنـا إلى القوس التي تشـبه في شـكلها الضـلع. قـال: زدني، زادك الله مـن فضـله، هـل هنـاك كلمـة ثالثة؟ قلت: هـل تعرف من الأحـدب؟ قال: مـن تقوس ظهره! قلـت: وهـا قد قلـت بنفسـك تقوس، واشـتققت مـن القوس فعلاً،

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٩٠) ومسلم (رقم ٤٧٤).

ووصفت به انحناء ظهر الأحدب. قال: ولكن أين معنى العاطفة في الأحدب؟ قلت: في اللغة: حدب فلان على فلان وتحدب: تعطف وحنا عليه. وهو عليه كالوالد الحدب، وفي حديث علي رضي الله عنه يصف أبا بكر رضي الله عنه: «وأحدبهم على المسلمين»[١]؛ أي أعطفهم وأشفقهم[٢].

قال: لا تقل لي: إن هناك كلمة رابعة، قلت: أليس الاعوجاج في الضلع يعني أنه مائل؟ قال: بلى. قلت: العرب تقول: الاستمالة: الاكتيال بالكفين والذراعين. قال: هذا يشير إلى العوج والانحناء، ولكن أين العاطفة؟ قلت: ألا ترى أن أصل الكلمة هو «الميل» والميل اتجاه بالعاطفة نحو الإنسان نحو شيء، تقول: أميل إلى فلان أو إلى كذا؟ وفي لسان العرب «الميل» العدول إلى الشيء والإقبال عليه. قال: حسبك، فما فهمت العوج في الضلع الذي خلقت عليه المرأة، كما فهمته الآن، فجزاك الله خيرًا. قلت: ويجزيك على حسن استماعك ومحاورتك، وسرعة استجابتك للحق.

الحكمة

«كل ميسَّر لما خلق له»[٣]، فالأعوج لمهمة لا يصلح سواه لها، والمستقيم لوظيفة لا ينفع غيره فيها، وسبحان الخالق هذا وذاك!

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/١٤-١٥ رقم ٣٩٨) والبزار في مسنده (٣/١٣٨ رقم ٩٢٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٧٥٥١) ومسلم (رقم ٢٦٤٩).



قيادة المرأة

في مقابلة تلفازية في قناة أمريكية مع أحد المشايخ الفضلاء، سأله المقدم: لم لا تتركون المرأة تقود السيارة؟ فرد الشيخ: الرئيس الأمريكي (بوش) هل كان يقود السيارة في شبابه؟

فقال المقدم: نعم. قال الشيخ: والآن يوم أن صار رئيسًا لأمريكا، هل يقود السيارة؟! قال المقدم: لا، بل لو أراد لمنعوه!

فقال الشيخ: ولم؟ قال المقدم: حماية له، وتكريمًا له أيضًا!

فقال الشيخ: ونحن كذلك نمنع المرأة من قيادة السيارة؛ حماية لها، وتكريمًا؛ حيث يقود بها أبوها وأخوها وابنها وزوجها!!

الحكمة

المرأة جوهرة مكنونة، ودرّة مصونة، «فرفقًا بالقوارير»[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦١٤٩) ومسلم (رقم ٢٣٢٣) ولفظه: «**يا أنجش، رويدك سوقك بالقوارير**».

لا تغضب

كان صديقي يهم بالجلوس في الدرجه الأولى في القطار المتجه من القاهرة إلى مدينة أسوان حينما وجد أن وضعية الكرسي الذي سيجلس عليه والكرسي الذي بجواره مقلوبة، ومن ثم، فإن هذين الكرسيين يواجهان الكرسيين اللذين خلفهما، فجلس، ولم يقم بتعديل وضعية الكراسي؛ لمجيء رجل في العقد السادس من العمر، يرتدي الملابس الريفية، يجلس على الكرسي المجاور له، ثم مجيء زوج شاب وزوجته، وكان يبدو عليهما أنهما حديثا الزواج، يجلسان على الكرسيين المواجهين لهما، ومع الأسف كانت الزوجة ترتدي بنطلون برمودة قصيرًا وبلوزة بحمالات، تكشف عن ذراعيها وجزء من صدرها.

لم يلقِ صديقي لمن بجواره بالاً، وانشغل بقراءة الجريدة التي معه، ثم فوجئ بالرجل الريفي المسن الذي تبدو عليه علامات الوقار والاحترام، يرتكز بكوع ذراعه على عظمة فخذه، واضعًا ذقنه على قبضة يده في مواجهة الزوجة التي تجلس على الكرسي المواجه له، ونظرات عينيه مصوبة نحو صدرها، تكاد تخترقه؛ لقرب المسافة، في صورة فجة تضايق الزوجة، وتثير غضب زوجها الذي غضب بالفعل، وقال للرجل: احترم نفسك، أنت رجل كبير عيب عليك ما تفعله، لو سمحت قم بتعديل وضعية الكرسي.

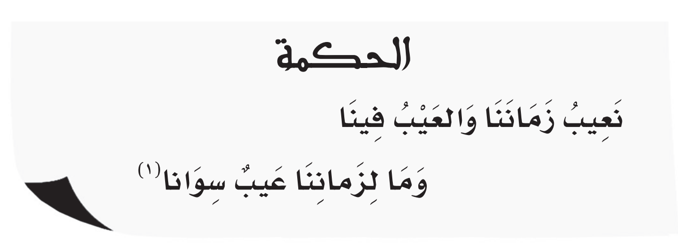
فما كان من الريفي إلا أن قال للزوج الغاضب: أنا لن أقول لك: احترم نفسك أنت، وعيب عليك تسمح لزوجتك بارتداء

(١) هذا لفظ حديث صحيح، أخرجه البخاري (رقم ٦١١٦).



ملابس تكشف جسمها، فأنت حر، حتى في أن تجعلها تمشي عارية، ما دمت أنت تقبل ذلك، ولكن سأقول لك: أنت سمحت لها بهذا اللبس؛ لنتفرج عليها، وها قد تفرجنا عليها، فلماذا أنت غاضب؟! كما أن ما هو مكشوف من جسم زوجتك وسمحت به يا بني، من حقنا أن نراه، وما هو مستور من جسمها من حقك وحدك أن تراه، وإن كان يغضبك أني أتفرج عن كثب، فذلك لضعف نظري، ولحرصي على أن أرى جيدًا!!

هنا لم ينبس الزوج ببنت شفة، وألجمته كلمات الريفي، واحمرّ وجه زوجته، خاصة بعد أن تعالت أصوات الركاب؛ تعبيرًا عن إعجابهم بالدرس الذي لقنه الرجل الريفي لذلك الزوج الذي لم يجد بدًّا من ترك مكانه وأخذ زوجته، ومغادرة عربة القطار.



الحكمة

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا

وَمَا لِزَمانِنَا عَيبٌ سِوَانا[1]

---

(١) هذا البيت من بحر الوافر، وينسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله. وذكره الحسن بن أحمد بن عبد الله في الرسالة المغنية (ص٤١) منسوبًا لأحد الحكماء ولم يسمه. بينما ذكره البيهقي في الزهد الكبير (ص ١٢٤) منسوبًا إلى أبي العباس محمد بن شادل الهاشمي، وجاء فيه بلفظ

يعيب الناس كلهم الزمانا ... وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان به رمانا

الأعمى

لم أكن جاوزت الثلاثين، حين أنجبت زوجتي أوّل أبنائي، فما زلت أذكر تلك الليلة؛ إذ بقيت إلى آخر الليل مع أصحابي في إحدى الاستراحات، وكانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ، بل بالغيبة والتعليقات المحرمة أيضاً، فقد كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم، وغيبة الناس، وهم يضحكون.

أذكر ليلتها أنّي أضحكتهم كثيرًا، وذلك أني كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد، وبإمكاني تغيير نبرة صوتي، حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه، أجل كنت أسخر من هذا وذاك، فلم يسلم أحد منّي، حتى أصحابي، لدرجة أنه صار بعض الناس يتجنّبني؛ كي يسلم من لساني.

وأذكر أني في تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته يتسوّل في السّوق، والأدهى والأمرّ أنّي وضعت قدمي أمامه، فتعثّر وسقط، وهو يتلفت برأسه، لا يدري ما يقول، وانطلقت ضحكتي تدوي في السّوق.

عدت إلى بيتي متأخرًا كالعادة، فوجدت زوجتي في انتظاري، وهي في حالة يرثى لها، فقالت بصوت متهدج: راشد، أين كنتَ؟ قلت ساخرًا: في المريخ، عند أصحابي بالطبع، فقد



كان الإعيـاء ظاهـرًا عليها، قالت والعبرة تخنقها: راشـد، أنا تعبانة جدًّا، يبدو أن موعد ولادتي صار وشيكًا.

سقطت دمعة صـامتة على خدها، فأحسست أنّي أهملت زوجتـي؛ إذ كان المفروض أن أهتـم بها، وأقلّل من سـهراتي، خاصـة أنّهـا في شـهرها التاسـع. ذهبـت بها إلى المستشـفى بسـرعة، ودخلت غرفة الـولادة، وهناك جعلت تقاسـي الآلام سـاعات طـوالاً، حيـث كنـت أنتظـر ولادتهـا بفارغ الصـبر، وتعسـرت ولادتها. فانتظـرت طويلاً حتى تعبـت، فذهبت إلى البيت، وتركت رقم هاتفي عندهم؛ ليبشروني.

بعد سـاعة اتصلوا بي؛ ليزفوا لي نبأ قدوم سالم، ذهبت إلى المستشـفى فورًا، وعندما رأوني أسـأل عن غرفتها، طلبوا منّي مراجعة الطبيبة التي أشرفت على الولادة.

صـرختُ فيهـم: أيُّ طبيبـة؟! المهـم أن أرى ابني سـالمًا. قالـوا: أولاً راجـع الطبيبة، دخلت على الطبيبـة، فكلمتني عن المصـائب، والرضـى بالأقدار. ثم قالت: ولدك به تشوه شديد في عينيه، ويبدو أنه فاقد البصر!

خفضت رأسي، وأنا أدافع عبراتي، وتذكّرت ذاك المتسوّل الأعمى الذي دفعته في السوق، وأضحكت عليه الناس.



سبحان الله كما تدين تدان[1]! بقيت واجمًا قليلاً، لا أدري ماذا أقول، ثم تذكرت زوجتي وولدي، فشكرت الطبيبة على لطفها ومضيت؛ لأرى زوجتي.

لم تحزن زوجتي، فقدكانت مؤمنة بقضاء الله، راضية. طالما نصحتني أن أكف عن الاستهزاء بالناس؛ إذ كانت تردد دائمًا: لا تغتب الناس.

خرجنا من المستشفى، وخرج سالم معنا. في الحقيقة، لم أكن أهتم به كثيرًا. اعتبرته غير موجود في المنزل. حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة؛ لأنام فيها. كانت زوجتي تهتم به كثيرًا، وتحبّه كثيرًا. أما أنا فلم أكن أكرهه، لكني لم أستطع أن أحبّه!

كبر سالم، وبدأ يحبو، فقد كانت حبوته غريبة، وقارب عمره السنة، فبدأ يحاول المشي، فاكتشفنا أنّه أعرج، فأصبح ثقيلاً على نفسي أكثر. أنجبت زوجتي بعده عمر وخالدًا.

مرّت السنوات وكبر سالم، وكبر أخواه. كنت لا أحب الجلوس في البيت. دائمًا مع أصحابي؛ إذ كنت في الحقيقة كاللعبة في أيديهم.

لم تيأس زوجتي من إصلاحي. كانت تدعو لي دائمًا بالهداية. لم تغضب من تصرّفاتي الطائشة، لكنها كانت تحزن كثيرًا إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بأخويه.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في أول كتاب التفسير من صحيحه.

وأخرجه عبد الرزاق موصولاً في مصنفه (١١/١٧٨ رقم ٢٠٢٦٢) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/١٥٦): وهو مرسل رجاله ثقات.



كبر سالم، وكبر معه همي. لم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في إحدى المدارس الخاصة بالمعوقين. لم أكن أحس بمرور السنوات. أيّامي متساوية؛ عمل، ونوم، وطعام، وسهر.

في يوم من أيام الجمعة، استيقظت الساعة الحادية عشرة ظهرًا. لا يزال الوقت مبكرًا بالنسبة لي. كنت مدعوًا إلى وليمة، فلبست وتعطّرت وهممت بالخروج. مررت بصالة المنزل، فاستوقفني منظر سالم. كان يبكي بحرقة!

إنّها المرّة الأولى التي أنتبه فيها إلى سالم، يبكي منذ كان طفلاً. عشر سنوات مضت، لم ألتفت إليه. حاولت أن أتجاهله، فلم أحتمل. كنت أسمع صوته ينادي أمه وأنا في الغرفة. التفت، ثم اقتربت منه. قلت: سالم، لماذا تبكي؟!

حين سمع صوتي توقّف عن البكاء. فلما شعر بقربي، بدأ يتحسّس ما حوله بيديه الصغيرتين. ما بِه يا ترى؟! اكتشفت أنه يحاول الابتعاد عني!! وكأنه يقول: الآن أحسست بي. أين أنت منذ عشر سنوات؟! تبعته، كان قد دخل غرفته. رفض أن يخبرني في البداية بسبب بكائه. حاولت أن أتلطف معه، فبدأ يبين لي سبب بكائه، وأنا أستمع إليه وأنتفض.

أتدري ما السبب؟! تأخّر عليه أخوه عمر الذي تعوّد أن يوصله إلى المسجد. ولأنها صلاة الجمعة، خاف ألّا يجد مكانًا في الصف الأوّل. نادى عمر، ونادى والدته، ولكن لا مجيب، فبكى!

أخذت أنظر إلى الدموع تتسرب من عينيه المكفوفتين، فلم أستطع أن أتحمل بقية كلامه. وضعت يدي على فمه، وقلت: لذلك بكيت يا سالم!

قال: نعم، فنسيت أصحابي، ونسيت الوليمة، وقلت: سالم، لا تحزن. هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد؟

قال: أكيد عمر، لكنه يتأخر دائمًا، قلت: لا، بل أنا سأذهب بك.

دُهش سالم، ولم يصدّق. ظنّ أنّي أسخر منه. استعبر ثم بكى. مسحت دموعه بيدي وأمسكت يده. أردت أن أوصله بالسيّارة، فرفض قائلاً: المسجد قريب، أريد أن آخذ أجر الخطى إلى المسجد، إي والله قال لي ذلك.

أما أنا، فلا أذكر متى كانت آخر مرّة دخلت فيها المسجد، لكنها المرّة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والنّدم على ما فرّطت فيه طوال السنوات الماضية. كان المسجد مليئًا بالمصلّين، إلاّ أنّي وجدت لسالم مكانًا في الصف الأوّل. استمعنا إلى خطبة الجمعة معًا، وصلى بجانبي، بل في الحقيقة أنا صليت بجانبه.

بعد انتهاء الصلاة طلب منّي سالم مصحفًا. استغربت! كيف سيقرأ، وهو أعمى؟ كدت أتجاهل طلبه، لكني جاملته؛

خوفًا من جرح مشاعره. ناولته المصحف، طلب منّي أن أفتح المصحف على سورة الكهف. أخذت أقلب الصفحات تارة، وأنظر في الفهرس تارة، حتى وجدتها.

أخذ مني المصحف، ثم وضعه أمامه، وبدأ في قراءة السورة، وعيناه مغمضتان، يا ألله! إنّه يحفظ سورة الكهف كاملة!

خجلت من نفسي، وأمسكت مصحفًا، فأحسست برعشة في أوصالي، قرأت وقرأت، ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني. لم أستطع الاحتمال، فبدأت أبكي كالأطفال. كان بعض الناس لا يزال في المسجد يصلي السنة، فخجلت منهم وحاولت أن أكتم بكائي، وبعد ذلك تحول البكاء إلى نشيج وشهيق.

لم أشعر إلا بيد صغيرة تتلمس وجهي، ثم تمسح عنّي دموعي. إنه سالم، فضممته إلى صدري، ونظرت إليه. قلت في نفسي: لست أنت الأعمى، بل أنا الأعمى، حين انسقت وراء فُسّاق، يجرونني إلى النار.

عدنا إلى المنزل، آنذاك كانت زوجتي قلقة كثيرًا على سالم، لكن قلقها تحوّل إلى دموع، حين علمت أنّي صلّيت الجمعة مع سالم، ومنذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد. هجرت رفقاء السوء، وأصبحت لي رفقة خيّرة عرفتها في المسجد. ذقت طعم الإيمان معهم. عرفت منهم أشياء ألهتني

عنها الدنيا. لم أفوّت حلقة ذكر أو صــلاة الوتر. ختمت القرآن مرّات عدّة في شـهر. رطّبت لسـاني بالذكر؛ لعـلّ الله يغفر لي اغتيابـي الناس وسـخريتي منهم. أحسسـت أنّي أكثر قربًا من أسـرتي، واختفت نظرات الخوف والشـفقة التي كانت تطل من عيني زوجتي، والابتسامة ما عادت تفارق وجه ابني سالم، فمن يراه يظنّه ملك الدنيا، وما فيها، فحمدت الله كثيرًا على نعمه.

وذات يوم قرر أصحابي الصالحون أن يتوجّهوا إلى إحدى المناطـق البعيدة للدعوة، فتردّدت في الذهاب، واسـتخرت الله واستشرت زوجتي، فتوقعت أنها سترفض، ولكن حدث العكس!

فرحت كثيرًا، بل شـجّعتني، فلقد كانت تراني في السابق أسافر دون استشارتها فسقًا وفجورًا. وتوجهت إلى سالم أخبره أني مسـافر، فضـمني بذراعيه الصـغيرتين مودعًـا، وتغيّبت عن البيت ثلاثة أشـهر ونصـف الشـهر، كنت خلالها أتصـل كلّمـا سـنحت لي الفرصـة بزوجتي وأحـدّث أبنائي. اشـتقت إليهم كثيرًا، آآآه كم اشـتقت إلى سـالم! تمنّيت سـماع صوته، فهـو الوحيد الـذي لم يحدّثني منذ سـافرت، فإمّا أن يكون في المدرسة أو في المسجد ساعة اتصالي بهم.

كلّما حدّثت زوجتي عن شـوقي إليه، كانت تضحك فرحًا وبشـرًا، إلاّ آخـر مـرّة هاتفتهـا فيها؛ إذ لم أسـمع ضـحكتها



المتوقّعة، وتغيّر صوتها، قلت لها: أبلغي سلامي لسالم، فقالت: إن شاء اللّه، وسكتت.

أخيرًا عدت إلى المنزل، فطرقت الباب، وتمنّيت أن يفتح لي سالم، لكن فوجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره، فحملته بين ذراعي، وهو يصرخ: أبي، أبي، لا أدري لماذا انقبض صدري، حين دخلت البيت.

استعذت باللّه من الشيطان الرجيم، فأقبلت إلى زوجتي التي كان وجهها متغيرًا، كأنها تتصنع الفرح.

تأمّلتها جيدًا، ثم سألتها: ما بكِ؟

قالت: لا شيء.

فجأة تذكّرت سالمًا، فقلت: أين سالم؟

خفضت رأسها، ولم تجب، وسقطت دمعات حارة على خديها، صرخت بها: سالم! أين سالم؟

لم أسمع حينها سوى صوت ابني خالد يقول بلغته الطفولية: أبي، سالم راح الجنّة عند اللّه.

لم تتحمل زوجتي الموقف، فأجهشت بالبكاء، وكادت تسقط على الأرض، فخرجت من الغرفة.

عرفت بعدها أن سالمًا أصابته حمّى قبل موعد مجيئي بأسبوعين، فأخذته زوجتي إلى المستشفى، وهناك اشتدت عليه الحمى، ولم تفارقه، حتى فارقت روحه جسده.

الحكمة

إذا بارت الحيل، وضاقت السبل، وانتهت الآمال، وتقطعت الحبال، فنادِ يا أللّه.

المراودة

عاد أحد الأطفال في الصف الثالث الابتدائي إلى المنزل، وهو يبكي، بعد أن راوده مدرسه عن نفسه، فلم تنتظر الأم طويلاً؛ إذ توجهت في صباح اليوم المقبل إلى مدرسة الابن، فحاول حارس المدرسة منعها من الدخول، ولكن قلب الأم المكلوم لا يقف في وجهه شيء، فلم يستطع الحارس أن يمنعها، فتوجهت الأم إلى ساحة المدرسة، وهي تصيح، بل تزأر: أين المدير؟

تجمع المدرسون على صوت المرأة الصارخ الذي يحمل في نبرته وحشية الأم التي تريد الانتقام لابنها، لقد تحولت الأم بالفعل إلى أسد هصور، بل قل: لبؤة مفترسة، تقدم وكيل المدرسة من الأم، وقال: أنا الوكيل، فماذا تريدين؟

تابعت الأم صراخها: أنا أريد المدير، فقال الوكيل: أنا الوكيل، أنا أقدر أحل لك كل أمورك، فقالت: أنا أريد المدير، والله إذا لم تأتوا لي بالمدير الآن فسأخلع عباءتي، وأجمع عليكم الناس، وفي وسط الأجواء المشحونة هذه وحالة «التوحش» التي تمر بها الأم لم يجد الوكيل بدًّا من إرسال طلب عاجل إلى المدير الذي حضر خلال ثوانٍ، وتخيلوا معي رهبة الموقف، فأم في منتصف الأربعينيات في حالة هيجان، تصرخ بأعلى

صوتها في فناء المدرسة، وحولها مدير المدرسة، والوكيل، وبعض الأساتذة، وبقية أعضاء هيئة التدريس يسترقون النظر من نوافذ فصولهم، والكل مترقب ليعرف ماذا تريد هذه المرأة؟!

بادرت الأم المدير، قائلة: أين فلان الفلاني (ذكرت اسم المدرس الذي تحرش بابنها)؟ فقال المدير: تقصدين الأستاذ فلان الفلاني؟! فقالت بلهجتها الثائرة: أنا أقول لك: الوغد فلان الفلاني، ولا تقل عن هذا الوغد أستاذًا، فقال المدير: خير إن شاء الله، ما الذي حصل؟ فقالت الأم المتأججة: أنزل لي الوغد فلان الفلاني هنا، فقال المدير: ما الموضوع؟ فقالت الأم: والله لو لم ينزل الآن لأحدثنَّ لك فضيحة في المدرسة، فاستدعى المدير المدرس المتهم إلى الفناء، وكل العيون تترقب، والأعناق قد اشرأبت لمعرفة ما الذي تريده الأم من الوغد فلان الفلاني.

قالت الأم للمدرس (أقصد للوغد): يا وغد، يا ابن الوغد، إن الدولة عينتك هنا لتعلم أولاد الناس، أم لتتحرش بهم، والله لأسيحنَّ دمك هنا وأجعل القطط تشربه، كانت كلمات الأم صفعات مباشرة على وجه المدرس الذي افتضح أمره أمام زملائه كلهم، بل حتى أمام الطلاب، فقال المعلم: أنا آسف يا أمي، فقالت الأم: أنا لست أمك، أمك وغدة مثلك، والله لأجرجرنَّك في الشوارع على وجهك، ولأمسحنَّ بك الأرض.

حاول المدرسـون تهدئـة الأم وإقناعها بخفض صـوتها؛ لعدم التأثير في الطلاب وتخويفهم.

ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، وبعد أن أنهت الأم سيل الشـتائم الذي لديها خرجت متوعـدة ومهددة، وبعد خروجها اجتمع المدير مع المدرس الذي اعترف بجرمه، وبعد ذلك حُوِّل المدرس إلى وظيفة إدارية، وانتهى الموضوع.

الحكمة

الساكت عن الحق شيطان أخرس[1].

---

(١) ذكر هذه الحكمة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/٢٨) وعبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي في شذرات الذهب (١٨٠/٣).

الزوجات الأربع

يذكر أن ملكًا كان متزوجًا من أربع نساء، وكان يحب الرابعة حبًّا جنونيًّا، ويعمل كل ما في وسعه لإرضائها، أما الثالثة فكان يحبها أيضًا، ولكنه يشعر أنها قد تتركه من أجل شخص آخر، والثانية كانت هي من يلجأ إليها عند الشدائد، وكانت دائمًا تستمع إليه ويجدها عند الضيق والنوازل، أما الزوجة الأولى فكان يهملها ولا يرعاها ولا يعطيها حقها، مع أنها تحبه كثيرًا، وكان لها دور كبير في الحفاظ على مملكته.

مرض الملك، وشعر باقتراب أجله، ففكر وقال: أنا الآن لدي أربع زوجات، ولا أريد أن أذهب إلى القبر وحدي، فسأل زوجته الرابعة: أحببتك أكثر من باقي زوجاتي، ولبَّيت كل رغباتك وطلباتك، فهل ترضين أن تأتي معي؛ لتؤنسيني في قبري؟ فقالت: (مستحيل) وانصرفت فورًا من دون إبداء أي تعاطف مع الملك. فأحضر زوجته الثالثة، وقال لها: أحببتك طيلة حياتي، فهل ترافقيني في قبري؟ فقالت: بالطبع لا، الحياة جميلة، وعند موتك سأذهب، وأتزوج من غيرك، فأحضر الزوجة الثانية، وقال لها: كنت دائمًا ألجأ إليك عند الضيق، وطالما ضحيت من أجلي، وساعدتني، فهل ترافقيني في قبري؟ فقالت: سامحني، لا أستطيع تلبية طلبك، ولكن أكثر ما أستطيع فعله هو أن أوصلك إلى قبرك.

حزن الملك حزنًا شديدًا على جحود هؤلاء الزوجات، وإذا بصوت يأتي من بعيد، يقول: أنا أرافقك في قبرك، أنا سأكون معك أينما تذهب، فنظر الملك، فإذا بزوجته الأولى، وهي في حالة هزيلة ضعيفة مريضة بسبب إهمال زوجها لها، فندم الملك على سوء رعايته لها في حياته، وقال: كان ينبغي لي أن أعتني بك أكثر من الباقيات، ولو عاد بي الزمان لكنت أنت أكثر من أهتم به من زوجاتي الأربع.

في الحقيقة كلنا لدينا أربع زوجات: فالزوجة الرابعة هي الجسد، مهما اعتنينا بأجسادنا وأشبعنا شهواتنا، فستتركنا الأجساد فورًا عند الموت، والثالثة الأموال والممتلكات، فعند موتنا ستتركنا، وتذهب إلى أشخاص آخرين. والثانية الأهل والأصدقاء، فمهما بلغت تضحياتهم لنا في حياتنا، فلا نتوقع منهم أكثر من إيصالنا إلى القبور عند موتنا، والأولى هي العمل الصالح، إذ ننشغل عن تغذيته، والاعتناء به على حساب شهواتنا وأموالنا وأصدقائنا، مع أن أعمالنا هي الوحيدة التي ستكون معنا في قبورنا.

الحكمة

يا ترى إذا تمثل عملك لك اليوم على هيئة إنسان، فكيف سيكون شكله وهيئته؟! هزيل، أم ضعيف، أم مهمل؟ أم قوي مدرب معتنى به؟!

المداعبة

ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني -رحمه اللّه- في سيارته، وكان الشيخ يسرع في السير. فقال له الطالب: خفف السرعة يا شيخ، فإن الشيخ ابن باز -رحمه اللّه- يرى أن تجاوز السرعة إلقاء بالنفس إلى التهلكة.

فقال الشيخ الألباني: هذه فتوى من لم يجرب فن القيادة. فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز؟ قال الشيخ الألباني: أخبره. فلما حدث الطالب الشيخ ابن باز بما قال الشيخ الألباني ضحك، وقال: قل له: هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات!

الحكمة

رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[1].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٧٧) وأبجد العلوم لصديق حسن خان (٤٠٢/٢).

الفأر والأسد

في يوم من الأيام مرّ الفأر بجوار الأسد، وهو يحك شعره، فأمسك الأسد الفأر، وسأله: لماذا تحك شعرك؟ وأين أخفيت الطاقية؟ فقال الفأر: أي طاقية؟! فضرب الأسد الفأر. وفي يوم ثانٍ، بينما الفأر يمشي في حاله، أمسك به الأسد من شعره، وقال له: لماذا لا تعترف؟ أين الطاقية؟ فقال الفأر: واللّه ما عندي طاقية يا ملك، فضربه الأسد مرة ثانية.

وفي اليوم الثالث أمسك الأسد الفأر أيضًا، وفي يده حديدة، فقال له: لماذا لا تريد أن تخبرني بمكان الطاقية؟ فأخذ الفأر يصيح، ويقول: يا أخي، أرسل مندوب التفتيش؛ ليفتشني، ولو وجد عندي الطاقية، فاضرب وجهي بالحديدة، وبالفعل أرسل الأسد المندوب، ولكنه ما وجد الطاقية، ومع ذلك صفع الأسد وجه الفأر.

وحيال هذا الظلم الصارخ والمتكرر لم يجد الفأر بدًّا من أن يشتكي إلى مجلس الأمن في الغابة، قائلاً: إن المفتش ما وجد طاقية للأسد عندي، ومع ذلك يصر على ضربي والسخرية مني، فأنقذوني.

كان رد مجلس أمن الغابة أن طمأن الفأر، ووعده بالوقوف إلى جانبه، ورد اعتداء الأسد، وذلك عندما اجتمع الديك والدب

والنمر مع الأسد الذي سألوه عن سبب ظلمه للفأر واعتدائه عليه؟ فما كان من الأسد إلا أن قال: إن الفأر لا يعجبني، وسوف أضربه كلما لقيته، وأنتم إما أن تكونوا معي، أو ضدي؟!

فقال أعضاء مجلس الأمن: نحن معك، ولكن سمعتنا في الغابة تدهورت بسبب ظلمك وعدوانك، فقال لهم الأسد: إنني سوف أضربه، ولكن كيف لي أن أضربه دون أن أضر سمعتكم؟ فقال له الأعضاء: اطلب منه أن يأتي لك بتفاحة، فإن أتى بها حمراء، فاضربه، وقل له: لماذا لم تأتِ بها خضراء؟ وإن أتى بها خضراء، فاضربه، وقل له: لماذا لم تحضرها حمراء؟

وافق الأسد على اقتراح أعضاء المجلس، وراح ينفذ ذلك الاقتراح، وأخذ يبحث عن الفأر، وحين وجده أمسكه من رقبته، وقال له: أحضر لي تفاحة الآن، فقال الفأر على الفور: أتريدها حمراء، أم خضراء؟ فما كان من الأسد إلا أن ركل الفأر، وقال له: أين الطاقية؟!

الحكمة

وعَينُ الرِّضَا عَنْ كلِّ عَيبٍ كَلِيلةٌ

ولَكنَّ عين السُّخْطِ تُبدِي المسَاوِيَا[1]

---

(١) هذا البيت من بحر الطويل، وينسب إلى الشافعي رحمه الله. وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٣٦٩، ٣٧٢).



أصلحْ عيبَك

انتقل رجل مع زوجته إلى منزل جديد، وفي صبيحة اليوم الأول لهما في ذلك المنزل، وبينما هما يتناولان وجبة الإفطار، قالت الزوجة، مشيرة من خلف زجاج النافذة المطلة على الحديقة المشتركة بينهما وبين جيرانهما: انظر يا عزيزي، إن غسيل جارتنا ليس نظيفًا، لا بد أنها تشتري مسحوقًا رخيصًا.

ودأبت الزوجة على إلقاء التعليق نفسه في كل مرة ترى جارتها تنشر الغسيل، وبعد شهر من هذه الحادثة دُهشت الزوجة عندما رأت الغسيل نظيفًا على حبال جارتها، فقالت لزوجها: انظر لقد تعلمت جارتنا أخيرًا كيف تغسل ملابسها، وتشتري مسحوقًا جيدًا بدلاً من المسحوق السابق الرخيص، فأجابها الزوج: عزيزتي، لقد نهضت مبكرًا هذا الصباح، ونظفت زجاج النافذة التي تنظرين منها!

الحكمة

تأكد من أن هناك عيبًا فيمن يقابلك قبل البدء في نقده، ومن ثم أصلح عيبك قبل أن تصلح عيوب الآخرين إن وجدت[1].

---

(١) صدق رسول الله ﷺ القائل: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه**» أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/٧٣ رقم ٥٧٦١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٣٣١).

لصوص محترفون

موظف في المملكة العربية السعودية سُرِقت سيارته، وبعد يومين فوجئ باللصوص قد أعادوها له سليمة نظيفة، ووضعوا على مقودها رسالة اعتذار وأسف مرفقة بتذاكرعمرة مجانية له ولأسرته، وطلبوا منه خلال الرسالة السماح والدعاء لهم، معللين سرقتهم للسيارة بظروفهم الصعبة التى تجاوزوها بسلام.

نفّذ المجني عليه مطالب اللصوص، وأدى العمرة برفقة عائلته، ولكن عند عودته إلى منزله اكتشف سرقة محتوياته الثمينة، وأنه كان ضحية لخدعة ذكية وطريقة جديدة ابتكرها اللصوص لإخلاء المنازل التى يرغبون في سرقتها.

وقال الموظف خلال بلاغه للشرطة: إنه خدع بالرسالة، مشيراً إلى أنه كان يدعو للصوص في الحرم الشريف فى الوقت الذى كانوا ينهبون منزله.

الحكمة

إذا سبَّني نذلٌ تزايدتُ رفعةً

وما العيبُ إلّا أنْ أكونَ مُسابِبُه

ولو لَمْ تكنْ نفسي عليَّ عزيزةً

لمكَّنتُها مِنْ كل نذلٍ تحارِبُه(1)

(١) هذان البيتان في بحر الطويل، وينسبان إلى الشافعي رحمه الله.

حمار المزرعة

دخل حمار مزرعة رجل، وبدأ يأكل من زرعه الذي تعب في حرثه، وبذره، وسقيه، وتساءل: كيف يُخرج الحمار؟! سؤال محير، أسرع الرجل إلى البيت، وجاء بعدَّةِ الشغل، فالقضية لا تحتمل التأخير، فقد أحضر عصا طويلة ومطرقة ومسامير وقطعة كبيرة من الكرتون المقوى، كتب عليها: يا حمار، اخرج من مزرعتي، ثبت الكرتون بالعصا الطويلة بالمطرقة والمسمار، وذهب إلى حيث الحمار يرعى في المزرعة، ورفع اللوحة عاليًا، وبقي رافعًا اللوحة منذ الصباح الباكر، حتى غروب الشمس.

ولكن الحمار لم يخرج، حار الرجل، ربما لم يفهم الحمار ما كتبتُ على اللوحة، ورجع إلى البيت ونام، وفي الصباح المقبل صنع عددًا كبيرًا من اللوحات، ونادى أولاده وجيرانه واستنفر أهل القرية؛ أي أنه عقد مؤتمر قمة، صف الناس في طوابير يحملون لوحات كثيرة: اخرج يا حمار، من المزرعة. الموت للحمير، يا ويلك يا حمار، من صاحب الدار، وتحلقوا حول الحقل الذي فيه الحمار وبدؤوا يهتفون: اخرج يا حمار، اخرج أحسن لك، والحمار يأكل، ولا يهتم بما يحدث حوله.

غربت شمس اليوم الثاني، وقد تعب الناس من الصراخ، والهتاف، وبُحَّت أصواتهم، فلما رأوا الحمار غير مبالٍ بهم

رجعوا إلى بيوتهم يفكرون في طريقة أخرى، وفي صباح اليوم الثالث جلس الرجل في بيته يصنع شيئًا آخر، خطة جديدة لإخراج الحمار، فالزرع أوشك على الانتهاء، وذلك أن الرجل خرج باختراع جديد عبارة عن أنموذج مجسم لحمار يشبه إلى حد بعيد الحمار الأصلي، ولما جاء إلى حيث الحمار يأكل في المزرعة وأمام نظر الحمار وحشود القرية المنادية بخروج الحمار سكب البنزين على الأنموذج وأحرقه فكبّر الحشد.

فنظر الحمار إلى حيث النار، ثم رجع يأكل في المزرعة بلا مبالاة يا له من حمار عنيد لا يفهم! أرسلوا وفدًا؛ ليتفاوض مع الحمار، فقالوا له: صاحب المزرعة يريدك أن تخرج وهو صاحب الحقل وعليك أن تخرج، ولكن الحمار ينظر إليهم ثم يعود للأكل لا يكترث بهم، بعد محاولات عدة أرسل الرجل وسيطًا آخر قال للحمار: صاحب المزرعة مستعد للتنازل لك عن بعض مساحة المزرعة، والحمار يأكل ولا يرد، فهو يمكن أن يتنازل عن الثلث، والحمار لا يرد، يتنازل عن النصف، والحمار لا يرد، فطلب من الحمار أن يحدد المساحة التي يريدها، ولكن لا تتجاوزه.

رفع الحمار رأسه وقد شبع من الأكل ومشى قليلاً إلى طرف الحقل، وهو ينظر إلى الجمع ويفكر، فرح الناس لقد وافق الحمار أخيرًا، فأحضر صاحب المزرعة الأخشاب وسيَّج المزرعة وقسمها نصفين وترك للحمار النصف الذي هو واقف

فيه، وفي صباح اليوم المقبل كانت المفاجأة لصاحب المزرعة، لقد ترك الحمار نصيبه ودخل في نصيب صاحب المزرعة وأخذ يأكل، ورجع الرجل مرة أخرى إلى اللوحات والمظاهرات، يبدو أنه لا فائدة، فهذا الحمار لا يفهم أنه ليس من حمير المنطقة، لقد جاء من قرية أخرى.

فبدأ الرجل يفكر في ترك المزرعة بكاملها للحمار والذهاب إلى قرية أخرى لتأسيس مزرعة أخرى، وأمام دهشة جميع الحاضرين، وفي مشهد من الحشد العظيم، حيث لم يبقَ أحد من القرية إلا وقد حضر ليشارك في المحاولات اليائسة لإخراج الحمار المحتل العنيد المتكبر المتسلط المؤذي، جاء غلام صغير خرج من بين الصفوف، ودخل إلى الحقل، وتقدم إلى الحمار وضربه بعصا صغيرة على قفاه، فإذا به يركض خارج الحقل، فصاح الجميع: يا ألله لقد فضحَنا هذا الصغير وسيجعل منا أضحوكة القرى التي حولنا.

فما كان من أهالي القرية إلا أن قتلوا الغلام، وأعادوا الحمار إلى المزرعة، ثم أذاعوا أن الطفل شهيد!!

الحكمة

ومن الغباء ما قتل.



الطائر الأعمى

سـافر تاجر في تجارة له، وفي الطريق رأى طائرًا جميلاً فاقـترب منه، لكنه لاحظ أن الطائر أعمـى، فأخذ يفكر كيف يأكل هذا الطائر ويشرب! وبعد قليل جاء طائر آخر يحمل حَبًّا وأطعم الطائر الأعمى.

فتعجب التاجر من هذا المشـهد وأثر فيه! فقال في نفسه: إذا كان الله تعـالى تكفل بهذا الطائر الأعمى، ولم يهمله، فَلِمَ العناء والسفر؟ وأنا في هذه السن.

فقرر أن يعود إلى بلده، ولا يسـافر للتجارة، وحين وصـل زار شيخه، وقص عليه القصة، فقال الشيخ: يا بني، هلاّ كنت الطائر المبصر؟!

الحكمة

«اليد العليا خير من اليد السفلى»[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٤٢٧) ومسلم (رقم ١٠٣٣، ١٠٣٤).



حكم الإعدام

يحكى أنّ ثلاثة أشخاص حكم عليهم بالإعدام بالمقصلة، وهم (عالم دين، و محامٍ، وفيزيائي)، وعند لحظة الإعدام تقدّم (عالم الدين) ووضعوا رأسه تحت المقصلة، وسألوه: هل هناك كلمة أخيرة تودّ قولها؟ فقال (عالم الدين): اللّه، اللّه، اللّه، هو من سينقذني، وعند ذلك أنزلوا المقصلة، فنزلت، ولكنها عندما وصلت إلى رأس عالم الدين توقفت.

تعجّب النّاس، وقالوا: أطلقوا سراح عالم الدين، فقد قال: اللّه، وهو كلمته، ونجا عالم الدين. وجاء دور المحامي، فسألوه: هل هناك كلمة أخيرة تودّ قولها؟ فقال: أنا لا أعرف اللّه كعالم الدين! ولكن أعرف أكثر عن العدالة، العدالة،العدالة،العدالة هي من ستنقذني. ونزلت المقصلة على رأس المحامي، وعندما وصلت إلى رأسه توقفت، فتعجّب النّاس، وقالوا: أطلقوا سراح المحامي، فقد قال: العدالة وهي كلمته، ونجا المحامي.

وأخيرًا جاء دور الفيزيائي، فسألوه: هل هناك كلمة أخيرة تودّ قولها؟ فقال: أنا لا أعرف اللّه كعالم الدين، ولا أعرف العدالة كالمحامي، ولكنّي أعرف أنّ هناك عقدة في حبل المقصلة تمنعها من النزول، فنظروا إلى المقصلة، ووجدوا فعلاً

أن هنــاك عقدة تحــول بينها وبين النزول، فأصــلحوا العقدة، وأنزلوا المقصلة على رأس الفيزيائي، فقطعت رأسه.

الحكمة

من الأفضـل أن تبقي فمك مقفـلاً أحيانًا، حتى إن كنت تعـرف الحقيقة، فقد يكـون السكوت سبيلاً إلى النجاة، والكلام طريقًا إلى الهلاك[1].

---

(١) وصدق القائل: السمكة التي لا تفتح فمها لا يلتقطها شص الصياد.
وأحسن من ذلك قول رسول الله ﷺ: «**من صمت نجا**» أخرجه الترمذي (رقم ٢٥٠١) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٠٩/١١): أخرجه الترمذي ورواته ثقات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٣٦).

حكمة الأم

ذهبت أم خليجية إلى لندن مدة ثلاثة أيام؛ لزيارة ابنها (سامي) الذي يدرس هناك، فوجدت الأم أن ابنها يسكن مع بنت اسمها (جيجي) في غرفة مشتركة، فما عرفت الأم ماذا تفعل، ولكنها لاحظت أن (جيجي) بنت جميلة وجذابة، فتوقعت أن هناك علاقة بين البنت وابنها، فدفعها الفضول إلى أن تعرف طبيعة هذه العلاقة، والمدى الذي وصلت إليه.

آنذاك استطاع (سامي) أن يقرأ أفكار أمه، وفي أي شيء تفكر، فقال لها: أنا أعرف إلى أين ذهب تفكيرك، ولكن أريد أن أطمئنك على أن (جيجي) مجرد زميلة مشتركة معي في الغرفة، لا أكثر ولا أقل! وسافرت الأم إلى الخليج.

وفي الأسبوع المقبل بعد سفر الأم قالت (جيجي) لسامي: منذ سافرت أمك لم أجد طاسة السكر الفضية، فهل تعتقد أن أمك أخذتها معها؟ فقال (سامي): إني أشك في ذلك، ولكن دعيني أرسل إليها (إيميلاً) لأتأكد، وكتب (الإيميل) الذي جاء على هذا النحو: أمي الحبيبة، أمي لا أقول: إنك أخذت طاسة السكر الفضية من بيتي، ولا أقول: إنك ما أخذتها، ولكن في الحقيقة قد ضاعت هذه الطاسة منذ رجعت إلى الخليج، تحياتي. ابنك سامي.

وبعد أيام وصل رد الأم على (الإيميل) وهو: عزيزي سامي، أنا لا أقول: إنك تنام مع (جيجي) أو لا تنام معها، ولكن في الحقيقة لو أنها تنام في فراشها الخاص لكانت وجدت الطاسة على سريرها منذ أن رجعت إلى الخليج!

الحكمة

«ما اجتمع رجل وامرأة، إلا وكان الشيطان ثالثهما»[1].

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠/٤٣٦ رقم ٤٥٧٦) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١/١٩١-١٩٢ رقم ٩٦) وقال محققه الدكتور عبدالملك دهيش: إسناده صحيح.



ملابس جديدة

يعتقد الإمبراطور أن الأتباع لا يفقهون شيئًا عن القيادة وأسرارها، ومن ثم يرى أنه من العبث أن يطلب منهم تقييم أسلوبه في القيادة والحكم.

وذات مرة خرج الإمبراطور على أتباعه وسألهم: «ما رأيكم في الملابس التي أرتديها؟» فأجابوا: «إنها رائعة!»، ولكنه في الحقيقة لم يكن يرتدي أي ملابس بالمرة. ولكن الأتباع لم يجرؤوا على رفع أنظارهم إلى الإمبراطور؛ ليروا الحقيقية. وهكذا ظل الإمبراطور عاريًا، ودون مشورة صالحة، وظل الأتباع عميانًا، من دون إمبراطور مستور.

تخيل نوع الحياة داخل إمبراطورية، لا يستطيع فيها الإمبراطور أن يحصل على تغذية راجعة من أتباعه، كما يعجز الأتباع عن إفادة الإمبراطور بأي معلومات حقيقية. انتقل الآن إلى الشركة، شركتك، ثم اسأل نفسك: من الذي يستطيع أن يقيم عملي، ويعطيني تغذية راجعة عن نقاط ضعفي ونقاط قوتي؟ هل هم رؤسائي أم زملائي أم مرؤوسيّ أم عملائي؟

الحكمة

يجب أن يُزَوَّد الإمبراطور بملابس حقيقية، وذلك بأن يرى نفسه من خلال أعين الأتباع الذين يساعدونه في رؤية الواقع ويسهمون معه في تطويره وتغييره.

يوم شديد

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني**، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا**)[١].

الحكمة

زَمَانُكَ هَذَا حَرْبُ كُلِّ نَبِيْه ... فَلا تَطْلُبِ الإِنْصَافَ عِنْدَ بَنِيْه

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٣١) ومسلم (رقم ١٧٩٥).

قتل النساء

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة. فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان. وفي روايـة: وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي. فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان [1].

الحكمة

إذا وقع الخطأ وجب إنكاره والنهي عنه.

---

(١) أخرجه البخاري، (رقم ٣٠١٤) و(رقم ٣٠١٥) ومسلم (رقم ١٧٤٤).



افعل المعروف

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **أسلم**. فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **الحمد لله الذي أنقذه من النار**[1].

الحكمة

«الأمور بخواتمها»[2]، فاللهم، أحسن خواتيمنا.

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (رقم٦٤٩٣) بلفظ: «**وإنما الأعمال بخواتيمها**».



الوصية

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا.

ثم قال ﷺ: (**اغزوا باسم الله. وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال). فأيتهن ما أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين. وأخبرهم أنهم، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء. إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم، أن تخفروا ذممكم**

وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله. ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[1].

الحكمة

الرسول ﷺ نعمة مهداة ورحمة مسداة، فما ترك شيئًا من مكارم الأخلاق، وكريم الخصال، إلا ودعا إليه.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٧٣٠).

حقيقة الشكر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما عندك يا ثمامة**». فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت. فتُرِك، حتى كان الغد، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما عندك يا ثمامة**». فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما عندك يا ثمامة**»، فقال: عندي ما قلت لك، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أطلقوا ثمامة**».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللّه، يا محمد، واللّه ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، واللّه ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب دين إليَّ، واللّه ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل:

صبأت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ[1].

الحكمة

أَحسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ

فَطَالَمَا استَعْبَدَ النَّاسَ إِحْسَانُ[2]

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٤٢٢) ومسلم (رقم ١٧٦٤).

(٢) هذا البيت من بحر البسيط، وينسب إلى أبي الفتح البستي المتوفى سنة ٤٠٠هـ.



فن الاختيار

عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه**».

فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطي، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «**أين علي**»؟ فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه، حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «**على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**»[١].

الحكمة

الرسول ﷺ يصف لكل داء دواءً مناسبًا[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٢١٠) ومسلم (رقم ٢٤٠٦).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**» أخرجه مسلم (رقم ٢٢٠٤).



قلب الموازين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «**إني لم أبعث لعّانًا، وإنما بعثت رحمة**»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم، اهدِ دوسًا وأتِ بهم**»[2]. وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهم قالوا: يا رسول الله،أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم. فقال: «**اللهم اهدِ ثقيفًا**»[3].

الحكمة

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٣٧) ومسلم (رقم ٢٥٢٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤١٣ رقم ٣٢٤٩٦) وأحمد بن حنبل (٣/٣٤٣) وحسنه الترمذي كما في البداية والنهاية (٤/٣٥٠).



رحمة الابن بأمه

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة. فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أكره. فأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أبكي.

قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ. فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره. فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم، اهدِ أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما جئت، فصرت إلى الباب. فإذا هو مجافٍ. فسمعت أمي خشف قدمي. فقالت: مكانك! يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا. قال قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا.

قــال: فقال رســول الله ﷺ: «**اللهـم، حبب عبيـدك هذا - يعنــي أبا هريرة - وأمه إلى عبـادك المؤمنين. وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني، إلا أحبني[1].

الحكمة

«**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[2].

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٤٩١).

(٢) أخرجه القضـاعي في مسند الشهاب (رقم ١١٩) والديلمي في الفردوس (رقم ٢٦١١) وضـعفه الألبـاني في ضـعيف الجامـع (رقم ٢٦٦٦) بينما صـحح في صـحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٤٨٤) لفظ: **الزم رجلها فثم الجنة**، وصح بلفـظ: **الزمهـا، فإن الجنة تحت أقدامها** -يعني الوالدة- حسـنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٤٩).



الحُلْم

شخص جاء له منادٍ في المنام، يطلب منه أن يتصل برقم محدد، ويطلب فلان الفلاني، ويأخذه إلى مكة، ولكن ذلك الشخص في اليوم الأول عَدَّ ما رآه أضغاث أحلام، ولما تكررت الرؤيا في اليوم الثاني سأل شيخ مسجد في حارتهم، فأفتاه بأن هذا نداء، وبأن عليه إذا جاءه النداء في اليوم الثالث أن يتمعن في الرقم ويحفظه، وينفذ الوصية.

وبالفعل لم يقصر هذا الشخص، إذ أخذ الرقم في النداء الثالث، واتصل على صاحبه، وطلب: فلان، فقال له: أنا معك، قال له: يا أخي، جاءني نداء في المنام، يطلب مني أن آخذك إلى العمرة، ولا بد من تنفيذ هذا الأمر، طبعًا الشخص المقصود ضحك، وقال له: أي عمرة؟! فإني منذ سنوات طويلة ما أذكر أني صليت أي صلاة، فألح عليه المتصل، وقال له: لا بد أن آخذك للعمرة؛ لأن هذا أمر لا أستطيع أن أخالفه، وأرجوك ساعدني.

وافق الأخ الثاني، وقال له: على شرط أن تأخذني على حسابك، وكل تكاليف العمرة عليك، وتردني إلى بيتي فوافق المتصل، واتفقا على أن يمر عليه في الرياض في اليوم الثاني، ويأخذه إلى مكة للعمرة، وبالفعل ذهب إليه في الموعد المحدد بينهما، فوجده شخصًا ليس فيه أي سمة من سمات الصلاح، فهو أشعث أغبر، وعلى ما يبدو أنه سكير، فكان المتصل

مستغربًا جدًّا من أن يأتيه نداء في المنام مدة ثلاثة أيام لشخص بهـذه الحالة، المهـم أخـذه إلى أقـرب ميقات وجعله يغتسـل ويلبسـ ملابس الإحرام، وبعدها أخذه إلى مكة لتأدية العمرة، والحمد لله أديا العمرة سويًّا.

وبعدما أَنْهيا المناسـك وقصّـرا شـعرهما قـرّرا العودة، وبحسـب الاتفاق على الأخ الأول أن يرجـع الأخ الثاني إلى بيته في الرياض، لكنه قبـل أن يخرج من مكة طلب منه أن يصـلي ركعتـين لله؛ لأن هذه المرة يمكـن أن تكون آخر مرة يدخل فيها البيت الحرام.

وهو يصـلي الركعتين أطال السـجود، ولمـا نهزه من معه اكتشـف أنه مات، وهو سـاجد، فما اسـتطاع أن يتحمل، وبكى وهو يحسده على مثل هذه الخاتمة، إذ يحشر الإنسان على آخر شيء كان عليه، طبعًا غسلوه بماء زمزم، وصلوا عليه في الحرم، وبعدها أخذه إلى الرياض وأبلغ أهله، فأقاموا العزاء.

وبعد العزاء بثلاثة أيام، فإذا بهذا الشـخص الذي تكفل بعمرة المتوفى، يتصـل على زوجته، وسـألها: مـاذا كان يعمل زوجهـا، حتـى يلاقي مثل هـذه الخاتمـة التي يحسـده عليها الصـالحون؟! فردت عليه، قالت: والله يا أخي، إن زوجي هذا منذ مدة طويلة لم يعد يصوم أو يصلي، وإن زجاجة الخمر هي

رفيقه الوحيد في حله وترحاله، ولا أذكر له من المحاسن شيئًا إلا شيئًا واحدًا، لنا جارة أرملة فقيرة وعندها أطفال، وزوجي هذا كل ليلة يشتري لنا عشاء للبيت، ويشتري لهم معنا، ويمر عليهم، فيضع أكلهم أمام الباب، ويقول للأرملة: خذي أكلكم من أمام الباب، فتدعو له بهذا الدعاء: «اللّٰه يحسن خاتمتك»، فسبحان اللّٰه، دعاء هذه الأرملة المحتاجة ليس بينه وبين اللّٰه حجاب، وأوصل هذا الرجل السكير إلى خاتمة، كلٌّ منا يتمناها.

الحكمة

«صنائع المعروف تقي مصارع السوء»[1].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ٩٤٣) وفي الكبير (٨/٢٦١ رقم ٨٠١٤) والقضاعي في الشهاب (رقم ١٠٢) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (رقم١٣١٧) والهيثمي في المجمع (٣/١١٥).



اشتقت إلى الزواج

يقول مالك بن دينار: بدأت حياتي ضائعًا سكيرًا عاصيًا، أظلم الناس وآكل الحقوق، وآكل الربا، وأضرب الناس، وأفعل المظالم، ولا توجد معصية إلا وارتكبتها، وكنت شديد الفجور، يتحاشاني الناس من معصيتي؛ اتقاء شري.

وفي يوم من الأيام يقول: اشتقت إلى أن أتزوج؛ ليكون لي طفل أو طفلة، فتزوجت وأنجبت طفلة سميتها فاطمة، وقد أحببتها حبًّا شديدًا، وكلما كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي، وقلَّت المعصية، وإذا رأتني فاطمة أمسك كأسًا من الخمر، اقتربت مني فأزاحته، وهي لم تكمل السنتين، وكأن الله يجعلها تفعل ذلك، آنذاك كلما اقتربت من الله خطوة ابتعدت شيئًا فشيئًا عن المعاصي، حتى اكتمل سن فاطمة ثلاث سنوات، فماتت في ذلك العمر.

فانقلبت بعد موتها أسوأ مما كنت، إذ لم يكن عندي ما يقويني من الصبر على البلاء الذي عند المؤمنين، وتلاعب بي الشيطان، حتى جاء يومًا، فقال لي: لتسكرنَّ اليوم سكرة ما سكرت مثلها من قبل!!

فعزمت أن أسكر، وعزمت أن أشرب الخمر، وظللت طوال الليل أشرب وأشرب وأشرب، فرأيتني تتقاذفني الأحلام، حتى



رأيت تلك الرؤيا: رأيتني يوم القيامة وقد أظلمت الشمس، وتحولت البحار إلى نار، وزلزلت الأرض، واجتمع الناس إلى يوم القيامة، وهم أفواج، وأفواج، وأنا بينهم، فأسمع المنادي ينادي: فلان بن فلان، هلم للعرض على الجبار، فأرى فلانًا هذا، وقد تحول وجهه إلى سواد شديد من شدة الخوف، حتى سمعت المنادي ينادي باسمي: هلم للعرض على الجبار، فاختفى البشر من حولي، وكأن لا أحد في أرض المحشر، ثم رأيت ثعبانًا عظيمًا شديدًا قويًّا، يجري نحوي، فاتحًا فمه.

فجريت من شدة الخوف، فوجدت رجلاً عجوزًا ضعيفاً، فقلت: آه، أنقذني من هذا الثعبان، فقال لي: يا بني، أنا ضعيف لا أستطيع، ولكن اجرِ في هذه الناحية؛ لعلك تنجو.

فجريت إلى حيث أشار لي، والثعبان خلفي، ووجدت النار تلقاء وجهي، فقلت: أأهرب من الثعبان لأسقط في النار؟! فعدت مسرعًا أجري، والثعبان يقترب، فعدت للرجل الضعيف، وقلت له: بالله عليك أنقذني، فبكى رأفة بحالي، وقال: أنا ضعيف كما ترى، لا أستطيع فعل شيء، ولكن اجرِ تجاه ذلك الجبل؛ لعلك تنجو، فجريت في اتجاه الجبل، وإذا بالثعبان سيخطفني، فرأيت على الجبل أطفالاً صغارًا، فسمعت الأطفال كلهم يصرخون: يا فاطمة، أدركي أباك، أدركي أباك.



فعلمت أنها ابنتي، ففرحت أن لي ابنة ماتت، وعمرها ثلاث سنوات، تنجدني من ذلك الموقف، فأخذتني بيدها اليمنى، ودفعت الثعبان بيدها اليسرى، وأنا كالميت من شدة الخوف، ثم جلست في حجري، كما كانت تجلس في الدنيا، وقالت لي: يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

فقال: يا بنيتي، أخبريني عن هذا الثعبان!! قالت: هذا عملك السيئ، أنت كبَّرته ونميته، حتى كاد يأكلك، أما عرفت يا أبي، أن الأعمال في الدنيا تعود مجسمة يوم القيامة؟ فقال لها: ومن ذلك الرجل الضعيف؟! قالت: ذلك عملك الصالح، أنت أضعفته وأوهنته، حتى بكى لحالك، ولا يستطيع أن يفعل لك شيئًا، ولولا أنك أنجبتني، ولولا أني مت صغيرة ما كان هناك شيء ينفعك.

فاستيقظت من نومي، وأنا أصرخ: قد آن يا رب، قد آن يا رب، نعم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ﴾ [الحديد: ١٦]. ويقول: واغتسلت، وخرجت إلى صلاة الفجر، أريد التوبة والعودة إلى الله.

الحكمة

بادر إلى التوبة، قبل فوات الأوان، ولبس الأكفان.



الأب والابن

كان هناك أب في الخامسة والثمانين من عمره، وابنه في الخامسة والأربعين وكانا في غرفة المعيشة وإذا بغراب يطير بالقرب من النافذة، ويصيح، فسأل الأب ابنه: ما هذا؟، فقال الابن: غراب.

وبعد دقائق عاد الأب، وسأل للمرة الثانية: ما هذا؟ فقال الابن باستغراب: سبق أن قلت لك: إنه غراب! وبعد دقائق أخرى عاد الأب وسأل للمرة الثالثة: ما هذا؟ فقال الابن: وقد ارتفع صوته: إنه غراب، غراب يا أبي!

وبعد دقائق أخرى عاد الأب، وسأل للمرة الرابعة: ما هذا؟ فلم يحتمل الابن، واستشاط غضبًا، وارتفع صوته أكثر، وقال: ما لك تعيد عليَّ السؤال نفسه؟ فقد قلت لك: إنه غراب، غراب، هل هذا صعب عليك فهمه؟!

عندئذ قام الأب، وذهب إلى غرفته، ثم عاد بعد دقائق، ومعه بعض أوراق شبه ممزقة وقديمة من مذكراته اليومية، ثم أعطاها إلى ابنه، وقال له: اقرأها.

بدأ الابن يقرأ:



«اليوم أكمل ابني ٣ سنوات، وها هو يمرح ويركض هنا وهناك، وإذا بغراب يصيح في الحديقة، فسألني ابني: ما هذا؟ فقلت له: إنه غراب، وعاد وسألني السؤال نفسه ثلاثًا وعشرين مرة، وأنا أجبته ثلاثًا وعشرين مرة، ولم أتململ من سؤاله، ولو مرة واحدة، ثم حضنته وقبلته وضحكنا معًا حتى تعب، فحملته، وقد نام بين يدي قبل أن أصل به إلى سريره».

الحكمة

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

[الإسراء: ٢٣].

ادعُ لوالديك بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرًا».



القصيدة

طالب ترك ورقة الامتحان فارغة من دون إجابة، ونجح، لماذا تتعجبون من ذلك؟! كيف حدث هذا؟! قصة طريفة حدثت في أثناء امتحانات أحد معلمي اللغة العربية، واسمه بشير.

فبعد انتهاء الطلاب من إجاباتهم قام الأستاذ بشير بتصحيح أوراق الإجابة، وكعادته ما إن يمسك الورقة حتى يبدأ في تصحيح إجابة السؤال الأول، ثم السؤال الثاني، وهكذا، وفي بعض الأحيان يلحظ أن بعض الطلاب يترك سؤالاً أو سؤالين من دون إجابة، وهو أمر معتاد، إلا أن ما أثار استغراب الأستاذ ودهشته ورقة إجابة أحد الطلاب تركها خالية! لم يجب فيها صاحبها عن أي سؤال، ووضع بدل الإجابة القصيدة الآتية التي نظمها خلال مدة الامتحان، وهي:

أبشير، قل لي: ما العمل؟

واليأس قد غلب الأمل، قيل: امتحان بلاغة..

فحسبته حان الأجل، وفزعت من صوت المراقب..

إن تنحنح أو سعل، وأخذ يجول بين صفوفنا..

ويصول صولات البطل أبشير، مهلاً يا أخي..

ما كل مسألة تحلّ، فمن البلاغة نافع..

ومن البلاغة ما قتل، قد كنت أبلد طالب..

وأنا وربي لم أزل، فإذا أتتك إجابتي..

فيها السؤال بدون حل دعها، وصحح غيرها..
والصفر ضعه على عجل.

فما كان من الأستاذ بشير إلا أن أعطى الطالب درجة النجاح في مادة البلاغة؛ لأن الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال تدريسه لمادة البلاغة متوافر في هذا الطالب الذي استطاع نظم هذه القصيدة الطريفة.

الحكمة

قد تسبق العرجاء.

رد الوزير

وزير صحة زار مستشفى الأمراض العقلية، وسأل المدير: كيف تميزون العاقل من المجنون؟

قال المدير: بسيطة، نملأ البانيو ماء، ونضع أمام المريض ملعقة وفنجانًا وسطلاً، ونقول: فرغ البانيو من المياه.

قال الوزير: أكيد، أكيد العاقل سوف يختار السطل، فهل هذا صحيح؟ رد المدير: لا، طبعا، العاقل يرفع سدادة البانيو، فهل تحب أن نختار لك غرفة خاصة أم تقعد مع الشباب في العنبر؟!

الحكمة

ذُو العَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيم بِعَقْلِه

وَأَخُو الجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ[1]

---

(١) هذا البيت من بحر الكامل، وينسب إلى أبي الطيب المتنبي، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/١٦٨) والشنقيطي في أضواء البيان (٥/٤).



امتحان الفيزياء

في امتحان الفيزياء في جامعة كوبنهاجن في الدانمارك جاء أحد أسئلة الامتحان كالآتي: كيف تحدد ارتفاع ناطحة سحاب باستخدام الباروميتر (جهاز قياس الضغط الجوي)؟ (الإجابة الصحيحة: بقياس الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وعلى سطح ناطحة السحاب).

إحدى الإجابات استفزت أستاذ الفيزياء، وجعلته يقرر أن يرسب صاحب الإجابة من دون قراءة باقي إجاباته عن الأسئلة الأخرى، والإجابة المستفزة هي:أربط الباروميتر بحبل طويل، وأنزل الخيط من أعلى ناطحة السحاب، حتى يمس الباروميتر الأرض، ثم أقيس طول الخيط. غضب أستاذ المادة؛ لأن الطالب قاس له ارتفاع الناطحة بأسلوب بدائي، ليس له علاقة بالبارومیتر أو بالفيزياء، فتظلم الطالب، مؤكدًا أن إجابته صحيحة ١٠٠٪ وحسب قوانين الجامعة عُيِّن خبيرٌ للبت في القضية.

أفاد تقرير الخبير بأن إجابة الطالب صحيحة، لكنها لا تدل على معرفته بمادة الفيزياء، وتقرر إعطاء الطالب فرصة أخرى لإثبات معرفته العلمية، ثم طرح عليه الخبير السؤال شفهيًا، فكر الطالب قليلاً، وقال: «لدي إجابات كثيرة لقياس ارتفاع الناطحة، ولا أدري أيها أختار». فقال الخبير: هاتِ كل ما عندك.



فأجاب الطالب: يمكن إلقاء الباروميتر من أعلى ناطحة السحاب على الأرض، ويقاس الزمن الذي يستغرقه الباروميتر حتى يصل إلى الأرض، ومن ثم يمكن حساب ارتفاع الناطحة باستخدام قانون الجاذبية الأرضية، أو إذا كانت الشمس مشرقة، يمكن قياس طول ظل الباروميتر وطول ظل ناطحة السحاب، فنعرف ارتفاع الناطحة من قانون التناسب بين الطولين وبين الظلين، أما إذا أردنا حلاً سريعًا يريح عقولنا، فإن أفضل طريقة لقياس ارتفاع الناطحة باستخدام الباروميتر، هي أن تقول لحارس الناطحة: «سأعطيك هذا الباروميتر الجديد هدية إذا قلت لي: كم يبلغ ارتفاع هذه الناطحة؟» أما إذا أردنا تعقيد الأمور، فسنحسب ارتفاع الناطحة بواسطة الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض، وعلى ناطحة السحاب باستخدام الباروميتر.

كان الخبير ينتظر الإجابة الرابعة التي تدل على فهم الطالب لمادة الفيزياء، بينما الطالب يعتقد أن الإجابة الرابعة هي أسوأ الإجابات؛ لأنها أصعبها وأكثرها تعقيدًا، بقي أن نقول: إن اسم هذا الطالب هو « نيلز بور» وهو لم ينجح فقط في مادة الفيزياء، بل إنه الدانماركي الوحيد الذي حصل على جائزة نوبل في الفيزياء.



الحكمة

- لا تستعجل الحكم على الآخرين.
- لا بـد أنه يوجـد كثيرمن المتميزيـن، قد سحقوا للأبد من أحكام متسرعة في الماضي.
- استفهـم طلب السائل قبـل الإجابة، وماذا يريد أن يعرف؛ لأنه سوف يبني عليها أمورًا كثيرة.



نشدان المعالي

يروى عن التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني -رحمة اللّه عليه- أنه كان يحيي الليل بالصلاة، فإذا فتر وكسل ضرب ساقيه، وقال: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه؟ واللّه لأزاحمنهم عليه؛ حتى يعلموا أنهم خلّفوا بعدهم رجالاً، ثم يصلي إلى الفجر.

الحكمة

اسلك درب التفاؤل والأمل واجلد نفسك بسياط الهمة، وليكن لسان حالك قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنَّ لِي نَفْسًا تَسَامَى
إِلَى مَا لَمْ يَنَلْ دَارا بنُ دَارَا
فَمِنْ هَذَا أَرَى الدُّنْيَا هَبَاءً
وَلاَ أَرْضَى سُوَى الفِرْدَوسَ دَارا

طبيب الأسنان

يقـال: إن جورج بوش دعـا توني بلير علـى الغداء، وبعد الغداء خرجا للصحفيين؛ للإدلاء بتصريح صحفي، فسألهما أحـد الصـحفين: ما هي القـرارات التي اتخذتماهـا في أثناء اجتماعكما؟ قال الرئيس بوش: قررنا أن نقتل عشـرين مليون مسلم وطبيبًا واحدًا للأسنان!

توقـف، فمـا هو السـؤال الذي يـدور في ذهنـك في هذه اللحظة؟ الصحفيون دهشـوا طبعًا، ونظر بعضهم إلى بعض، والكل متلهف لمعرفة لماذا طبيب أسنان واحد فقط؟! فقال أحد الصحفيين للرئيس بوش: ولماذا طبيب أسنان واحد؟!

تبسـم بوش، ثم مال على توني بلير، وهمس في أذنه: ألم أقل لك: إن أحدًا لن يهتم بالعشرين مليون مسلم؟!

انتهت النكتة، هل ضحكتم؟!

أشـعر بالخجـل من نفسـي في هـذه اللحظـة؛ لأني عند قراءتي للنكتة، سألت نفسي: لِمَ طبيب أسنان واحد؟!

بصـدق وبصـراحة، فما الذي فكرتم فيه عند قراءتكم التصـريح، وبالذات حين قال بوش: سوف نقتل عشرين مليون مسلم وطبيب أسنان واحدًا؟

ألم يدر بفكركم هذا السؤال؟ ولِمَ طبيب أسنان واحد؟!، انشغلنا بالطبيب الواحد، ونسينا العشرين مليون مسلم!

الحكمة

وهـذا هو حـال الكثير منا! وهذه هـي سياستهم اللعينـة! توجيـه أنظارنـا بعيـدًا، وشغلنـا بتوافـه الأمور!

كارت مدينة الألعاب

كان الأب مع أبنائه الثلاثة في مدينة الألعاب المخصصة للأطفال، وقد فوجئ الأب بأن كارت الألعاب الذي اشتراه من مكتب الاستقبال لا يعمل، وقد جربه على إحدى الألعاب، وقال في نفسه: ربما أن هذه اللعبة معطلة ، فلأجرب لعبة أخرى، إلا أن الوضع لم يتغير، حيث لم يعمل الكارت.

وهكذا في اللعبة التي تعقبها حدث ما حدث في سابقتها، حتى قام بتجربة الكارت على معظم الألعاب، وكانت النتيجة هي هي في كل مرة، ضاق الأب ذرعًا ونادى أحد مشغلي الألعاب، وقام بشرح مشكلة الكارت الذي اشتراه إلا أنه لم يجد حلاً لمشكلته، فاضطر إلى مناداة مشرف الألعاب، وكانت النتيجة كسابقتها، ثم اضطر إلى الذهاب لمكتب مدير صالة الألعاب الذي أكد له سلامة الكارت من الناحية التشغيلية، وأن الشركات التي تصدر هذه الكروت لايمكن أن تقوم بخداع الناس، والكذب عليهم.

خرج الأب من مكتب مدير الصالة بخفي حنين، وعندما همَّ بالخروج تقدمت إليه طفلة في السابعة من عمرها، قد حضرت المشكلة من أولها، وقالت له: هل تسمح لي بأن أرى الكارت الذي معك، فقال لها: وماذا ستفعلين أنت؟! فإن الفنيين ومدير

الصـالة قبلك لم يسـتطيعوا حل هذه المشـكلة، وكان مضـطرًا لإعطائها الكارت؛ ليرى ماذا ستفعل هذه الصغيرة.

وكانـت المفاجأة عندما رأت الصـغيرة الـكارت، فقالت لـه: إن هذا الكارت لا يخصـ هذه المدينة، وإنما يخص مدينة ألعـاب أخرى تقـع في جنوب المدينـة، عندها بـدأ الأب يفتش جيوبه ليجـد المفاجأة الأخرى بأن كارت المدينة الصـحيح قد وضعه في جيبه الآخر.

الحكمة

تأكد من وجود مشكلة لديك قبل البدء في حلها، وابتعـد عن الحكـم المسبق على الأمـور، فربما يكون الحـل لما نعتقد أنه مشكلة في كثـيرمن الأحيان لدى أناسـ لا نلقي لهم بـالاً؛ لذا فمن الضـروري احترام آراءِ الناس بغض النظر عن أعمارهم.

ضيوف مسلمون

رجل نصراني دخل مسجدًا في مصر، ومعه سكين، وقال: من منكم مسلم؟ فلم يرد عليه أحد إلا واحد شجاع قال له: أنا مسلم، فأخذه خارج المسجد وقال له: عندي ضيوف مسلمون دعوتهم لتناول وجبة العشاء، وعندي خروف، أريدك أن تذبحه وتسلخه على الطريقة الإسلامية.

قال المسلم: أنا أعرف أذبح، ولكن ابحث عن شخص آخر يسلخه، فدخل النصراني المسجد والسكين كلها دم من الخروف، وقال: من مسلم أيضًا؟

فأشار المصلون إلى الإمام الذي رد عليهم، قائلاً:

ماذا حدث؟ ألاني صليت ركعتين أصبحت مسلمًا!!

الحكمة

اترك الحكم المسبق على الأمور، ولا تتعجل.



الهيل والقهوة

هذي معلومــة جميلة أول مرة أعرفهــا، وأردت أن أنقلها إليكــم، وهــي أن الهيل له ميــزة إبطال مفعــول الكافيين على الجســم؛ لــذا فليس مــن العبث أن أضــاف العــرب الهيل إلى القهــوة، إذْ بالإضــافة إلى إكســابها طعمًا ونكهة أفضــل عند مزجهــا بمطحون حبوب الهيل، فإن الدراســات تُشــير إلى أن إحدى خصــائص الزيــوت الطيــارة ذات الرائحــة العبقة في بذوره التي لها ميزة إبطال مفعول الكافيين على الجسم.

ومــن المعــروف أن طريقــة تحميص حبوب الــبن لإعداد القهــوة العربيــة تتطلب أن يكون لونها، بعــد التحميص باهتًا، وليســ بنيًا غامــق اللون، كمــا في تحميص القهــوة التركية أو الإسبرســو، وكمية الكافيين في البن، كمــا يقول الباحثون: تقل كلمــا كان لون حبة البن غامقًا، مــا يعني أن بُنَّ القهوة العربية الأشهب أعلى محتوى من الكافيين.

وتكتســب حبوب الهيل رائحتهــا، ونكهة طعمها من توافر زيــوت ثابتة وطيّارة في بذورهــا، فتركيب حبة الهيل يتكون من ٢٠٪ ماء، و١٠٪ بروتينات، و٢٪ دهون، و٤٢٪ من الســكريات، و٢٠٪ من الألياف، والباقي هوما يسمى الرماد، كما هي العادة في تسمية مجموعة من المواد الطبيعية والمعدنية المتبقية.

الملاحـظ أن الأبحاث حول الهيل لم تنقطع منذ أن بدأت في عـام ١٩٥٠، والمُهم أنه لا تُوجد دراسـات تتحـدث عن آثار عكسـية أو سـيئة لتنـاول الهيـل، ممـا يتطلب البعـد عنه، بل الدراسـات، وإن كان غالبهـا أجري على حيوانـات التجارب، إلا أنها تسـير في اتجـاه أنه من المفيد تناوله علـى أقل تقدير، ويعدّ الهيل أحد أقدم المنتجات النباتية التي اُستخدمت علاجًا للعديد من الأمراض، وهو ما دلت عليه مدونات الطب اليوناني القديم، وكثير من نصـائح الطب الشعبي اليوم في العديد من مناطق العالم.

فالوصـفات الشعبية تنصح بالهيل لاضطرابات عدد من أجهزة وأعضاء الجسم، وهو يفتح الشهية ويُخفف من الغازات وحرقة المعدة اللتين يسببهما تناول الثوم أو البصل، وهو مفيد في تنظيف الفم من الميكروبات، إذ يقضي على التهابات الفم، ويمنـع تكون الرائحـة غير المُحببة فيه، إضـافة إلى أن إخراج زيوته الطيارة من الجسـم عبر الحويصلات الهوائية في الرئة يُعطي النفس رائحة زكية.

كمـا أنـه يُفيـد في تخفيـف أعراض الجهـاز البـولي واضـطرابات البروسـتاتا وحرقـة التبول، وأيضًـا مفيد لرفع المـزاج وإزالـة الاكتئاب، كمـا أنه يخفف مـن أعراض الجهاز التنفسـي، وذلك بطرد البلغم وتسكين نوبات السعال الجاف،

وكثيرون يُشيرون إلى قدراته على مقاومة الميكروبات، وتنصح رابطة الحمل الأمريكية بتناول بعض الهيل أو زيته؛ للتقليل من الغثيان والقيء في أثناء الحمل، ولاكتساب رائحة طيبة للنفس والفم من دون أن يكون ذلك مُضرًا بالجنين.

الحكمة

الحَرْبُ فِي حَقٍّ لَديكَ شَرِيعَةٌ

وَمِنَ السُّمُومِ النَّاقِعَاتِ دَوَاءُ[1]

(١) هذا البيت من بحر الكامل، وينسب إلى أمير الشعراء: أحمد شوقي.

الفريق العربي والياباني

ذات مرة كان هناك سباق تجديف بين فريقين: «عربي» و«ياباني» كل قارب يحمل على متنه تسعة أشخاص، وفي نهاية السباق وجدوا أن الفريق الياباني فاز بفارق رهيب جدًّا، وبتحليل النتيجة وجدوا أن الفريق الياباني يتكون من مدير قارب وثمانية مجدفين، والفريق العربي يتكون من ثمانية مديرين و مجدف واحد، حاول الفريق العربي تعديل التشكيل ليتكون من مدير واحد، مثل الفريق الياباني، وأعيد السباق مرة أخرى، وفي نهاية السباق وجدوا أن الفريق الياباني فاز بفارق رهيب جدًّا، تمامًا مثل المرة السابقة.

وبتحليل النتيجة وجدوا أن الفريق الياباني يتكون من مدير قارب وثمانية مجدفين، والفريق العربي يتكون من مدير عام، وثلاثة مديري إدارات، وأربعة رؤساء أقسام ومجدف، فقرر الفريق العربي محاسبة المخطئ، ففُصِل المجدف من عمله!

الحكمة

المركب الذي له رئيسان يغرق، فما بالك بأكثر من رئيسين!



زوجي العزيز

أكتب إليك هذه الرسالة؛ لأخبرك أنني قررت الانفصال عنك. لقد كنت زوجة طيبة طوال سنوات زواجنا السبع، ولكن الأسبوعين الأخيرين كانا جحيمًا بالنسبة لي. لقد اتصل رئيسك اليوم؛ ليخبرني أنك استقلت من عملك، ولم أستطع بعدها التحمل أكثر، كما أنه عندما عدت إلى البيت في بداية الأسبوع الماضي لم تلاحظ أنني قد زينت شعري من أجلك، واعتنيت بأظافري، وأنني طبخت أكلتك المفضلة، وقمت بارتداء ملابس جديدة من أجلك، ولكنك تناولت الطعام وشاهدت برنامجك الرياضي المفضل وذهبت للنوم، ونسيت أن تقول حتى كلمة طيبة، بعد كل الذي فعلته من أجلك، وأنا التي كنت أتوقع منك كلمات الحب والإطراء، وأن تقترب مني، وتلمسني بحنان، وهذا يعني، إما أنك تخونني أو أنك توقفت عن حبي، وعليه فأنا مغادرة البيت إلى الأبد.

ملاحظة: لا تحاول الاتصال بي، فقد قررت أنا وأخوك الانتقال إلى السكن معًا في جنوب كاليفورنيا.

زوجتك السابقة

فردَّ عليها: سررت كثيرًا بتسلم رسالتك اليوم، وما ورد فيها عن زواجنا الذي استمرسبع سنوات صحيح، ولكنك كنت



أبعد شيء عن الزوجة المثالية، فأنا أشاهد المباريات الرياضية ليس حبًّا فيها، بل للهرب من تذمرك المستمر، ولكن يبدو أنني لم أنجح في ذلك، لقد لاحظت في ذلك اليوم أنك قمت بقص شعرك، ما جعلك تبدين مثل الرجل. وقد علمتني والدتي أن أصمت، عندما لا يكون لدي شيء حسن، أو جميل أقوله. وعندما نظرت إلى صحن «البورك»، أو ما أسميته وجبتي المفضلة، شعرت بحزن.

فمن الواضح أنك خلطت بين ما أحبه وما يحبه أخي كارل، فقد توقفت منذ سنوات عن تناول «البورك»، وهي الأكلة التي لا تزال مفضلة لديه. فتجاهلت عواطفك بعدها، ولم أُعِر أمر ملابسك الجديدة أي اهتمام لسبب مهم، وهو أن بطاقة السعر كانت لا تزال تتدلى منها. وكنت أتمنى أن أكون مخطئًا في ظنوني، بعد أن لاحظت أن السعر المدون على البطاقة يعادل المبلغ الذي اقترضه أخي مني صباح ذلك اليوم؛ ليشتري لك هدية.

وعلى الرغم من كل الظنون والشكوك والتجارب المخيبة للأمل، فإنني كنت لا أزال أحبك قبل أن أتسلم رسالتك، وكنت أعتقد أن بالإمكان إنقاذ زواجنا، خاصة بعد أن ربحت جائزة اليانصيب الكبرى البالغة عشرة ملايين دولار، فاستقلت من وظيفتي، وقمت بشراء تذكرتي طائرة لك ولي؛ للذهاب في رحلة إلى جزر البهاما. ولكن عندما عدت إلى البيت كنت

قـد غادرتـه إلى الأبد. فأتمنى لك حياة سـعيدة مع أخي، وأن تحققي كل طموحاتك معه.

ملاحظة أولى: أكد لي المحامي أن خطابك كافٍ لحرمانك من كامل نصيبك في الجائزة.

ملاحظـة ثانيـة: لا أعلـم إن كنت قد أخبرتـك عن هذا مـن قبـل، وهو أن أخـي كارل وُلِد بنتًا، اسـمها «كارلا» قبل أن يقوم بتغيير جنسـه، أرجو ألا يشـكل هذا عائقًا أمام سعادتك المستقبلية.

حر، وغني إلى الأبد!

الحكمة

لا تستعجـل، «فالعجلـة من الشيطـان»[1]، ومن تأنى نال ما تمنى.

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٠٤ رقم ٢٠٠٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٠١١).



المسجد المهجور

كنا في جدة عند الوالدة -حفظها الله- في صباح يوم الجمعة، وعند الضحى سألت خالي: ما رأيك في أن نذهب إلى مكة لصلاة الجمعة هناك، ونرجع مباشرة؟ فقال: فكرة طيبة، نشرب الشاي، ونذهب، قلت: الآن، قبل أن يصيبنا الشيطان بالكسل، ولك علي أن أشتري لك شايًا في الطريق، وذلك لندخل الحرم قبل الزحمة، فاليوم الجمعة، وكل أهل مكة يصلون هناك.

وبينما نحن في الطريق السريع، لفت نظري قبل مكة بنحو خمسة وأربعين كيلومترًا أو تزيد قليلاً في الناحية الأخرى من الطريق بيت أبيض من بيوت الله (مسجد) ولفتت نظري أشياء عدة: لونه أبيض رائع، و مئذنته جميلة عالية نسبيًا، ومبني أسفل سفح جبل، أو على تلة تقريبًا، ما يجعل الوصول إليه يبدو صعبًا نوعًا ما، خا صة على كبار السن، وإن كان واضحًا أن من بنى هذا المسجد بناه على هذه الصورة من أجل أن يظهر للناس من بعيد أن في هذا المكان مسجدًا، والمسجد كان مهدَّمًا، أو بمعنى أصح كان عبارة عن ثلثي مسجد فقط، والجزء الخلفي مهدوم تمامًا، ولا توجد أبواب أو حتى شبابيك، فهو ليس أكثر من مسجد مهجور مرتفع عن الأرض، لا أدري

لماذا بقي منظر هذا المسجد في قلبي، وصورته ما فارقت خيالي أبدًا؛ فربما لشموخه، ووقوفه ضد السنين، اللّٰه أعلم.

وصلنا مكة، ولله الحمد، وأوقفنا السيارة خارجها؛ نظرًا لشدة الزحام، وصلينا وسمعنا الخطبة، وبعد الصلاة ركبنا سيارتنا، وأخذنا طريق العودة، وللمرة الثانية لا أدري لماذا ظهرت صورة المسجد نفسه في بالي، المسجد الأبيض المهجور، فأخذت أكلم نفسي، وبعد مدة يظهر لنا المسجد، فأخذت ألتفت يمينًا، أبحث عنه، وأذكر أن بجانبه مبنى المعهد السعودي الياباني بنحو خمس مئة متر، وكل من يمر بالخط السريع يستطيع أن يراه، فمررت بجانب المسجد ونظرت إليه، ولكن لفت انتباهي شيء، سيارة فورد زرقاء اللون، تقف بجانبه، ومرت ثوانٍ، وأنا أفكر: لماذا تقف هذه السيارة هنا؟ وما حكاية صاحبها؟

اتخذت قراري سريعًا، إذ هدّأت السرعة، واتجهت يمينًا على الخط الترابي ناحية المسجد وليقضِ اللّٰه أمرًا كان مفعولاً، ووسط ذهول خالي، وهو يسألني: خيرًا ماذا بك؟! خير، هل حدث شيء؟! اتجهت يمينًا من عند المعهد السعودي الياباني في خط ترابي نحو خمس مئة متر، ثم يمينًا مرة أخرى، ثم داخل أسوار مزرعة قديمة، حتى توجهت إلى المسجد مباشرة، فسألني خالي: خيرًا، ماذا بك؟! قلت: أبدًا أريد أن أعرف

حكاية صاحب هذه السيارة، قال: ما لنا، وما للناس؟ قلت: دعنا نعرف الحكاية، وبالمرة نصلي العصر، أعتقد أذَّن، وعندما رآني مصممًا، ومتجهًا بقوة إلى المسجد سكت.

أوقفنا السيارة أسفل المسجد وارتقينا، حتى وصلنا إلى المسجد، وإذا بصوت عالٍ يرتل القرآن باكيًا، ويقرأ من سورة الرحمن، وكان يقرأ هذه الآية بالذات: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فكرت أن ننتظر في الخارج، نستمع إلى هذه القراءة، ولكن الفضول قد بلغ بي مبلغه، أريد أن أرى ماذا يحدث داخل هذا المسجد المهدوم ثلثه، الذي حتى الطير لا تمرّ فيه.

دخلنا المسجد، وإذا بشاب وضع سجادة صلاة على الأرض، وفي يده مصحف صغير يقرأ فيه، ولم يكن هناك أحد غيره، وأؤكد لم يكن هناك أحد غيره، قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نظر إلينا، وكأننا أفزعناه، مستغربًا من حضورنا، ثم قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، سألته هل صليت العصر؟ قال: لا، قلت: هل أذنت؟ قال: لا، كم الساعة؟ قلت: وجب العصر، فأذنت، وعندما ذهبت أقيم الصلاة، وجدت الشاب ينظر ناحية القبلة ويبتسم، غريبة ابتسامته! يبتسم لمن؟ وما السبب؟

وقفت أصلي، ولكني سمعت الشاب يقول جملة طيرت عقلي تمامًا، قال بالحرف الواحد: (أبشر، جماعة مرة واحدة!) نظر إليّ خالي متعجبًا، فتجاهلت ذلك، ثم كبرت للصلاة، وأنا عقلي مشغول بهذه الجملة: (أبشر، جماعة مرة واحدة!)، وبمن يكلم هذا الشاب، وما معنى ما يقول؟ فأنا متأكد من أن المسجد كان خاليًا، فهل يمكن أن يكون أحد دخل دون أن أراه، هل هو مجنون؟ لا أعتقد، أبدًا، ولكن من يكلم، وهو يصلي خلفي، فقد كان تفكيري منشغلاً به تمامًا في أثناء الصلاة.

بعد الصلاة، أدرت وجهي لهما، وحين أشار لي خالي بالانصراف قلت له: اذهب أنت، وانتظرني في السيارة وسوف ألحق بك؛ فنظر إليّ كأنه يخاف عليّ من هذا الشاب الغريب الذي توقف عند مسجد مهجور، ويقرأ القرآن فيه، ولا نعلم من يكلم، حين يقول: (أبشر، جماعة مرة واحدة).

أشرت إلى خالي بأني سوف أجلس قليلاً، ونظرت إلى الشاب الذي كان ما زال مستغرقًا في التسبيح، ثم سألته كيف حال الشيخ؟ فقال: بخير، ولله الحمد، وسألته: ما تعرفت عليك، فقال: فلان بن فلان، قلت: فرصة سعيدة يا أخي، ولكن -سامحك الله- أشغلتني عن الصلاة، فسألني: لماذا؟ قلت: وأنا أقيم الصلاة سمعتك تقول: (أبشر، جماعة مرة واحدة!) فضحك، وقال: وماذا في هذه العبارة؟ قلت: ما

فيها شيء، ولكن من كنت تكلم؟ ابتسم ونظر إلى الأرض، وسكت لحظات، وكأنه يفكر: هل يخبرني أم لا؟ هل سيقول كلمات أعجب من الخيال، أقرب للمستحيل تجعلني أشك في أنه مجنون، كلمات تهز القلوب وتدمع الأعين، أم يكتفي بالسكوت؟! فقال: لو قلت لك ربما تقول: إنني مجنون، تأملته مليًّا، وبعدها ضممت ركبتي إلى صدري؛ حتى تكون الجلسة أكثر حميمية، وأكثر قربًا، وأكثر صدقًا، وكأننا أصحاب منذ زمن، فقلت: ما أعتقد أنك مجنون، فشكلك هادئ جدًّا، فقد صليت معنا، وما سمعت لك صوتًا.

نظر إليّ، ثم قال كلمة نزلت عليّ كالقنبلة، وجعلتني أفكر فعلاً: هل هذا الشخص مجنون، إذ قال: كنت أكلم المسجد، قلت: نعم!! قال: كنت أكلم المسجد، فسألته؛ حتى أحسم هذا النقاش مبكرًا: وهل رد عليك المسجد؟

تبسم الشاب، ثم قال: أما قلت لك: إنك ستقول عني: إنني مجنون؟ إذ الحجارة لا ترد، فهي مجرد حجارة! تبسمت، وقلت: كلامك صحيح، طالما أنها لا ترد، فلماذا تكلمها؟! فقال: هل تنكر أن منها ما يهبط من خشية الله، فقلت: سبحان الله! كيف أنكر، وهذا مذكور في القرآن؟! قال: وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قلت: إنني لا أفهمك. قال: سوف أخبرك، ونظر إلى الأرض مدة، وكأنه ما زال يفكر: هل يخبرني؟ هل أستحق أن أعلم؟

ثـم قال دون أن يرفع عينيه: أنا إنســان أحب المســاجد، كلمــا رأيت مســجدًا قديمًــا، أو مهدَّمًا، أو مهجــورًا أفكر فيه، وأفكــر في الأيــام التــي كان النـاس يصــلون فيــه، وأقول: ربما يكون المســجد الآن مشــتاقًا للصلاة فيه، ربما يحن لذكر الله، فأحســ، أحس أنه ولهان إلى التســبيح والتهليل، ويتمنى لو آية تهــز جدرانــه، وأفكر، وأفكــر، فربما يمكن يمر وقــت الأذان، وإذا بالمئذنــة مشــتاقة، وتتمنى أن تنادي: حي على الصــلاة، وأحس أن المســجد يشعر أنه غريب بين المساجد، يتمنى ركعة، أو سجدة، فأحس بحزن لحال القبلة التي تتمنى: لا إله إلا الله أو يمرّ عابر سبيل يقول: الله أكبر، ثم يقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] وأقول في نفســي: والله لأطفئنّ شوقك، والله لأعيــدن فيك بعضــ أيامك وأنزل من ســيارتي وأصــلي ركعتين لله، وأقرأ فيه جزءًا من القرآن.

فقال: لا تقل: إن فعلي غريب، ولكني والله أحب المساجد، فدمعت عيناي، ونظرت في الأرض مثله؛ حتى لا يلاحظ دموعي من كلامه، ومن إحســاســه، ومن أســلوبه، ومن فعله العجيب، من رجل تعلق قلبه بالمساجد، فما وجدت كلامًا يقال، فاكتفيت بكلمة: الله يجزيك كل خير.

آنــذاك بدأ خــالي يدق لي آلة تنبيه الســيارة يســتعجلني، فقمت، وسلمت على الشاب وقلت له: لا تنسني من صالح دعائك،

وبينما أهمّ بالخروج من المسجد، قال وعيناه ما زالتا في الأرض: هـل تعلم ما دعائـي دائمًا، وأنا خارج من كل مسـجد مهجور أو مهـدّم أو قديم؟ فنظرت إليه متأملاً، ومفكرًا، وأنا أود أن يطول الزمـن؛ لأنظر إليه، وأعرف دعاء من هذا حاله، وما كنت أتوقع هذا الدعاء منه.

قـال: دعائي هـو: «اللهم، اللهم، اللهـم، إن كنت تعلم أني آنسـت هذا المسجد بذكرك العظيم، وقرآنك الكريم، لوجهك يا رحيم، فآنس وحشـة أبي في قبره، وأنت أرحم الراحمين، حينها تتابـع الدمع مـن عيني، ولم أسـتحِ أن أخفي ذلـك، وكياني كله يـردد: أي فتى هذا! وأي بر بالوالدين هـذا! ليتني مثله! بل ليت لي ولـدًا مثلـه! كيف رباه أبـوه؟! أي تربية! وعلى أي شـيء نربي نحن أبناءنا؟!

هزني هذا الدعاء، واكتشـفت أني مقصر للغاية مع والديَّ رحمهما اللّٰه، وكم من المقصـرين بيننا مع والديهم، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، فإني أرى بعض الشباب حين تأتي صلاة الجنازة أو عند دفن أحد والديهم يبكون بحرقة، ويرفعون أكفهم بالدعاء بصوت باكٍ، يقطع نياط القلوب... وأتفكر: هل هم بررة بوالدهم أو والدتهم إلى هذه الدرجة؟! أم أن هذا البكاء محاولة لتعويض ما فاتهم من بِرّهم بوالديهم؟! أم أنهم الآن فقط شعروا بالمعنى الحقيقي لكلمة: أب، أو كلمة: أم؟!

الحكمة

«بيوت الله في الأرض المساجد، وزوارها عمارها»[(١)]، «فمن بنى لله بيتًا، ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة»[(٢)].

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/١٦١ رقم ١٠٣٢٤) وهناد في الزهد (رقم ٩٥٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (رقم ١٦١٠) وابن خزيمة (رقم ١٢٩٢) وابن ماجه (رقم ٧٣٨) وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (رقم ٤١٧).

خبث اليهود

في زمن مضى كان البابوات (جمع بابا) يبيعون للناس أراضي في الجنة، وكانت أسعارها غالية جدًّا، وبرغم غلائها، فإن الناس مقبلون عليها بشكل كبير جدًّا، وكان الشخص بشرائه أرضًا في الجنة، يضمن دخوله الجنة مهما فعل من معاصٍ في الدنيا.

ويأخذ الشخص صكًا (عقدًا) مكتوبًا فيه اسمه، وأنه يملك أرضًا في الجنة، وكان ربح الكنيسة من هذه المبيعات عاليًا جدًّا جدًّا، وفي يوم من الأيام جاء أحد اليهود للبابا، وقال له: أريد شراء النار كاملة!

فتعجب البابا من أمر هذا اليهودي، واجتمع مسؤولو الكنيسة، وقرروا بينهم القرار الآتي: أراضي النار أراضٍ كاسدةٌ خاسرة، ولن يأتينا غبي آخر غير هذا الغبي ليشتريها منا، فسنبيعها له بثمن عالٍ ونتخلص منها!

وهكذا قرر البابا أن يبيع النار، واشترى اليهودي النار كاملةً من الكنيسة. وأخذ عليها صكًا (عقدًا) مكتوبًا فيه: إنه اشترى النار كاملة! وبعدها خرج اليهودي للناس جميعًا وقال لهم: إنه اشترى النار كاملةً.



ورأى الجميع العقد المكتوب فيه ذلك، وقال لهم: إن كنت قد اشتريت النار كاملة، فهي ملكي، وقد أغلقتها، ولن يدخلها أي أحد، فما حاجتكم لشراء أراضٍ في الجنة، وقد ضمنتم عدم دخول النار؛ لأني أغلقتها؟ وعندها لم يشترِ أي شخص أرضًا في الجنة؛ لأنه ضمن عدم دخول النار، وبدأت الكنيسة تخسر أموال تلك التجارة، ولم تعد تدرّ لها شيئًا، فعادت الكنيسة، واشترت من اليهودي النار التي كانت قد باعتها له، ولكن بأضعاف أضعاف سعرها الأصلي!

الحكمة

ما تبيعه اليوم قد تشتريه غدًا بمبالغ مضاعفة.



الصداقة بين النساء

لم تعد الزوجة إلى بيتها ذات ليلة، وفي اليوم المقبل قالت لزوجها: إنها كانت نائمة عند صديقة لها، فاتصل الزوج بأفضل عشر صديقات لزوجته، فأنكرن رؤية زوجته تلك الليلة.

الحكمة

فتش عن المرأة، فالعذاب امرأة.



الصداقة بين الرجال

لم يعد الزوج إلى بيته ذات ليلة، وفي اليوم المقبل قال لزوجته: إنه كان نائمًا عند صديق له، فاتصلت الزوجة على أفضل عشرة أصدقاء للزوج : ثمانية منهم أكدوا أنه كان نائمًا عندهم، واثنان أقسما أنه لا يزال عندهم.

الحكمة

الرجال رجال، حتى في الكذب.



المنطق

طالب جامعي مهمل، بعدما رسب في مادة المنطق ذهب لمراجعة الدكتور.

الطالب: سيدي البروفيسور، هل صحيح أنك تفهم كل شيء في المنطق؟

الدكتور: طبعًا أفهم، وهذا هو السبب الذي على أساسه ينادونني بروفيسور.

الطالب: هل يمكن أن أسألك سؤالاً واحدًا في المنطق، وتجيبني عنه؟ ولكن بشرط إذا لم تعرفه تغير اليوم درجتي من رسوب إلى ممتاز؟

الدكتور: موافق.

فقال الطالب:

- ما هو الشيء القانوني، لكنه غير منطقي؟
- و ما هو الشيء المنطقي، لكنه غير قانوني؟
- وما هو الشيء غير المنطقي وغير القانوني؟

الدكتور حاول وفكر، لكن ما عرف الجواب.

وفي اليوم الثاني غيّر درجة الطالب من رسوب إلى ممتاز على حسب الاتفاق، وبعدها بمدة ذهب إلى الدكتور أحسن طالب متميز عنده في الصف، فطرأت في مخه فكرة أن يسأله السؤال نفسه الذي سأله له الطالب الذي رسب.

قال الطالب المتميز: بسيطة يا دكتور، وإليك الإجابة:

حضرتك عمرك ٦٥ سنة، ومتزوج امرأة عمرها ٢٤ سنة، وهذا قانوني، لكنه غير منطقي.

وهي تخونك وتحب طالبًا عمره ٢٥ سنة، وهذا منطقي، لكنه غير قانوني.

وهذا الطالب أكثر طالب مهمل في الجامعة، وحضرتك أعطيته درجة ممتاز، وهذا غير قانوني وغير منطقي، فهمت يا دكتور المنطق؟!

الحكمة

إذا كنت تعلم أنك أعلم الناس، فأنت أجهلهم.



العُميان والفيل

يُحكى أن ثلاثةً من العُميان دخلوا في غرفة بها فيل، وطُلِبَ منهم أن يكتشفوا ما هو الفيل ويبدؤوا في وصفه، وبدؤوا في تحسُّس الفيل، وخرج كلٌّ منهم ليبدأ في الوصف.

قال الأول: الفيل هو أربعة عمدان على الأرض!

وقال الثاني: الفيل يشبه الثعبان تمامًا!

وقال الثالث: الفيل يشبه المكنسة!

وحين وجدوا أنهم مختلفون بدؤوا في الشجار، وتمسّك كلٌّ منهم برأيه، وراحوا يتجادلون ويتّهم كلٌّ منهم الآخر بأنّه كاذب ومُدّعٍ!

بالتأكيد أنّك لاحظت أنّ الأول أمسك بأرجل الفيل، والثاني بخرطومه، والثالث بذيله، ومن ثم كان كلٌّ منهم يعتمد على برمجته وتجاربه السابقة.

لكن هل التفتّ إلى تجارب الآخرين؟ من منهم على خطأ؟ في القصة السابقة، هل كان أحدهم يكذب؟

بالتأكيد لا، أليس كذلك؟ من الطريف أن الكثيرين منا لا يستوعبون فكرة أن للحقيقة أكثر من وجه، فحين نختلف لا



يعنـــي هذا أن أحدنا على خطأ، فقد نكون جميعًا على صــواب، لكن كل منا يرى ما لا يراه الآخر! ومن ثم، فليس صـحيحًا أن يقال: إن لم تكن معنا فأنت ضدنا!

الحكمة

- **للحقيقة أكثر من وجه، وكل يأخذ بطرف منها.**
- **قد نختلف، ويكون كلٌّ منا على صواب.**
- **استفـد مـن آراء الآخريـن، ولـو كانـت مخالفـة لرأيك.**
- **الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.**



أسئلة الامتحان

• في مادة الجغرافيا:

سؤال: لماذا تشرق الشمس في الرياض قبل مكة المكرمة؟
الجواب: لأن الرياض عاصمة المملكة.

سؤال: عَرِّف البراكين.

الجواب: هي مثل الزلزال، ولكن بنار سائلة، انظر الكتاب، فالصورة في صفحة ١٠٤.

• في مادة اللغة الإنجليزية:

وضعت صورة طماطم وتحتها اسمها بالإنجليزي: (tomatoes).

ثم وضعت صورة تفاحة وطلب المدرس اسمها بالإنجليزي، فكتب أحد الطلبة تحتها: توفيحتوس (tofahtoes).

وفي سؤال عن تعريف الجاذبية الأرضية، أجاب أحد الطلبة:

هو أنك لا تستطيع القفز مسافة عالية.

• في مادة النحو:

أعرب: يا تركي، اجتهد.

أجاب الطالب: يا: حرف نداء. تر: اسم، وهو مضاف. كي: مضاف إليه مستعار من الحرف الإنجليزي K، وهو أعجمي ممنوع من الصرف، اجتهد: خبر بمعنى ابذل قصارى جهدك.

- في مادة الأدب:

سؤال: خطبة البتراء من قائلها؟ وما سبب التسمية؟

الجواب: خطبة البتراء قالتها البتراء، وسبب التسمية لأنها بُترت يداها وقدماها.

- في مادة الفقه:

سؤال: ما تعريف قتل العمد؟ وقتل الخطأ؟

الجواب: قتل العمد: هو القتل بالعمود سواءً من الخشب أو الحديد، وقتل الخطأ: أن يقصد قتل رجلٍ، فيقتل آخر.

الحكمة

- العلم خزائن مفاتيحها السؤال[1].

- ضاع العلم بين الحياء، وقلة السؤال.

(١) أخرجه الدارمي في سننه (رقم ٥٤٩) عن ابن شهاب الزهري رحمه الله، ولفظه: العلم خزائن ويفتحها المسألة. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣٤٥/٩).



مولى لقمان الحكيم

كان لقمــان مــع مــولاه، فدخــل مــولاه الخــلاء، فأطــال الجلوســ، فناداه لقمان: إن طول الجلوس على الحاجة تنجع من صــاحبها الكبد، وتورث الباســور، وتصــعد الحــرارة إلى الرأس، فاقعد هوينى وقم. فخرج مولاه، وقد كتب حكمته على باب الخلاء.

وكان مــولى لقمان يقامر، وعلى بابه نهــر جارٍ، فلعب يومًا بالنرد على أن من قمر صــاحبه شــرب الماء الذي في النهر كله، أو افتدى منه! فقُمِر مولى لقمان، فقال له القامر: اشــرب ما في النهر، وإلا فافتدِ منه! قال: فسلني الفداء؟ قال: عيناك أفقؤهما أو آخذ جميع ما تملك؟ قال: أمهلني يومي هذا؟ قال: لك ذلك.

فأمســى مولى لقمان كئيبًا حزينًــا، إذ جاءه لقمان، وقد حمل حزمة حطب على ظهره، فسـلم على ســيده، ثم وضع ما معه ورجع إلى ســيده، وكان سيده إذا رآه عبث به، فيسمع منه الكلمــة الحكيمة، فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لســيده: ما لي أراك كئيبًا حزينًا؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك، فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجًا؟ فقص عليه القصــة، فقال لــه لقمان: لا تغتــم، فإن لك عندي فرجًا، قــال: وما هو؟ قال:



إذا أتاك الرجل، فقال لك: اشرب ما في النهر، فقل له: أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد؟ فإنه سيقول لك: اشرب ما بين الضفتين، فإذا قال لك ذلك، فقل له: احبس عني المد؛ حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما ضمنت له. فعرف سيده أنه قد صدق، فطابت نفسه، فأعتقه.

الحكمة

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].



ثرثرة سائق تاكسي

قبـل مدة طويلة ركب سـائح أمريكي مع سـائق تاكسـي اسـمه كريم من فندق شيراتون الجزيرة الذي أخذني منه أنا شخصيًا، وهو يدعى الآن سوفتيل الجزيرة، وبدلاً من أن يطلب السـائح من كريم الذهاب إلى الأهرامات أو المتحف المصـري طلـب منه أن يتناول أكلة مصـرية شـعبية تدعـى: «تامييـة» أو «تئمية» أو «تأتمية». وبعفوية المصـريين ردَّ عليه كريم: «يخرب بيتك تريد أن تأكل طعمية» فأخذه إلى (الجحش) أشهر مطعم طعمية في مصـر، وهنـاك أكل الأمريكي ثلاثـة أطباق كاملة، حتـى كاد يغمـى عليه من التخمـة، وحين قرر المغـادرة أعطى كريمًا خمسين دولارًا لدفع ثمن الطعمية (أخذها كريم دون أن يخبره أن ثمنها لا يتجاوز ثلاثة جنيهات فقط).

وخلال الأيام الثلاثة المقبلة كان يأخذه كل صباح؛ لتناول الطعمية عند الجحش (ويضـع خمسـين دولارًا في جيبه). وفي اليوم الرابع انتظره في الموعد نفسه وحين ركب بادره بالسؤال: هل سنذهب إلى الجحش أيضًا؟ فردّ عليه: «لا، اليوم سنذهب إلى الرئيس» فسـأله: «أي رئيس؟» قال: «أنور السـادات» فقال السـائق متهكمًا: «السـادات حتة واحدة!» فأجابـه الأمريكي: «نعم، أنا صحفي، وسأجري لقاء معه».



وهنا ارتبك السائق، وبدأ يتصبب عرقًا، وقال «لا، يا عم، أنا أصلًا لا أعرف أين يسكن، تفضل انزل وخذ تاكسي آخر». فقال الأمريكي: «أنا رفضت سيارة الخارجية من أجلك، والآن تريدني أن آخذ تاكسي آخر».

وفي النهاية بعد أخذ وردّ رضخ كريم للأمر الواقع وأخذه إلى القصر الرئاسي، حيث تعرف حرس الأمن على الصحفي وسمحوا للتاكسي بالدخول للمواقف الخارجية، ولكنّ السائق كريمًا رفض مرافقة الصحفي للداخل، وأصر على البقاء في التاكسي خارج المبنى الرئيس.

وبعد ساعة تقريبًا حضر رجلان من أمن القصر إلى حيث ينتظر كريم، وطلبا منه مرافقتهما للداخل. وحسب تعبيره لم تستطع ركبتاه حمله، ولكنه ذهب معهما، وهو يرتجف من الرهبة والخوف، وهناك قابل رجلًا مهيبًا أخبره بأن «الرئيس» يريد مقابلته، وأن عليه الالتزام بكلمة «حاضر» و«تحت أمرك» حتى ينتهي اللقاء.

ومباشرة اقتادوه إلى مكتب السادات الذي كان يدخن غليونه وأمامه مباشرة جلس الصحفي الأمريكي الذي بادره بقوله: «ادخل كريم، فقد أخبرت الرئيس كم كنت لطيفًا وكريمًا معي، فأراد أن يشكرك شخصيًّا».. ولكن السادات أشعل غليونه، وقال له (باللغة العربية): «يا رجل، يا نصاب،



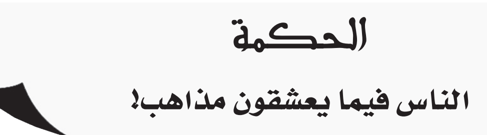
تأخذ من الخواجة ١٥٠ دولارًا من أجل حتة طعمية». فتلعثم الأسطى، وقال: «والله يا سعادة الرئيس، هو الذي...»، ولكن الرئيس أكمل: «وما معنى أن تأخذه إلى الجحش؟ فإن الأكل لديه غير جيد، كما أنه الآن كبر وصار حمارًا». وهنا سقط كريم على الأرض مغشيًّا عليه؛ لأنه منذ تعرف على السائح الأمريكي كان يخشى معرفة شرطة السياحة بحكاية الخمسين دولارًا، والآن وصلت قضيته إلى الرئيس نفسه.

وحين استيقظ، بعد أن سقط مغشيًّا عليه وجد نفسه في غرفة أخرى مختلفة وخلف رأسه وقف الصحفي الأمريكي الذي قال مبتسمًا: «هيّا استيقظ؛ لنذهب إلى الجحش»، وكانت هذه الجملة هي الجملة الوحيدة التي قالها بالعربي!

وحتى هذه اللحظة لم أكن متأكدًا من صحة القصة التي قصها عليّ سائق التاكسي، حتى فتح درج التاكسي، وأخرج صورة قديمة لرجل أشقر كتب تحتها:

شكرًا صديقي كريم، على التأأمية، وسأتذكرك كلما شاهدت الأهرامات وأبو الهول.

أرنود بورشجراف صحفي من الواشنطن بوست/ يونيو ١٩٧٣.





حكمة الأحنف

كان الأحنف بن قيس سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر. حدّث عن عمر وعلي وأبي ذر والعباس وابن مسعود وعثمان بن عفان، وعمرو بن جاوان والحسن البصري وعروة بن الزبير وطلق بن حبيب وعبد الله بن عميرة ويزيد ابن الشخير وخليد العصري وآخرين، وهو قليل الرواية.

قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا قليل الحديث، وكان صديقًا لمصعب بن الزبير، فوفد عليه في الكوفة، فمات عنده في الكوفة. قال أبو أحمد الحاكم: هو الذي فتح مدينة مرو الروذ وكان الحسن وابن سيرين في جيشه ذاك. وروي عن الأحنف بن قيس قال: بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان، إذ لقيني رجل من بني ليث، فأخذ بيدي، فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى، قال: أما تذكر، إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد، أدعوهم إلى الإسلام، فجعلت أخبرهم وأعرض عليهم، فقلت: إنه يدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسنًا؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**اللهم، اغفر للأحنف**، فكان الأحنف يقول: فما شيء أرجى عندي من ذلك»[1].

وروي عن الأحنف أيضًا أنه قدم على عمر رضي الله عنه بفتح تستر، فقال: قد فتح الله عليكم تستر، وهي من أرض البصرة،

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٢/٥) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (رقم ١٢٢٥) والحاكم (٧١٢/٣ رقم ٦٥٧٣).



فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين، إن هذا يعني الأحنف الذي كف عنا بني مرة، حين بعثنا رسول الله ﷺ في صدقاتهم، وقد كانوا هموا بنا، قال الأحنف: فحبسني عمر عنده سنة يأتيني في كل يوم وليلة، فلا يأتيه عني إلا ما يحب، ثم دعاني، فقال: يا أحنف، هل تدري لَم حبستك عندي؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين، قال: إن رسول اللّه ﷺ حذرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون منهم، فاحمد اللّه يا أحنف[1].

قال خليفة: توجه ابن عامر إلى خراسان وعلى مقدمته الأحنف، فلقي أهل هراة، فهزمهم فافتتح ابن عامر أبرشهر صلحًا، ويقال: عنوة، وبعث الأحنف في أربعة آلاف، فتجمعوا له مع طوقان شاه، فاقتتلوا قتالاً شديدًا فهزم اللّه المشركين[2].

قال ابن سيرين: كان الأحنف يحمل ويقول: «إن على كل رئيس حقًّا أن يخضب القناة أو تندقا». وقيل: سار الأحنف إلى بلخ، فصالحوه على أربع مئة ألف، ثم أتى خوارزم، فلم يطقها فرجع. وعن ابن إسحاق أن ابن عامر خرج من خراسان معتمرًا، قد أحرم منها وخلف على خراسان الأحنف، وجمع أهل خراسان جمعًا كبيرًا وتجمعوا بمرو، فالتقاهم الأحنف فهزمهم، وكان ذلك الجمع لم يسمع بمثله. وقال ابن المبارك: قيل للأحنف: بِمَ سودوك؟ قال: لو عاب الناس الماء لم أشربه. وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٨٨).

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٦٤-١٦٥).



يتبعه، وقيل للأحنف: إنك كبير والصوم يضعفك، قال: إني أعده لسفر طويل، وقيل: كانت عامة صلاة الأحنف بالليل، وكان يضع أصبعه على المصباح، ثم يقول: حس، ويقول: ما حملك يا أحنف، على أن صنعت كذا يوم كذا؟

وروى أبو الأصفر أن الأحنف استعمل على خراسان، فأجنب في ليلة باردة، فلم يوقظ غلمانه وكسر ثلجًا واغتسل. وقال عبد اللّه بن بكر المزني عن مروان الأصفر سمع الأحنف يقول: اللهم، إن تغفر لي فأنت أهل ذاك، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك. قال مغيرة: ذهبت عين الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد. قال الحسن: ذكروا عن معاوية شيئًا فتكلموا، والأحنف ساكت، فقال: يا أبا بحر، ما لك لا تتكلم؟ قال: أخشى اللّه إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت. وعن الأحنف: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. وقيل: عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة، وفيه قال الشاعر:

إِذَا الأَبْصَارُ أَبْصَرَتِ ابْنَ قَيسٍ
ظَلَلْنَ مَهَابَةً مِنْهُ خُشُوعًا

قال سليمان التيمي قال الأحنف: ثلاث فيما أذكرهن إلا لمعتبر: ما أتيت باب سلطان إلا أن أدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحدًا بعد أن يقوم من



عنـدي إلا بخير. وقال: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور: إن كان فوقـي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وقال: لست بحليم، ولكني أتحالم. وقيل: إن رجلاً خاصم الأحنف، وقال: لئن قلت واحدة لتسمعنَّ عشـرًا فقال: لكنك إن قلت عشـرًا لم تسـمع واحدة. وقيل: إن رجلاً قـال للأحنف: بِمَ سـدت؟ وأراد أن يعيبه، قال الأحنف: بتركي ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وروي عن ذي الرمة قال: شـهدت الأحنف بن قيس، وقد جـاء إلى قوم في دم، فتكلم فيه وقـال: احتكموا، قالوا: نحتكم ديتين، قال: ذاك لكم، فلما سكتوا، قال: أنا أعطيكم ما سألتم. فاسمعوا: إن الله قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطي بينها دية واحدة وأنتم اليوم تطالبون وأخشـى أن تكونوا غدًا مطلوبين، فلا ترضـى الناس منكم إلا بمثـل ما سـننتم، قالوا: ردهـا إلى دية. من كلمـات الأحنف: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة، شريف من دنيء، وبَرٌّ من فاجر، وحليم من أحمق. وقال: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون، وسـئل: ما المروءة؟ قال: كتمان السـر والبعد عن الشـر، والكامل من عُدتْ سقطاته. وعنه قال: رأس الأدب آلة المنطق، لا خير في قول بلا فعل، ولا في منظر بلا مخبر، ولا في مال بلا جود، ولا في صديق بلا وفاء، ولا في فقه بلا ورع، ولا

في صدقة إلا بنيَّةٍ، ولا في حياة إلا بصحة وأمن، والعتاب مفتاح التقالي، والعتاب خير من الحقد.

ورأى الأحنف في يد رجل درهمًا، فقال: لمن هذا؟ قال: لي، قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر، وتمثل أنت للمال إذا أمسكته، وإذا أنفقته فالمال لك. وقيل: كان الأحنف إذا أتاه رجل وسع له فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له، وعنه قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصّافًا لفرجه وبطنه. وقيل: إنه كلم مصعبًا في محبوسين، قال: أصلح الله الأمير إن كانوا حبسوا في باطل، فالعدل يسعهم، وإن كانوا حبسوا في الحق فالعفو يسعهم. وعنه قال: لا ينبغي للأمير الغضب؛ لأن الغضب في القدرة مفتاح السيف والندامة. وعنه قال: لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفة.

قيل: كان زياد معظمًا للأحنف، فلما ولي بعده ابنه عبيد الله تغير أمر الأحنف وقدم عليه من هو دونه، ثم وفد على معاوية في الأشراف. فقال لعبيد الله: أدخلهم على قدر مراتبهم، فأخر الأحنف. فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته، وقال: إليَّ يا أبا بحر، وأجلسه معه وأعرض عنهم، فأخذوا في شكر عبيد الله بن زياد وسكت الأحنف. فقال له: لِمَ لا

تتكلم؟ قال: إن تكلمت خالفتهم. قال: اشهدوا أني قد عزلت عبيد الله، فلما خرجوا كان فيهم من يروم الإمارة ثم أتوا معاوية بعد ثلاث، وذكر كل واحد شخصًا وتنازعوا. فقال معاوية: ما تقول يا أبا بحر؟ قال: إن وليت أحدًا من أهل بيتك لم تجد مثل عبيد الله، فقال: قد أعدته، قال: فخلا معاوية بعبيد الله، وقال: كيف ضيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك؟! وهو ساكت، فلما رجع عبيد الله جعل الأحنف صاحب سره.

عن أيوب عن محمد قال: نبئت أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذكر بني تميم، فذمهم فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي، قال: تكلم، قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم، وإنما هم من الناس فيهم الصالح، والطالح فقال: صدقت، فقام الحتات وكان يناوئه، فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي فأتكلم، قال: اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف.

قال الشعبي: وفد أبو موسى الأشعري وفدًا من البصرة إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، منهم الأحنف بن قيس، فتكلم كل رجل في خاصة نفسه. وكان الأحنف في آخر القوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر وأصحابه، وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار والجنان، وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلي،



تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها وطرفها في بحر أجاج، وطرف في فلاة لا يأتينا شيء إلا في مثل مريء النعامة، فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا، وزد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وصغر درهمنا وكبر قفيزنا، ومرّ لنا بنهر نستعذب منه، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عجزتم أن تكونوا مثل هذا، هذا والله السيد، قال: فما زلت أسمعها بعد[1].

الحكمة

لَعَمْـرُكَ مَـا الرَّزِيَّـةُ فَقْدُ مَـالٍ
وَلَا شَـاةٌ تَمُـوتُ وَلَا بَعِيْـرُ
وَلَـكِـنَّ الـرَّزِيَّـةَ فَـقْـدُ حُـرٍّ
يَمُـوتُ لِفَقْدِهِ خَلْقٌ كَثِيْـرُ[2]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢٨/٧) وتاريخ خليفة (ص ١٦٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٠-٩٦).

(٢) هذان البيتان من بحر الوافر، وينسبان إلى محمد بن حمير الهمداني المتوفى سنة ٦٥١هـ.



إجابات مذهلة

س – ماذا تعرف عن أشهر القادة العسكريين في الحرب العالمية الأولى؟

ج – كلهم ماتوا.

س – ماذا فعل الرومانيون بعد عبورهم البحر المتوسط؟

ج – جففوا ملابسهم.

س – أيهما أبعد أستراليا أم القمر؟ ولماذا؟

ج – أستراليا أبعد؛ لأننا نرى القمر، ولكننا لا نرى أستراليا.

س – علي بابا هل هو مذكر أم مؤنث؟

ج – مذكر طبعًا؛ لأنه لو كان مؤنثًا لقلنا: علي ماما.

س – عرف كلاً من الفيزياء والكيمياء؟

ج – الفيزياء مركز الثقل في الرسوب، أما الكيمياء فدرس عديم اللون والطعم والرائحة، قليل الذوبان في الدماغ.

س – خمسة بنطلونات + خمسة قمصان + أربعة أحذية، فما النتيجة؟

ج – خمسة رجال فيهم رجل حافٍ.

س – اذكر ثلاثة أنواع من السمك.

ج – سمك مقلي، سمك مشوي، سمك مملح.

س – أعطِ مثالاً للأشياء التي لا تذوب في الماء.

ج – السمك.



س – أدخل كلمة دام في جملة مفيدة.

ج – ذهبت المدام إلى السوق.

س – ما معنى كلمتي: سبيل، وسلسبيل؟

ج – سبيل = طريق، وسلسبيل = طرطريق.

س – سرق لصان عشرين ريالاً، فما نصيب كل واحد منهما؟

ج – تقطع أيديهما.

س – مافائدة الأذنين؟

ج – تمنع النظارة من السقوط.

س – حول عبارة تذهب أمي إلى السوق إلى صيغة الماضي.

ج – تذهب جدتي إلى السوق.

فضل العطف

أحد الدعاة كان في زيارة لإحدى الدول الأوروبية، وبينما هو جالس في محطة القطار شاهد امرأة عجوزًا شارفت على السبعين من العمر، تمسك تفاحة بيدها، وتحاول أكلها بما بقي لديها من أسنان.

جلس الرجل بجانبها وأخذ التفاحة وقطعها وأعطاها للعجوز؛ وذلك ليسهل عليها أكلها، فإذا بالعجوز تنفجر باكية، فسألها: لماذا تبكين؟

قالت: منذ عشر سنوات لم يكلمني أحد، ولم يزرني أولادي.

قال: إن الدين الذي أتبعه يأمرني بذلك، ويأمرني بطاعة الوالدين وبرهما، وقال لها: في بلدي تعيش أمي معي في منزلي، وهي في مثل عمرك، وتعيش كالملكة، فلا نخرج إلا بإذنها، ولا نأكل قبل أن تأكل، ونعمل على خدمتها أنا وأبنائي، وهذا ما أمرنا به ديننا، فسألته: وما دينك؟

قال: الإسلام، وكان هذا الرجل سببًا في إسلام هذه العجوز!

الحكمة

«لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم»[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٢١٠) ومسلم (رقم ٢٤٠٦).



منتهى البر

روى «المأمون» أنه لم يرَ أحدًا أبرَّ من «الفضل بن يحيى» بأبيه «فقد كان أبوه لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فلما دخلا السجن منعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فلما نام أبوه قام الفضل وأخذ إناء الماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائمًا به حتى طلع الفجر، فقام أبوه فصبَّ عليه الماء الدافئ، فلما كانت الليلة الأخرى أخفى السجان المصباح، فقام الفضل، وأخذ الإناء فأدخله تحت ثيابه ووضعه على بطنه؛ حتى يدفأ بحرارة بطنه، متحملاً بذلك برودة الماء والجو».

الحكمة

«بِرُّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم»[١].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ١٠٠٢) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (رقم ٣٧٥٩).



أبكت ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أميـة الكناني كان رجلاً من سـادات قومـه، وكان له ابن يسـمى كلابًـا، هاجر إلى المدينة في خلافـة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقام بهـا مـدة، ثم لقـي ذات يـوم بعض الصـحابة، فسـألهم: أي الأعمال أفضـل في الإسـلام؟ فقالوا: «الجهاد»، فذهب كلاب إلى عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد الغزو، فأرسـله عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جيش إلى بـلاد الفرس، فلما علـم أبوه بذلك تعلق به، وقـال له: «لا تدع أباك وأمك الشـيخين الضعيفين، فقد ربياك صغيرًا، حتى إذا احتاجا إليك تركتهما!».

فقـال: «أتركهما لمـا هو خير لي»، ثم خـرج غازيًا بعد أن أرضى أباه، فأبطأ في الغزو وتأخر، وكان أبوه وأمه يجلسان يومًا مـا في ظل نخل لهـم، وإذا حمامة تدعو فرخها الصـغير وتلهو معه وتروح وتجيء، فرآها الشـيخ، فبكـى فرأته العجوز يبكي، فبكت ثم أصـاب الشيخ ضعف في بصره، فلما تأخر ولده كثيرًا ذهـب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل عليه المسـجد، وقال: «والله يا ابن الخطاب، لئن لم ترد علي ولدي لأدعون عليك في عرفات».

فكتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بردّ ولده إليه، فلما قدم ودخل عليه قال لـه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما بلغ برك بأبيك؟» قال كلاب: «كنت أُفضـله وأكفيه أمـره، وكنت إن أردت أن أحلب له لبنًا أجيء إلى أغزر



ناقة في إبله، فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها -أي ضروعها- حتى تبرد، ثم أحلب له فأسقيه».

فبعث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبيه، فجاء الرجل ودخل على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتهاوى، وقد ضعف بصره وانحنى ظهره، وقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كيف أنت يا أبا كلاب؟» قال: «كما ترى يا أمير المؤمنين»، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أحب الأشياء إليك اليوم؟»، قال: «ما أحب اليوم شيئًا، وما أفرح بخير، ولا يسوؤني شر» فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلا شيء آخر»، قال: «بلى، أحب أن كلابًا ولدي عندي، فأشمه شمة وأضمه ضمة، قبل أن أموت».

فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «ستبلغ ما تحب إن شاء اللّه». ثم أمر كلابًا أن يخرج ويحلب لأبيه ناقة، كما كان يفعل ويبعث بلبنها إليه، فقام ففعل ذلك، ثم جاء وناول الإناء إلى عمر، فأخذه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: اشرب يا أبا كلاب، فلما تناول الإناء ليشرب وقربه من فمه، قال: «واللّه يا أمير المؤمنين، إني لأشم رائحة يدي كلاب»، فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «هذا كلاب عندك وقد جئناك به» فوثب إلى ابنه، وهو يضمه ويعانقه ويبكي، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحاضرون يبكون، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا بني، الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم اعتنِ بشأن نفسك بعدهما».

الحكمة

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].



كن إيجابيًا

قررت أن أقوم بتجربة عن أثر القرآن، وذكر الله، والكلام الطيب على الزهور. فوضعت زهرتين متماثلتين في علبتين من الماء، ووضعتهما في الغرفة التي أعمل فيها في نادي تندحة الصيفي (جنوب السعودية). وكتبت على الأولى: «أرسل رسالة إيجابية لهذه الزهرة»، وعلى الأخرى: «أرسل رسالة سلبية إلى هذه الزهرة»، وطلبت من الشباب الذين يعملون معنا أن يذكروا الله ويقرؤوا القرآن على «الزهرة الإيجابية»، ويقولوا: ما شاء الله، ما هذه الزهرة الحلوة! ويثنوا عليها بكلام لطيف ومهذب، وقد قرأت عليها سورة الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص وبعض أذكار المساء وغيرها.

وطلبت منهم كذلك أن يقولوا كلامًا سلبيًا عند الأخرى مثل: حرب..كفر..سحر..حسد..كآبة..قلق..هم....، ما هذه الزهرة القبيحة! واستمرت هذه الرسائل الإيجابية والسلبية إلى يوم الأربعاء، ثم غادرنا النادي لنهاية الدوام. وعدت الأربعاء القادم؛ لوضع بعض الأغراض في النادي، وعندما دخلت الغرفة فوجئت بالذي رأيت، فالزهرة الإيجابية ما زالت حية وطرية، والأخرى يابسة وضامرة.

الحكمة

الكلمة الطيبة حياة ونور، وبعض الكلمات قبور.



امرأة غير زوجتي

بعد ٢١ سنة من زواجي، وجدت بريقًا جديدًا من الحب، إذ قبل مدة بدأت أخرج مع امرأة غير زوجتي، وكان ذلك فكرة زوجتي، حيث بادرتني بقولها: «أعلم جيدًا كم تحب أمك، فاخرج معها واقضِ وقتًا معها؛ فهي التي ترملت منذ ١٩ سنة».

ولكن مشاغل العمل وحياتي اليومية ومسؤوليات ثلاثة أطفال جعلتني لا أزورها إلا نادرًا. وذات يوم اتصلت بها، ودعوتها إلى العشاء، فسألتني: هل أنت بخير؟ لأنها غير معتادة على مكالمات متأخرة نوعًا ما. فقلت لها: نعم، أنا ممتاز، ولكني أريد أن أقضي وقتًا معك يا أمي، قالت: نحن فقط؟! فكرت قليلاً، ثم قالت: أحب ذلك كثيرًا.

وفي يوم الخميس وبعد العمل، مررت عليها وأخذتها، كنت مضطربًا قليلاً، وعندما وصلت وجدتها هي أيضًا قلقة. كانت تنتظر عند الباب مرتدية ملابس جميلة، يبدو أنه آخر فستان قد اشتراه لها أبي قبل وفاته. ابتسمت أمي كملاك، وقالت: قلت للجميع: إنني سأخرج اليوم مع ابني، ففرح الجميع، ولا يستطيعون انتظار الأخبار التي سأقصها عليهم بعد عودتي! ذهبنا إلى مطعم عادي، ولكنه جميل وهادئ، تمسكت أمي بذراعي، وكأنها السيدة الأولى.

بعد أن جلسنا بدأت أقرأ قائمة الطعام، حيث إنها لا تستطيع أن تقرأ إلا الأحرف الكبيرة. وبينما كنت أقرأ كانت تنظر إلي بابتسامة عريضة على شفتيها المجعدتين، وقاطعتني قائلة: كنت أنا من أقرأ لك وأنت صغير.

أجبتها: حان الآن موعد تسديد شيء من ديني بهذا الشيء، ارتاحي أنت يا أماه. تحدثنا كثيرًا في أثناء العشاء، فلم يكن هناك أي شيء غير عادي، ولكن قصص قديمة وقصص جديدة، لدرجة أننا نسينا الوقت إلى ما بعد منتصف الليل، وعندما رجعنا ووصلنا إلى باب بيتها قالت: أوافق أن نخرج سويًا مرة أخرى، ولكن على حسابي. فقبلت يدها وودعتها.

بعد أيام قليلة توفيت أمي بنوبة قلبية. حدث ذلك بسرعة كبيرة لم أستطع عمل أي شيء لها. وبعد أيام عدة وصلتني عبر البريد دعوة للعشاء من المطعم الذي تعشينا فيه أنا وهي، مع ملاحظة مكتوبة بخطها: دفعت الفاتورة مقدمًا، فقد كنت أعلم أنني لن أكون موجودة، المهم دفعت العشاء لشخصين لك ولزوجتك، فلا يمكن لك أن تعرف ما معنى تلك الليلة بالنسبة لي، أحبك يا ولدي. في هذه اللحظة فهمت وقدرت معنى كلمة «حب» أو «أحبك» وما معنى أن نجعل الطرف الآخر يشعر بحبنا ومحبتنا هذه.

لا شيء أهم من الوالدين، وبخاصة الأم، فامنحهما الوقت الذي يستحقانه، فهو حق الله وحقهما، وهذه الأمور لا تؤجل.

بعد قراءة القصة تذكرت قصة من سأل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهو يقول: أمي عجوز لا تقوى على الحراك وأصبحت أحملها إلى كل مكان، حتى لتقضي حاجتها، وأحيانًا لا تملك نفسها وتقضيها علي وأنا أحملها، أتراني قد أديت حقها؟ فأجابه ابن عمر رضي الله عنهما: ولا بطلقة واحدة حين ولادتك، فأنت تفعل هذا وتتمنى لها الموت؛ حتى ترتاح أنت، بينما كانت تفعل ما تفعله من أجلك، وأنت صغير وهي تتمنى لك الحياة.

الحكمة

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا
أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

الأُمُّ رَوضٌ إِنْ تَعَهَّدَه الحَيَا
بِالرِّيِّ أَورَقَ أَيَّما إِيْرَاقِ[1]

(١) هذان البيتان من بحر الكامل، وينسبان إلى شاعر النيل: حافظ إبراهيم.

فن الردود

من طرائف الشيخ ابن عثيمين مع الشيخ ابن باز -رحمهما الله- أنه مرة سألهما شخص، فقال: لقد اخترع لنا جهاز ينبّه على السهو في أثناء الصلاة، فلا يسهو المصلي إذا استعمله، فما حكمه؟ فسكت الشيخ ابن باز، وضحك الشيخ ابن عثيمين -رحمهما الله- وقال: أهو يسبح أم يصفق؟ وكان الشيخ يقصد التسبيح للرجال والتصفيق للنساء.

- وسأل ابن عثيمين أحدهم: ما يفعل الشخص بعد أن ينتهي من الدعاء؟

فرد الشيخ: ينزل يديه!

وسأله آخر: إذا كان الشخص يستمع إلى شريط مسجل ووردت آية فيها سجدة، فهل يسجد؟

فقال الشيخ: نعم، إذا سجد المسجل!

- وكان الشيخ ابن عثيمين يلقي درسًا في باب النكاح عن عيوب النساء، فسأله أحدهم: لو تزوجت، ووجدت أن زوجتي ليس لها أسنان، فهل يبيح لي هذا العيب فسخ النكاح؟!

فقال الشيخ: هذه امرأة جيدة؛ لأنها لا يمكن أن تعضك..!!



كان الشيخ ابن عثيمين في مكة ذات يوم راكبًا تاكسي. والظاهر أن المشوار كان طويلاً، فأراد سائق التاكسي أن يتعرف -ولم يكن يعرف الشيخ- فقال: ما تعرفنا على الاسم الكريم يا شيخ! فرد الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، فرد السائق: تشرفنا، معك عبدالعزيز بن باز، فالسائق يحسبه يمزح، وهنا ضحك الشيخ، وقال له: ابن باز أعمى كيف يسوق تاكسي؟ فرد السائق: ابن عثيمين في نجد فكيف يأتي إلى هنا، فهل تمزح معي؟ هنا ضحك الشيخ، وأفهمه أنه بالفعل ابن عثيمين.

ومِمّا يُحْكَى عن علامة زمانه فضيلة الشيخ (محمد بن صالح بن عثيمين) -رحمه الله تعالى- أنه كان في مجلس مع سماحة الشيخ العلامة (عبد العزيز بن باز) -رحمه الله تعالى- فأبى الشيخ (ابن باز) إلا أن يترك إجابة الأسئلة للشيخ (ابن عثيمين)، ولما جاء السؤال الأخير اتفق إن كان الشيخ (ابن عثيمين) يُخالف الشيخ (ابن باز) في هذه المسألة! فقال الشيخ (ابن عثيمين): وخير ما نختم به المجلس جواب الشيخ (ابن باز) عن هذا السؤال الأخير، وترك الجواب للشيخ!

ومما نُقل عن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- هذه المواقف: قابله أحدهم في المستشفى، فسأله: ماذا تفعل هنا يا فضيلة الشيخ؟ فقال الشيخ: أحلل السكر. فقال السائل: كلنا نعرف أن السكر حلال، فابحث لنا عن شيء آخر، وحلله لنا!

وكان ابن عثيمين خارجًا من البيت، وبيده المبخرة، متوجهًا إلى المسجد، وإذا بشاب طائش يقترب من الشيخ، ويقول: يا شيخ، ممكن أولع السيجارة، الشيخ قال له: تفضل يا ولدي، المهم هذا الطائش أصبح منذ هذا الموقف واحدًا من طلبة الشيخ الملازمين له.

كان أحد كبار السن من أهل البادية موجودًا مصادفة للصلاة في مسجد الشيخ ابن عثيمين دون أن يعرف، وعندما كان الشيخ في صلاة جهرية في مسجده نسي إحدى الآيات، فذكّره بها أكثر من شخص خلفه، وعندما انتهى الشيخ من الصلاة نبههم إلى أن التذكير لا يكون بهذا الشكل الجماعي، وأن واحدًا يكفي عن البقية، وهنا نطق كبير السن بكل ثقة، وقال: المفروض فيمن لا يعرف القراءة مثلك أن يقف في الخلف، تاركًا الصلاة لأهلها!

الحكمة

فلله دَرُّهم من قوم! كانوا نجومًا لأهل الأرض، عليهم شآبيب الرحمة، وجمعنا الله بهم في جنة عرضها السماوات والأرض، وأدخلنا معهم الفردوس الأعلى.

فن الدعوة

رسالة من فتاة نصـرانية اعتنقت الإسلام بسبب زكريا بطرس بعنوان: «قصـة بائسـة» تطلب مني صاحبتها أن أنشر قصة اعتناقها الإسلام التي تروي فيها رحلة بحثها عن الحق، وكيف وجدته في الإسـلام الذي هداها الله إليه. وتحكي أيضًا كيف كان زكريا بطرس سببًا مباشرًا في هدايتها إلى الإسلام. ثم تصـف لنا المعاناة التي تعيشـها الآن؛ لعـدم مقدرتها على الإفصاح عن إسلامها. وتنهي رسالتها بنداء إلى كل مسلم.

وبدوري أطلب من كل مسـلم يقرأ هذه القصـة أن يدعو الله أن يثبتهـا، وأن يفرج كربها وكرب أمثالها، وألا ينسـى أن يحمد الله الذي أنعم عليه بنعمة الإسلام وأنه ولد مسلمًا.

تبدأ القصـة، كما أرسلتها لي على هذا النحو: إنني أكتب قصـتي البائسة إلى كل مسلم، فهي قصة غيرت مجرى حياتي، كان البطل الأساسي فيها هو الأب زكريا بطرس الذي لا أعرف إن كنت أشـكره أم ألعنه، فأنا فتاة نصرانية مصرية أسكن فى إحدى مدن الوجه البحري في أسـرة فوق متوسطة قليلاً، أدرس في إحدى الكليات، وأعتذر عن عدم كتابة اسمي؛ حتى لا يفتضح أمري، ورأيت أن هذا أفضل من ذكر اسم مستعار.

بدأت قصتي عندما بدأت أتابع برامج الأب زكريا بطرس، مع بداية هذا الصيف ٢٠٠٧، ولن تتخيلوا حجم المتعة التي كان يشعر بها أبي وأمي عند متابعة هذه البرامج، وبدأا يعدان هذا الرجل من الأبطال، ولكنني كان ينتابني قلق من نوع آخر، فكل أصدقائي في الجامعة من المسلمين (ثلاث بنات وولدان) نحب بعضنا منذ العام الأول للجامعة ونأخذ دروسنا معًا، بالإضافة إلى أني كثيرًا ما أقضي أوقاتًا فى النادي معهم، باختصار هم أقرب أصدقائي، ومن ثم كان رعبي من أن يتجنبوني ويكرهوني بعد مشاهدة تلك البرامج، وفى كل مرة أقابلهم فيها في النادي كنت أشكر ربي على أني أجدهم يتعاملون معي بطريقة عادية، وأقول فى نفسي: لم يروا شيئًا، الحمد للّه.

وظل الحال على هذه الصورة، حتى بدأت أيام الدراسة وزادت مقابلاتي بزملائي بالذات الأولاد منهم الذين كانت علاقتي بهم فى الصيف محدودة واجتمعت الشلة مرة أخرى، إلى أن جاء يوم وفتح هشام صديقنا الموضوع، وهو شخص متدين لدرجة بسيطة، وكنا في شقة إحدى زميلاتنا عندئذ؛ لأخذ درس، وكان الرعب يتملكني من تغير حب أصحابي لي، ولكنهم لم يوجهوا لي كلامًا مباشرًا، فوجدت نفسي أقول لهم: إننا نكره هذا الرجل وننتقد كلامه، وكان من الأشياء التي ضايقتني أني كذبت عليهم، ولكني شعرت بارتياح من ناحيتهم

لردي هذا. ولكن الغريب كان صديقنا عمر الذي لم يكن يعلم أى شيء عن الموضوع كله، فقد كان شابًا مهذبًا جدًّا وشهمًا ووسيمًا، ولكنه لم يكن له أي اهتمام بالدين، حتى الصلاة لم يكن يعرف لها طريقًا أبدًا؛ لذا تعجبت جدًّا من اهتمامه بمعرفة الأمر وسؤال أصحابنا عنه باهتمام، حتى وصفوا له كيفية مشاهدة تلك الفيديوهات على اليوتيوب.

عندئذ نبت بداخلي أمل غريب، فهذا هو عمر الذي طالما كنت أشعر باهتمامه الخاص بي، وبنظراته الخاطفة التي يحاول إخفاءها، فهو شخص راقٍ جدًّا، لم يحاول أبدًا لفت نظري، والتقرب مني أكثر من علاقة صداقتنا القوية؛ لذا احترمته جدًّا، فهو يشعر بشيء ما ناحيتي، ولكنه قد علم الحاجز الديني بيننا؛ لذا فإنه يحاول قتل هذا الإحساس داخله. إذًا قد بدأ الأمل يدب فيَّ، فهذا هو عمر قد أخذ قرارًا بمشاهدة فيديوهات الأب زكريا التي كلما رأيتها قال أهلي: «أي مسلم عاقل يرى الفيديوهات هذه لا بد أنه سيترك الإسلام»، إذًا هناك أمل فى أن يغير عمر دينه، ويصبح على ديني نفسه، خصوصاً أنه لا يعرف شيئًا عن دينه، حتى الصلاة لا يؤديها، عندها لن تكون هناك حواجز بيننا.

عدت إلى بيتي فى هذا اليوم وكان يوم الأربعاء، وعندنا الخميس والجمعة إجازة من الجامعة، وكنت في قمة الأحلام،

وظللت أحلم بأن عمر أصبح نصرانيًّا، وترك أهله وجاء إلى أبي، وأن أبي ساعده وزوجنا، وكنت فى قمة السعادة، وتوجهت إلى يسوع وصليت لهذا الأمر طوال الليل. وجاء يوم السبت فرأيته على غير عادته، ولم يقف معنا سوى دقائق معدودة، لكن فى اليوم المقبل بدأت الأمور تسير طبيعية وكل شيء عادي، فيما عدا تغير عظيم حدث في حياة عمر لم أكن أتصوره، وهو أنه بدأ يستأذن منا في أوقات الصلاة، ويذهب ليصلي في مسجد الجامعة، وإذا كان وقت الصلاة في المحاضرة؛ فإنه يشجع باقي زملائنا الأولاد على الذهاب بعد المحاضرة؛ حتى يمكنهم أن يصلوا جماعة مع بعض، وبدأ الاثنان فى التغير التام شيئًا فشيئًا، وبالذات عمر الذي أعفى لحيته خفيفة على وجهه، فلم تزده إلا جاذبية، وكانت تلك مأساتي وصدمتي التي لم أكن أستطيع الاستفسار عنها، ولا كيف حدثت؛ لكوني نصرانية، ولا يصح أن أخوض في هذه الأمور الدينية.

لكن عرفت الحقيقة الغريبة في يوم كانت تتحدث فيه صديقتان من صديقاتنا، وأنا ثالثتهما فى هذا الموضوع، فقالت إحداهما للأخرى: أنا سألت هشامًا عن سبب تغير عمر، فقال لي: زكريا بطرس، فكان رد الصديقة الثانية عليها: كيف؟ فقالت لها: عندما كنا نتحدث عن هذا الرجل وسمعنا عمر وأرشدناه إلى مكان الفيديوهات على اليوتيوب، فقد

شـاهدها، وصدم في البداية وثار غيرة على دينه، وظل يبحث ويشـاهد، حتى وصل إلى فيديوهات إسلامية ترد على أكاذيب هـذا الرجل، فظل يتابعها باهتمام، ومرت الأيام وأصـبح هذا الأمـر هو شـغله الشـاغل إلى أن بـدأ يقرأ عن دينـه الذي كان يهملـه، وانتقل اهتمامه من فيديوهات زكريا بطرس إلى المواقع الإسـلامية والوعظ والإرشـاد الإسـلامي، حتى وصل به الحال إلى ما هو عليه، والعجيب أنه لم يتحول إلى إنسان معقد، وثقيل الـدم كما كنت أتخيل المتدينين المسـلمين، ولكنه ظل على ما هو عليه من خفة دم، وزادت إيجابياته وأعظمها أنه يكرر دائمًا لكل واحـد منا: «نريد ألا نتكلم عن أحد في غيبته، فالنميمة حرام»، وكم كانت خيبتي وصدمتي، فما هذا الدين الذي يقوى في نفوس معتنقيـه كلما هوجم وانتقد؟! فما هذه اللعنة التي بددت الحلم الذي بدأ يدب في نفسي؟! لماذا يحدث هذا؟

هنـا بـدأت مأسـاتي، فعـدت إلى البيـت، وكلي غضـب وعصـبية، ثم قررت أن أفتـح الإنترنت، نعم أريد أن أشـاهد تلـك الـردود الملعونة التي غيرت حياة هذا الإنسـان هكذا، ما هـذه المواقع الإسـلامية التي يمكن أن تغير حياة شـاب يعيش حيـاة من دون دين إلا بالاسـم فقط إلى شـاب متدين، الدين هـو أعظم مـا في حياته؟! دخلت إلى مواقـع الإنترنت، وبحثت عن اسم زكريا بطرس، فوجدت عشرات الفيديوهات التي ترد

عليه، فحاولت قراءة بعضها، ولم تثرني، فقد كنت مقتنعة تمامًا بما يقوله، ولكن في معظم تلك الردود كانت هناك آيات قرآنية كنت أحاول التركيز فيها؛ لمعرفة ما فيها من رد على انتقاد الأب زكريا، وكانت بداية الإحساس الغريب أن هذه الكلمات غريبة فعلاً، كيف لرجل مثل محمد يصفه كل النصارى بالجهل والتخلف، وأن كل همه الزواج فقط أن يؤلف هذه الكلمات، إلى أن وجدت أمامي في الركن الأيمن من اليوتيوب، وهو خاص بالفيديوهات ذات الصلة بالفيديو الذى أشاهده فيديو مكتوبًا عليه معجزة في القرآن، فدخلت عليه بفضول.

وكانت الصدمة، إذ كان هناك دكتور مسلم يتكلم عن معجزات علمية اكتشفها العلم حديثًا، وذكرها القرآن منذ مئات السنين، ولم أهتم كثيرًا، ولكن لا أنكر وجود بعض الشك في داخلي، لكن أيضًا بجانب هذا الفيديو وجدت فيديوهات مشابهة كثيرة، كلها تتحدث عن معجزات القرآن، وأصبحت هذه هي هوايتي الجديدة مدة أسبوعين، أتعرض خلالهما لأقصى درجات الحيرة والقلق من كل ما تتخيل من فيديوهات شاهدتها، ومن مناظرات عربية وأجنبية، مع الأسف، فإن أبسط مناظرة لأحمد ديدات كفيلة بنسف ديني، لكن الحقيقة أننا لا نثق بكلام المسلمين ونُحذَّر من مشاهدة تلك الأشياء، إلى أن جاء يوم ووقفت عند فيديو استفزني جدًّا كان يسخر

مـن إلهي يسـوع، ويقـال فيه كلام قـذر، فلم أتمالك نفسـي، فوضـعت ردًّا فيه عتاب لواضع الفيديو، وتحذير له من غضب المسـيح وعقابه، فإلى هنا كنت نصرانية عادية ليس عندي أي احتمال لتغيير ديني.

وجاءت لي رسـالة على اسـمي فى اليوتيوب، فكانت من أحـد المشـتركين، كان يـرد على ردي الـذي سـبق أن ذكرته، وكان كالآتـي: عزيزي «فاسـمي على اليوتيوب لا يوضـح كوني بنتًـا أو ولدًا» لـك حق أن تغضـب، وأنا معك، ومثلك غاضـب من السـخرية على السيد المسـيح، ولكن أرجوك ألا تقول مرة أخرى: إن المسيح سـينتقم منكم؛ لأن الذي ينتقم ويسامح هو ربي وربك ورب المسـيح، ولعلمك نحن نحب المسيح أكثر منكم؛ لأننا نحن الذين نطيعه ليس أنتم».

انتهت الرسالة، وابتدأت معي رحلة جديدة، فقد تهت في هـذه الكلمات الغريبة على أذني، فمـا هذا الذى قاله؟ هل هو مسـلم؟ مسـتحيل، فإنه يقول: ربي وربك ورب المسيح، هل هو نصراني من طائفة أخرى؟ لا، فإن اسمه إسلامي، كما أن كل ما أعرفه أن رب المسلمين هو رب محمد الذي يسخر منه أهلي دائمًـا، كيف يقول هذا الشـخص: إن ربنا وربـه واحد؟ ولكن هناك الأغرب، فإنه يقول: إنهم يحبون يسوع أكثر منا، فما هذا الجنون؟! لم أتمالك نفسـي من الرد عليه، فكان سؤالي له: ما

هذا الهراء الذي قلته؟ وأكملت باقي استفساراتي، فلم يرد عليّ يومًا كاملًا، وجاءني الرد في اليوم الثاني، مغيرًا حياتي كلها، أولًا: بخصوص الله، فإن المسيح عليه السلام كان يدعو ربه ويصلي له ويصوم، وذكر لي آيات من الإنجيل تشهد بهذا، وكانت كأني أول مرة أسمعها أو قل: أفهمها وأكمل كلامه، قائلًا: ثم جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام؛ ليكمل به المسيحية، مؤكدًا نبوة المسيح، ومؤكدًا أنه؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد رب المسيح ورب موسى ورب كل الأنبياء. إذًا يا عزيزي، ربنا وربكم واحد، وهو رب عيسى عليه السلام ورب محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: بخصوص سؤالك الثاني، فنعم نحن نحب عيسى أكثر منكم؛ لأننا لم نصفه بالخروف، بل عظَّمه القرآن، ولكن الأهم أننا نطيعه بعكس ما تفعلون، فقد دعا عيسى ربه، ودعا إلى وحدانيته بدليل: (الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي ويسوع المسيح الذي أرسلته) إذًا يا صديقي، الحياة الأبدية في إنجيلك أن تقول: لا إله إلا الله المسيح رسول الله، وهذا ما فعلناه نحن المسلمين، إذًا من منا يطيع يسوع أكثر ويحبه أكثر، الذين التزموا بتعاليمه وبتعاليم من جاء بعده، أم الذين اختلفوا على ألوهية لم ينسبها لنفسه في أي موضع أو قول؟! يا صديقي، لقد قرأت كتابكم المقدس وزادني إيمانًا بنبوة عيسى ووحدانية الله عز وجل فكل كلمة نطقت من فمه في

الإنجيل تشهد بنبوته وتكفر بألوهيته. كما أنه يا صديقي، قد تبرأ يسـوع من ذنبكم، حينما قال لأحد الرجـال يومًا ما: (لا تدعوني صالحًا، فليس هناك صالح إلا اللّه). ومن هنا، فقد أنكر عليه السلام أي علاقة له بالألوهية، بل لقد شـهد بوحدانية الخالق الذي ليس فيه أي شـيء منه، فقد نفى عن نفسه صفة الصـلاح وألصقها باللّه الواحد، إذًا أنا لست هو، وهو ليس أنا.

وفـى النهاية دعا لي اللّه بالهدايـة، وقال كلماته وتركني أغرق في بحور من الخيال والحيرة، فظللت ساعة لا أفعل شيئًا سـوى التأمل في رسـالته وتقليبها يمينًا وشمالاً، ثم بدأت أعود للإنجيل؛ كي أتأكد، نعم كل كلامه صـحيح، ولكن؟! إنه نسف عقيدتي كلها في دقائق، قلب حياتي رأسًـا على عقب في سطور عدة، والمصـيبة أن مصـدره هو كتابي نفسـه، فلم يخترع ولم يكـذب، وكانت نهايتي بوصـفي نصـرانية مسـتقرة مع ديني، وبدأت حياتي تائهة.

كان خـوفي مـن أهلـي وأصـدقائي النصـارى وأقربائي عظيمًا من أن يشـكوا في، فأنشأت إيميلاً جديدًا باسم وهمي، ولجأت إلى مواقع نصرانية مهمتها الرد على الأسئلة، وأرسلت لهم كل ما قاله لي هذا الولد للسـؤال عنه. وكان الرد مخذلاً، لا يمكنه الوصـول إلى عقلي وهو: من مثل: يا ابنتي، إن المسيح هو الرب الذي تحمل الصـلب، والآلام، كيف يغفر لك ذنبك لا

تشكي في ألوهيته أبدًا، ومثل هذه النصائح التى بدأت أسأم من سماعها، وجاء الرد على السؤال من كل المواقع تقريبًا متشابهًا: إن المسيح كان له كيانان: اللاهوت والناسوت، فهو عندما قال كذا كان ناسوتًا، وعندما قال أو فعل كذا كان لاهوتًا، بالإضافة إلى أن هناك موقعين كان ردهما ببعض الصلوات لي والنصائح نفسها الخاصة بالمسيح، وفى النهاية نصيحة بتجنب الحديث مع غير النصارى؛ لرغبتهم في تضليلنا.

كان رد فعلي حاسمًا، فضربت بعرض الحائط كل تلك الهراءات، وكل هؤلاء الأشخاص الذين بدأت أراهم برؤية مختلفة تمامًا، ومرّ الوقت بي بطيئًا، حتى بداية ٢٠٠٧/١١ عندما تغيرت حياتي، وقبل هذا اليوم كنت أمارس حياتي مع أصدقائي بطريقة عادية، بل قل: أفضل من عادية، فقد رفعت عن عينيّ إطار التخلف الذي كنت أضعه عليهما، فأصبح الأمر بيني وبينهم متساويًا الآن، فأنا لا أعلم من منا على صواب ومن منا على خطأ، وحتى هذا اليوم، فقد كان كل ما يتعلق بالإسلام يشدني، أنظر إلى المسجد في شارعنا، وأقول في نفسي: آه لو أستطيع الدخول إلى أعماقك، وأعرف بماذا يشعرون عند الدخول إليك. وجاء اليوم المشهود في بداية هذا الشهر، حيث كنت عائدة من الجامعة وحدي، وركبت تاكسي كان شريط المسجل يرتل القرآن بصوت رائع، وكم كنت مستمتعة بسماعه

ومحاولـة التركيز في كلامه، بعكس مـا كان يحدث قبل، حيث كنت ألعن الحظ الذي أوقعني في تاكسي يشغل القرآن.

وجاءت اللحظة الحاسـمة، حيث ركب أحد الشباب معنا في الكرسـي الأمامي، ودار الحوار بينه وبين السائق عن اسم الشيخ، فقـال له: فـلان؟ فرد عليـه الشـاب: إن صـوته رائـع يهز القلب بالخشـوع، وقد وقعت علي هذه الكلمات وقع من وجد ضالته، فقد كان هذا التعبير هو بالضـبط ما أشـعر به، شـيء يهـز قلبي من الداخـل، ثم جاءت الآية التي لن أنسـاها طيلـة حياتي، التي بكى فيهـا القارئ، وهو يقـرأ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]. إلى آخـر الآيـة، فوجدتنـي أبكـي معـه، أبكي؛ أمـلاً في أن أكون من هـؤلاء الذين يسـاقون إلى الجنة وتسـتقبلهم الملائكة بالترحـاب وأبكي؛ خوفًا من أن أكون من أولئك الذين يسـاقون إلى النار. ونزلت، والله ما كنت أريد النزول؛ حتى أظل أسـمع القرآن، وكان كل شيء داخلي مضـطربًا، وكنت قد أصبحت إنسانة أخرى، ولاحظ أخي ووالدي عليَّ التغير قبل هذا اليوم بيومين.

وقررت أن أصـرف شـكهم عني، فقلت لهـم: إنى ذاهبة إلى درس الوعظ اليـوم في الكنيسـة، وفعلاً ذهبـت وأدركت يومهـا أني لم تعـد لي حياة في هذا الدين، فقد كنت سـاخطة

على كل ما سـمعت في الكنيسة، ولولا أدبي وخوفي من افتضاح أمـري لقمت ورددت على (أبونا) بالردود التى سـمعتها والتي يمكـن أن تجعله واقفًا، وكأنه عريان أمام النـاس،المهم خرجت من الكنيسـة قرفانة، لا أسـتطيع أن أسمع صـوت أحد منهم، إذ كنـت من متابعتي للفيديوهات على اليوتيوب قد بدأت أتابع أسـماء بعض الأشخاص الذين يضـعون فيديوهات فى المجال نفسـه، وكان منهم واحد كنت أحترمه جدًّا؛ لأن أسـلوبه راقٍ، ويضـع تعبيرات محترمة جـدًّا على فيديوهاتـه، فدخلت على قناته لأجد أنه واضـع بروفيلاً لذيذًا جدًّا، يهدي فيه للإسلام بأسـلوب راقٍ، وكان قراري السـريع جدًّا أن أرسـل له رسـالة شـرحت فيها حالتي من دون تفاصـيل، طالبة منه أن يهديني للإسلام، وأن يذكر لي المواقع التي قد تساعدني.

وكان الرد أسـرع ممـا أتخيل، فبعد نحـو خمس وأربعين دقيقـة كان ما لم أتخيله، فقد كان كلامه سـاحرًا، وهذا نص كلامـه: (أختى العزيزة، إنـك لا تحتاجين هدايتي، فمن أكون أنـا وقد هداك الواحد القادر، إن رسـالتك تقـودني لأن أؤمن بأن الله عزَّ وجلَّ قد قادك إلى طريق الإيمان، وإن كنت أنا شخصًا مؤمنًا قوي الإيمان بحمد الله، فإنك أفضل مني؛ لأنك تمشين في طريق الإسلام والإيمان برجليك وبإرادتك وبتفكيرك وبحثك، لكن أنا مسـلم بميلادي، فأكيد أنك أفضـل، أما نصيحتي لك



يا أختي، كي تتغلبي علـى حيرتك، فهي: حاولي التطهر بكامل جسـدك، وذلـك بالاسـتحمام واعذرينـي، فـإن أيـام الدورة الشهرية عند البنت ليست من الطهارة فى الإسلام، فيجب ألا تفعلي هذا الأمر إلا بعد تمام الطهارة، وبعد الاسـتحمام عليك مهمة صـعبة، وصـعوبتها فى التركيز، حيث سـأطلب منك أن تنسي أنك نصـرانية، وتنسي أنك تفكرين في الإسلام، وتنسي كل شـيء وتتجهي إلى الله الذي خلقك، داعيـة إياه: يا ربّ، يا مـن خلقتني، أدعوك يا خالق هذا الكون، ويا خالق البشـر، ويا خالقي، أيًّا كنت أرجوك يا ربّ، أن ترشـدني إلى طريقك الذي ترضـاه لي، أرجوك يا ربّ، أن تأخـذ بيدي إلى طريق الجنة يا ربّ، إنك رحيم، وأملي فيك أنك لن ترضى لي الضلال يا ربّ، إن كان دينـي الذي أنـا عليه هو دينك الذي يرضـيك، فثبتني عليـه، وإن كان رضـاك في ديـن آخر وطريق آخر، فأرشـدني، وخذ بيـدي يا ربّ، إلى الديـن الذي ترضـاه، واجعله قدري يا ربّ، وأدخلني الجنة، يا ربّ، فقد توكلت عليك، وسلمتك أمري أن ترشدني، ورجائي فيك يا ربّ، أنك لن تخذلني).

انتهـى الدعاء، ولا تتخيلون كم أعجبني هذا الدعاء؛ لأنه حيادي تمامًا، ونفذت ما قاله تمامًا، حتى إنني أمسكت الجوال، فكتبت الدعاء عليه في الملف السـري؛ حتى لا يفضـحني أحد، ومـرت أول ليلة عادية، ولكني صـممت على المعـاودة، فكررت

نفس ما فعلته أمس، وعند الدعاء تذكرت كلام الرجل، إذ يجب علي التركيز، فعلاً يجب أن أنسى أني أخاطب يسوع، أو حتى رب المسلمين، أنا أخاطب الله الذي خلق الكون أيًّا كان، فهو كيان لا صورة له في خيالي، ففعلت فعلاً هذا الأمر، ولن تتخيل حجم البكاء الذي بكيته عند دعائي، وبالذات عند الكلمة التي أخذت أكررها عشرات المرات، وأنا أبكي: «مهما كنت يا ربّ»، والحمد لله أنه لم يسمعني أو يكشفني أحد، فقد كان الجميع نائمين ولي غرفتي الخاصة، كما أني كنت أدعو، وأنا في السرير، وغطاء السرير علي، وبقيت في سريري أفكر، وأتخيل ماذا سيحدث، وهل يستجيب لي الله أم لا؟! وهل هذا هو غضب يسوع علي أن جعلني حائرة؟! هكذا حتى رحت فى نوم عميق، وكانت الساعة بعد الثانية صباحًا تقريبًا، وقد كانت أعظم معجزة في حياتي، بل أعظم معجزة حدثت لإنسانة عادية مثلي على الإطلاق.

وفي هذه الليلة حدثت المعجزة التي كانت جارتنا جزءًا منها، فقد توفيت هذه الجارة منذ نحو ثلاث سنين، وكانت امرأة في قمة الأخلاق والتدين، ووجهها عليه ابتسامة من نور، فهذه السيدة التي لم يستطع أحد أن يمنع محبتها من أن تتملك قلبه، حتى أبي وأمي عند موتها قالا: إنها أكثر سيدة مسلمة أحببناها في حياتنا، وأذكر أنه عند ترحيبنا بها بعد عودتها

من الحج كانت قد تذكرت كل فرد من أسـرتنا بهدية بسـيطة في ثمنها، ولكنها غالية في شعورنا بتذكرها لنا، ففي هذا اليوم كان أبـي وأمي يتناقشـان، فقـالا: واللّه حـرام أن تدخل هذه المرأة النار؛ لأنها مسـلمة يا ليتها تفهـم! وعندها رفض عقلي أو قلبـي أن يتخيل أن هذه السـيدة قد تكـون في النار يومًا ما، مستحيل، فهي طيبة جدًّا، ولا أستطيع أن أصف كم بكيت عند وفاتها وافتقدتها كثيرًا.

وقـد كان ذلك التطويل ضـروريًّا؛ لبيان مدى مكانة هذه السـيدة في قلبي، فهي ذات صلة بالمعجزة، وإني أقسم إن هذا حدث، فبعـد أن نمت بعد الثانية صـباحًا رأيت حلمًا بأن هذه السـيدة أمامي على السـرير، وهي تبتسـم ابتسـامتها المنيرة نفسـها، وتقـول لي باللفظ: «هيـا بنا يا... حتـى لا تتأخري»، وأقسـم بـاللّه، وكأن يدهـا تربـت علـى كتفي، فصـحوت من نومي فورًا، وجلسـت أسـتعيد مـا رأيت، فإذا بعـد نحو دقيقة يـؤذن الفجر فيهز كياني، وكأنه يؤذن لي أنا، وكان القرار لقد استجبت لي يا رب، إذًا هو أنت فعلاً ربي ورب يسوع ورب محمد ورب البشرية كلها منذ بداية الخلق، إذًا أنت فعلاً اللّه الرحيم الذي لم يقبل أن يخذلني واستجاب لي في أول دعاء أدعوك به، إذًا هـو الطريق الذي تهديني إليه بأن جعلتني أرى هذا الحلم الذي يدعوني لطريقك، بعد أن تأخرت عليه كثيرًا.

وهنا أردت أن أصلي، ولكني لا أستطيع الصلاة؛ أولاً لأني لا أعرف كيفية الصلاة، وثانيًا أخاف من اكتشاف أمري ومن ثم كان كل ما فعلته أن ذهبت وغسلت وجهي ويدي وقدمي، كما أسمع من المسلمين، ثم وقفت لا أعرف ماذا أفعل، ولا أين القبلة، فوجهت وجهي إلى ناحية الجامع، وسجدت على الأرض، كما يسجد المسلمون، وظللت ساجدة فوق الربع ساعة أبكي بحرقة وأشكر ربي وأقولها عشرات المرات: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمدًا رسول اللّٰه، فقد سمعتها كثيرًا، وكنت أسخر منها، واليوم أقولها، وأشعر أني أكثر من يؤمن بها.

إلى هنا ابتدأت قصة عذاب جديدة، فمن هذا اليوم أصبحت إنسانة أخرى فى قمة التوازن النفسي، وفي قمة الاستقرار والثبات الإيماني، حتى إن هذا الشخص الذي كنت أحبه أصبحت لا أذكره؛ فقد ملأ حب اللّٰه والإيمان كل قلبي، ولم يعد مكان لسواه، ولكن تبقى المصيبة في حياتي، وهي عدم قدرتي على الصلاة أو الصيام كباقي المسلمين، ومصيبتي الكبرى أني لو أظهرت إسلامي، فسيكون مصيري كمصير ماريان وتريز ابنتي الفيوم، فهما محبوستان حتى اليوم في دير نصراني، وتلقيان العذاب النفسي؛ حتى يجبرا على الرجوع إلى النصرانية، وفوق هذا كله قصة السيدة المشهورة وفاء قسطنطين. وهذه هي مصيبتي، فأنا أصبحت أحسد كل



مسلمة ولدت مسلمة وتلقى الدعم من أهلها، ومن مجتمعها للصلاة والصيام.

تخيلوا مسلمة مثلي كل أمنيتها في الحياة أن تصلي كباقي المسلمين، وللأسف لا تستطيع، بل وتجبر على الذهاب إلى الكنيسة والصلاة التي لا تقتنع بها ولا تطيقها. رسالتي إلى كل مسلم: سامحني يا أخي، فالحقيقة مُرّة دائمًا لا تظن يا أخي، أنك ستدخل الجنة بصلاتك وصيامك و... طالما في بلدك أناس مثلي ومثل ماريان وتريز ووفاء اللائي قلن: إنا مسلمات، واستنجدن بكم، وخذلتموهن وتركتموهن للكنيسة تذيقهن العذاب ألوانًا؛ حتى يعدن مسيحيات، فاحترسوا، فقد توحشت الكنيسة، واليوم يخطفون بناتهم من أصول مسيحية؛ لإعادتهن إلى ملتهن.

احترسوا يا مسلمون، فإن غدًا سيأتي الدور على بناتكم، وربما رجالكم، فقد يجبرون على الدخول فى النصرانية على الرغم منهم، فكيف ستواجهون ربكم يا مسلمون، وأنتم ستون مليونًا (في مصر) وانتصر عليكم عشرة ملايين، وانتصروا عليكم في ماذا، في دينكم، فيا رسول الله، يا من نزلت بنفسك للحرب؛ دفاعًا عن دين الله، ولم تخشَ على حياتك، واليوم أتباعك يخافون من مجرد الاعتقال، أو الدخول فى المشكلات، فهذه رسالتي لكم يا مسلمون، واعلموا أني لست وحدي، فمثلي

كثيرون، ولا أعلم هذا صراحة، ولكني على يقين بإحساسي أن هذا الدين (النصرانية) قد فاض بنا الكيل منه، ويا بخت الأمريكيين الذين يدخلون الإسلام براحتهم، ولا يستطيع حتى أهلهم معارضتهم! فعجبًا للإسلام في بلد النصارى يكرم ويصان، وفى بلد الإسلام يهان ويذل! اللهم، خلصني ومن مثلي من كربنا. يا ربّ، ارزقني اليوم الذى أعلن فيه إسلامي دون خوف على الملأ، وأمارس تعاليمه علانية دون خوف، أو أذى، وقرب لي هذا اليوم يا ربّ.

انتهت رسالة الأخت الفاضلة التي أشكرها على أنها شرفتني بإرسالها لي، وإن كنت لا أوافقها على اختيارها «قصة بائسة» عنوانًا لقصتها. فقد كان يمكنني أن أوافق على هذا العنوان لو انتهت القصة بأنها لم تهتدِ إلى الإسلام، أما أنها مسلمة الآن، فتكفيها تلك النعمة، على الرغم من شعوري بمدى معاناتها، ولعلها تعي الآن جملة يرددها المسلمون كثيرًا، وهي: «الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة».

أختي في الإسلام، بالنسبة لمعاناتك فأسأل الله أن يلهمك الصبر عليها إلى أن يفرج الله كربك، ويزيل همك. واعلمي يا أختي الفاضلة، أن هذا ابتلاء من الله عزّ وجلّ ليختبر مدى إيمانك، وثباتك على الإسلام. ولذلك لا تيأسي ولا تضعفي وسيكون لك الثواب في الدنيا والآخرة بإذن الله.



أختـي في الإسـلام، سـامحينا إذا كنـا عاجزيـن عـن مسـاعدتك في وضعك هذا، وما هـذا الوضـع إلا نتيجة عدم تمسـكنـا بدينـنـا، فلا تحزني يا أختي الفاضـلة، فقد يكشـف الله عنك ابتلاءه بلا مسـاعدة من بشـر قد قصـروا، حتى في مساعدة أنفسهم.

أختـي في الإسـلام، أبشـري فأنـت الآن بلا ذنـوب؛ لأن الإسـلام يجُبّ مـا قبله، فأنت الآن أفضـل من بعض مسـلمي المولـد الذين يقترفون المعاصـي والذنوب؛ فلا تنسـي إخوانك من المسلمين في دعائك.

إخواني في الإسلام، لقد وجهت لنا أختنا الفاضلة رسالة صـادقة لا تحتاج إلى تعليق، وأتمنى أن نستوعبها جميعًا؛ لأننا جميعًا سنحاسب أمام الله على تقصيرنا هذا.

ويا زكريا بطرس، أذكرك بحديث شريف وآيات من القرآن الكـريم، فقـد قال رسـول الله ﷺ: «**إِنّ الله ليُؤَيّدُ هَـذَا الدّينَ بِالرّجُلِ الْفَاجِرِ**»[1]، وقال الله في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقـال: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، فكم من مسلم عاد

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٠٦) ومسلم (رقم ١١١).



إلى إسلامه بسبب كذبك وافترائك على الإسلام يا زكريا بطرس، أنا عن نفسي أعرف الكثيرين، وكم من نصراني اعتنق الإسلام، ولو سرًّا بعدما اكتشف تدليسك، وكنت سببًا في بحثه عن الحق! والأخت الفاضلة صاحبة الرسالة مثال على ذلك، وأعتقد أن هناك كثيرين غيرها؛ ولذلك لا أبالغ إذا قلت: إنك فاجر هذا العصر الذي بسببه تمسك كثير من المسلمين بإسلامهم ودرسوه وأقبلوا على عرضه على النصارى، وقبله الكثيرون منهم.

وأخيرًا، أطلب من الإخوة المسلمين ألا ينسوا أختنا الفاضلة، ومن في مثل حالها في دعائهم بأن يكشف عنهم البلاء، وأن يثبتهم على الإسلام، وأن يجزيهم خيرًا في الدنيا والآخرة... اللهم، آمين...

الحكمة

أَبِي الإِسْلامُ لا أَبَ لِي سُوَاهُ
إِذَا فَخَرُوا بِكَعْبٍ أَو كِلَابِ[1]

(١) هذا البيت من بحر الوافر، وينسب إلى نهار بن توسعة المتوفى سنة ٨٣هـ.
والبيت ذكره الشنقيطي في أضواء البيان (٤١٨/٧) وجاء عجزه هكذا: إذا افتخروا بقيس أو تميم.



هالة

حدث في الصين منذ وقت طويل أن تزوجت فتاة اسمها هالة، وذهبت لتعيش مع زوجها ووالدته (حماتها)، وبعد وقت قصير اكتشفت هالة أنها لا تستطيع أن تتعامل مع حماتها، فقد كانتا شخصيتين متباينتين تمامًا، وكانت عادات كثيرة من عادات حماتها تثير غضبها، علاوة على أن حماتها كانت دائمة الانتقاد لها يومًا بعد يوم، وأسبوعًا تلو أسبوع، ولم تتوقف هالة وحماتها عن المجادلات والخناقات، ولكن ما جعل الأمور أسوأ أنه طبقًا للتقاليد الصينية القديمة، أنه كان على هالة أن تركع وتنحني أمام حماتها، وأن تلبي لها كل رغباتها، وكان الغضب وعدم السعادة اللذان يملأان المنزل يسببان إجهادًا شديدًا وتعاسة للزوج المسكين.

وأخيرًا لم يعد في استطاعة هالة أن تتحمل طباع حماتها السيئة ودكتاتوريتها وسيطرتها، فقررت أن تفعل شيئًا حيال ذلك، فذهبت لمقابلة صديق والدها مستر هوانج الذي كان بائعًا للأعشاب، فشرحت هالة له الموقف، وسألته لو كان في إمكانه أن يمدها ببعض الأعشاب السامة؛ حتى يمكنها أن تحل مشكلتها إلى الأبد، فكر مستر هوانج في الأمر لحظات، وأخيرًا قال لها: «هالة، أنا سأساعدك على حل مشكلتك، ولكن عليك أن تصغي إلي وتطيعي ما سأقوله لك».

أجابت هالة، قائلة: «نعم، يا مستر هوانج، أنا سأفعل أي شيء تقوله لي»، انسحب مستر هوانج للغرفة الخلفية، ثم عاد بعد بضع دقائق، ومعه لفافة من الأعشاب، وقال لها: «هالة، ليس في وسعك أن تستخدمي سمًّا سريع المفعول؛ كي تتخلصي من حماتك، وإلا ثارت حولك الشكوك، ولذلك سأعطيك عددًا من الأعشاب التي ستعمل تدريجيًّا وببطء في جسمها، وعليك أن تجهزي لها كل يومين طعامًا من الدجاج أو اللحم وتضعي به قليلاً من هذه الأعشاب في طبقها، وحتى تكوني متأكدة أنه لن يشك فيك أحد عند موتها، فعليك أن تكوني حريصة جدًّا، وأن تصير تصرفاتك تجاهها رقيقة، وألا تتشاجري معها أبدًا، وعليك أيضا أن تطيعي كل رغباتها، وأن تعامليها كما لو كانت أمك».

سعدت هالة بهذا، وأسرعت إلى المنزل؛ كي تبدأ في تنفيذ مؤامرتها؛ لتتمكن من اغتيال حماتها، ومضت أسابيع، ثم توالت الشهور، وكل يومين تعد هالة الطعام لحماتها وتضع بعض الأعشاب في طبقها، وتذكرت دائمًا ما قاله لها مستر هوانج عن تجنب الاشتباه، فتحكمت في طباعها، وأطاعت حماتها وعاملتها كما لو كانت أمها.

بعد ستة شهور تغير جو البيت تمامًا، ومارست هالة تحكمها في طباعها بقوة وإصرار، حتى إنها وجدت نفسها



غالبًا لا تفقد أعصــابها إلى حافة الجنون، كما كانت من قبل، ولم تدخل في جدال مع حماتها التي بدت الآن أكثر طيبة، وبدا التوافـق معها أسـهل، فتغـير موقف الحماة من هالــة، وبدأت تحبها كما لو كانت ابنتها، واستمرت تذكر للأصدقاء والأقرباء أن هالة هي أفضل زوجة ابن يمكن لأحد أن يجدها.

وأصــبحت هالة وحماتهــا الآن يعاملان بعضــهما كما لو كانتا بنتًا ووالدتها، وأصبح زوج هالة سعيدًا، بما قد حدث من تغيــير في البيت، وهو يــرى ويلاحظ ما يحدث، وفي أحد الأيام ذهبت هالة مرة أخرى إلى صديق والدها مستر هوانج، وقالت له: «عزيزي مســتر هوانج، من فضلك ساعدني هذه المرة على منع الســم من قتل حماتي، فقــد تغيرت إلى امرأة لطيفة، وأنا أحبهــا الآن مثل أمي، ولا أريدها أن تموت بســبب الســم الذي أعطيته لها».

ابتســم مستر هوانج وهزّ رأسه، وقال لها: «أنا لم أعطك سـمًّا علــى الإطلاق، لقــد كانت الأعشــاب التــي أعطيتها لك عبارة عن فيتامينات لتحســين صحتها، والسم الوحيد كان في عقلك أنت، وفى اتجاهاتك نحوها، ولكن كل هذا قد غُسِل الآن بواسطة الحب الذي أصبحت تكنينه لها».

الحكمة

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

كما تعامل الآخرين سيعاملونك هم، وفي الصين يقولون: الشخص الذي يحب الآخرين سيكون هو أيضًا محبوبًا!



حوار شيّق

مرّ مجنون على عابد يناجي ربه، وهو يبكي، والدموع منهمرة على خديه، وهو يقول: ربّ، لا تدخلني النار، فارحمني وارفق بي يا رحيم، يا رحمن، لا تعذبني بالنار فإني ضعيف، فلا قوة لي على تحمل النار، فارحمني، وجلدي رقيق لا يستطيع تحمل حرارة النار، فارحمني، وعظمي دقيق لا يقوى على شدة النار، فارحمني.

ضحك المجنون بصوت مرتفع، فالتفت إليه العابد، قائلاً: ماذا يضحكك أيها المجنون؟ قال: كلامك أضحكني، فقال العابد: وماذا يضحكك فيه؟ فقال المجنون: لأنك تبكي؛ خوفًا من النار. قال: وأنت ألا تخاف من النار؟ قال المجنون: لا، لا أخاف من النار، ضحك العابد وقال: صحيح إنك مجنون. قال المجنون: كيف تخاف من النار أيها العابد، وعندك رب رحيم رحمته وسعت كل شيء؟ قال العابد: إن علي ذنوبًا لو يحاسبني الله بعدله لأدخلني النار، وإني أبكي كي يرحمني ويغفر لي، ولا يحاسبني بعدله، بل بفضله ولطفه ورحمته؛ حتى لا أدخل النار!

هنالك ضحك المجنون بصوت أعلى من المرة السابقة، فانزعج العابد، وقال: ما يضحكك؟! قال: أيها العابد، عندك رب عادل لا يجور، وتخاف عدله؟! عندك رب غفور رحيم تواب

وتخاف ناره؟! قال العابد: ألا تخاف من الله أيها المجنون؟ قال المجنون: بلى، إني أخاف الله، ولكن خوفي ليس من ناره.

تعجب العابد، وقال: إذا لم يكن من ناره، فممّ خوفك؟ قال المجنون: إني أخاف من مواجهة ربي وسؤاله لي: لماذا يا عبدي، عصيتني؟ فإن كنت من أهل النار، فأتمنى أن يدخلني النار من غير أن يسألني، فعذاب النار أهون عندي من سؤاله سبحانه، فأنا لا أستطيع أن أنظر إليه بعين خائنة وأجيبه بلسان كاذب، وإن كان دخولي النار يرضي حبيبي فلا بأس.

تعجب العابد، وأخذ يفكر في كلام هذا المجنون، فقال المجنون: أيها العابد، سأقول لك سرًّا فلا تذعه لأحد، فقال العابد: ما هو هذا السر أيها المجنون العاقل؟ قال: أيها العابد، إن ربي لن يدخلني النار، أتدري لماذا؟ قال العابد: لماذا يا مجنون؟ قال: لأني عبدته حبًّا وشوقًا، وأنت يا عابد، عبدته خوفا وطمعًا، وظني به أفضل من ظنك، ورجائي منه أفضل من رجائك، فكن أيها العابد، لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فموسى عليه السلام ذهب لإحضار جذوة من النار ليتدفأ بها، فرجع بالنبوة، وأنا ذهبت لأرى جمال ربي فرجعت مجنونًا، فأخذ المجنون يضحك والعابد يبكي، ويقول: لا أصدق أن هذا مجنون، فهذا أعقل العقلاء، وأنا المجنون الحقيقي، وسوف أكتب كلامه بالدموع.

الحكمة

كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى ابن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله نارًا، فكلّمه اللّٰه تعالى ورجع نبيًّا، وخرجت ملكة سبأ كافرة، فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون، فرجعوا مؤمنين. إلهي، كيف أنساك، ولم تزل ذاكري؟! وكيف ألهو عنك، وأنت مراقبي؟

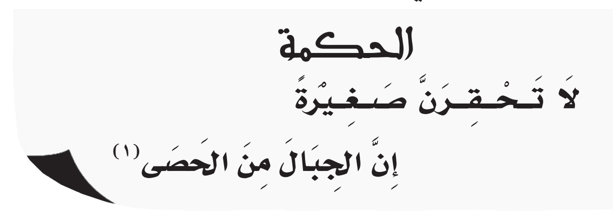


الحجر الصغير

أعاد حاج ماليزي حجرًا صغيرًا من بقايا الحصى التي رمى بها الجمرات في أثناء وجوده في مكة لأداء الفريضة، حيث اكتشف بعد وصوله وطنه وجود هذا الحجر في حقيبته، فأصرَّ على إعادته مرة أخرى إلى مزدلفة، فقام بإحضار علبة زجاج صغيرة قيِّمة، ونظَّف الحجر وعطَّره ووضعه داخل العلبة، ثم كتب رسالة إلى مدير بريد العاصمة المقدسة، وأرفقها بمبلغ عشرة ريالات وطلب من مدير البريد أن يدفعها إلى سائق سيارة أجرة؛ لإعادة الحجر إلى مكانه.

وقام مدير بريد العاصمة المقدسة عبدالمحسن بن سلمي الردادي شخصيًّا بإيصال الأمانة «الحجر» إلى مزدلفة، وكتب رسالة إلى ذلك الحاج، وأعاد إليه الريالات العشرة، ومعها مصحف ومسبحة.

تبيِّن هذه الواقعة أن هذا الحاج كان مهتمًّا بالحجر، لدرجة أنه وضعه داخل زجاج ثمين، بعد أن قام بتنظيفه من الأتربة ومسحه بعطر ذي رائحة زكية.



(١) هذا البيت من بحر مجزوء الكامل، وينسب إلى ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ، وذكر البيت القرطبي في تفسيره (١/١٦٢) وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).



تذاكر القطار

كان هنـاك ثلاثـة هنـود وثلاثـة باكسـتانيين يشـترون تذاكر ركوب القطار، فالهنود اسـتغربوا، وقالوا للباكستانيين: لماذا اشـتريتم تذكرة واحدة وأنتم ثلاثـة؟ قالوا لهم: انظروا وتعلموا، فركبوا القطار، وقبل وصـول المشـرف ليأخذ التذاكر من الـركاب قام الباكسـتانيون، ودخلوا هـم الثلاثة الحمام، وجاء المشـرف عنـد الحمـام، ودق الباب قال:أيـن التذكرة؟ ففتحوا الباب، وواحد منهم مدّ يده وأعطاه التذكرة. ولما ذهب المشرف خرجوا هم الثلاثة من الحمام، وجلسوا، وطبعًا الهنود أعجبتهم الفكرة، وهم راجعون في قطار العودة اشتروا تذكرة واحدة، والباكسـتانيون لم يشـتروا شـيئًا، فاسـتغرب الهنود، وسألوهم: لماذا لم تشتروا مثل ما اشتريتم أولاً؟

قالـوا لهم: انظروا وتعلموا، وركبوا القطار، وقبل وصـول المشـرف لجمـع التذاكر، قـام الهنـود ودخلوا الحمـام، وقام الباكسـتانيون، ودخلـوا الحمام الـذي بجانبهـم، وطلع واحد مـن الباكسـتانيين ودق باب الحمـام الذي به الهنـود، وقال: أيـن التذكرة؟ فتح الهنود الباب ومـدّ واحد منهم يده وأعطاه التذكـرة، فأخذها الباكسـتانيون، ودخلوا الحمـام، ودفعوها بالطريقـة نفسـها إلى المشـرف وخرجـوا، أما الهنـود -الله يعينهم- فماذا حَدَث لهم؟ حدِّث ولا حرج.



الحكمة

بِمَـنْ يَثِـقُ الإنْسـانُ فيمَـا يَنُوبُه
وَمِـنْ أَيـنَ للحُـرِّ الكـرِيمِ صِحَابُ
وقـدْ صارَ هـذَا النَّاسُ إلا أَقلَّهم
ذِئابًـا علَـى أَجسَادِهِنَّ ثِيَـابُ [(١)]

(١) هذان البيتان من بحر الطويل، وينسبان إلى أبي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧هـ، وذكر البيتين المناوي في فيض القدير (٢/٧١).



أحبها الجميع

يحكى أن فتى قال لأبيه: أريد الزواج من فتاة رأيتها، وقد أعجبني جمالها وسحر عينيها، فرد عليه أبوه، وهو فرح ومسرور، قال: أين هذه الفتاة حتى أخطبها لك؟ فلما ذهبا ورأى الأب هذه الفتاة أعجب بها وقال لابنه: اسمع يا بني، هذه الفتاة ليست من مستواك، وأنت لا تصلح لها، هذه يستحقها رجل له خبرة في الحياة، وتعتمد عليه مثلي. دهش الولد من كلام أبيه، وقال له: كلا، بل أنا سأتزوجها يا أبي، وليس أنت، فتخاصما وذهبا إلى مركز الشرطة؛ ليحلوا لهما المشكلة، وعندما قصَّا للضابط قصتهما، قال لهما: أحضرا الفتاة؛ لكي نسألها من تريد الولد أم الأب؟

ولما رآها الضابط انبهر من حسنها وفتنتها، فقال لهما: هذه لا تصلح لكما، بل تصلح لشخص مرموق في البلد مثلي، وتخاصم الثلاثة، وذهبوا إلى الوزير، وعندما رآها الوزير، قال: هذه لا يتزوجها إلا الوزراء مثلي، وأيضًا تخاصموا عليها، حتى وصل الأمر إلى أمير البلد، وعندما حضروا إلى الأمير قال: أنا سأحل لكم المشكلة أحضروا الفتاة، فلما رآها الأمير قال: بل هذه لا يتزوجها إلا أمير مثلي. وتجادلوا جميعًا، ثم قالت الفتاة: أنا لدي الحل، سوف أركض وأنتم تركضون



خلفي، والذي يمسكني أولاً أنا من نصيبه ويتزوجني، وفعلاً ركضت وركض الخمسة خلفها: الشاب والأب والضابط والوزير والأمير، وفجأة وهم يركضون خلفها سقط الخمسة في حفرة عميقة، ثم نظرت إليهم الفتاة من أعلى، وقالت: هل عرفتم من أنا؟! أنا الدنيا، أنا التي يجري خلفي جميع الناس، ويتسابقون للحصول علي فألهيهم عن دينهم حتى يقعوا في القبر، ولن يفوزوا بي أبدًا.

الحكمة

دنيا غرّارة خدّاعة، إذا حلت أوحلت، وإذا جلت أوجلت، وإذا كست أوكست، وكم من ملك رُفعت له علامات، فلما علا مات[1]!

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا**».
أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٢٢) وابن ماجه (رقم ٤١١٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٠٩).



الدكتور أحمد

ابتدأ الشيخ ليلتنا بكلمة طيبة، قصيرة في كلماتها، لكنها عظيمة في معانيها، أثنى فيها على الله تعالى، وأرجع الفضل كله لله، وما الدكتور أحمد إلا سببٌ جعل الله الشفاء على يديه (هكذا قال)، وكان مما قال أيضًا: إني لا أحتفي هذه الليلة بسعادة الدكتور أحمد؛ لأنه شفاني، فإنما يشفي الله تعالى، ولا لأنه عالجني، فهذا واجبه وهذه مهنته، فهو يعالجني ويعالج غيري! وهذا عمله، ولكنني أحتفي به؛ لما رأيت من أخلاقه العظيمة، ونبله، وشفقته عليّ وتعهده لي بالنصائح، وإن كان قد آذاني بطلبه مني المشي مبكرًا، قبل أن أستعيد توازني! قالها على سبيل الدعابة، ثم ختم كلمته بالثناء على الله عزّ وجلّ، والدعاء لهذا الطبيب بأن يوفقه الله في الدنيا والآخرة، وتقديم درع تذكاري بهذه المناسبة.

قال الدكتور أحمد: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أشكر الشيخ فوزي على ما بذل، ولقد لفت انتباهي في كلمته قوله: «إنما يشفي الله تعالى». يا إخوة، كنت أدرس جراحة المخ والأعصاب في السويد عام ١٩٧٩م، أي قبل ثلاثين سنة، وفي ذات يومٍ طلبني أحد كبار الأطباء هناك في المستشفى الذي أعمل فيه؛ لنقوم



بإجراء عملية جراحية لاستئصال ورم سرطاني في دماغ امرأة قد تجاوزت الأربعين من عمرها، فاستعنت بالله تعالى وقمت بمساعدة هذا الطبيب على إجراء العملية التي استغرقت منا وقتًا ليس بالقصير، حتى تمكنّا ولله الحمد من إزالة الورم، وشفيت المرأة بفضل الله.

ثم بعد عشرة أيام دخلت عليها في غرفتها ؛ لأقوم بنزع (الغرز) من رأسها، وبينما أنا أعمل على إزالتها حركتُ مرفقي بلا شعور مني، فدفعتُ صورة كانت بجوارها، فوقعتْ على الأرض، فهويت لكي أرفعها، فإذا هي صورة كلب! فرفعتها على كُرهٍ مني! فرأيت الامتعاض في وجهها، فقلت لها: إنه كلب! فقالت: نعم، ولكنه الشخص الوحيد الذي ينتظر عودتي إلى البيت! فعلمت أنه ليس في حياتها من يفرح لفرحها أو يحزن لحزنها إلاّ هذا الكلب! فسألتني: من أين أنت؟! فقلت: من مصر، عربيٌّ مسلم!

فأخذت تسمعني الازدراء لوضع المرأة عندنا، وكبت حريتها كما زعمت، فقلت: إن المرأة عندنا مكرمة مصونة، فهي كالجوهرة الغالية النفيسة، كلٌّ يخدمها ويحوطها بالرعاية، زوجها يخدمها، وأبوها، وأخوها، وابن أخيها، وابن أختها، كلهم في خدمتها، ولا تخرج إلى سوق أو عمل إلا ومعها أحد هؤلاء؛ حفاظًا عليها، ليس شكًّا فيها، فحاشا وكلا، غير أنّا



نريدهـا في علاها نجمة لا تنالها أعينُ الناس، تراها مصـونة في سمائها، وجعل لها الإسلام مكانة ليست لنساء الدنيا كلها، وما حفاظنا عليها إلا لعظيم قدرها في قلوبنا، فهي محل الثقة، لكنهـا كالـوردة الجميلة التي لا يجوز لكل الناس أن يشـموها؛ حتـى لا تفسـد! وإذا مرضـت، فإنها تجد أهلهـا كلهم حولها، يحتفـون بها، ويخدمونهـا، ويراقبـون أنفاسـها، ويعتنون بها غاية العناية، ولا تكادين تجدين موطئ قدم في غرفتها؛ لكثرة مـن يقوم بخدمتها من أقربائها، وإذا خرجت من المستشـفى، فإن هناك جيشًـا من أهلها في انتظارهـا، فيفرحون لفرحها، ويسعدون لسعادتها، وليس كلبًا في انتظارها كحالك!

فغضـبت، واتهمتني بأنني متخلف وسـطحي، وليس لدي من مقومات الحضـارة شيء، فابتسمت وخرجتُ من غرفتها، بعـد أن أنهيت عملـي، ثم فوجئتُ بأن تلك المرأة تشـكوني إلى كبير الأطبـاء، وتطلب منه عدم دخولي عليهـا مرة أخرى! بل وترغـب في الخـروج مـن المستشـفى. فقلت: لا بد مـن بقائها يومين علـى الأقل؛ حتى أتمكن من إنهـاء علاجها، وأعمل لها تحاليل طبية. فأصرت على الخروج وخرجتْ.

ونسـيت أنا ذلك الموقف تمامًا، فليسـت أول غربيٍّ أسمع منه هذا الكلام، ولن تكون الأخيرة! وفي ليلةٍ، فوجئت باتصال مـن الطبيـب المناوب بقسـم الطـوارئ يخبرني بوجـود حالة

غريبة لا يعرف كيف يتصرف معها، فسألته: ما هي؟ فأخبرني أنها امرأة لديها حالة تشنج مستمر، يأتيها بمعدل كل خمس دقائق، فأسرعت إلى المستشفى في منتصف الليل، ففوجئت بأن المريضة هي نفسها تلك المرأة! وكنت قد نسيتُ موقفها معي تمامًا، فأدخلتها غرفة العمليات، وقمت بإجراء عملية لها في الدماغ، استغرقت وقتًا طويلاً، وتمت بنجاح والحمد لله، ثم دخلت عليها بعد إفاقتها، فرفعت رأسها ونظرت إليّ، وتكلمت بلسان ثقيل:

- أنت الذي أجريت لي العملية؟

- نعم.

- وسهرت بجواري طوال الليل.

- نعم ؛ لأن هذا واجبي.

- يعني، أنت الذي شفيتني!

- لا.

- من إذًا؟ هل كان معك أحد؟

- نعم، إنه الله عزّ وجلّ هو الذي شفاك، وإنما أنا سبب، أنا الذي عالجتُ فقط.



- أنت لا تزال رجعيًّا، تؤمن بالخرافات، وما وراء الطبيعة، أعجب لك وأنت طبيب مثقف كيف تصدق مثل هذه الأمور؟!

- وأنا أعجب لك، وأنت تدعين الثقافة، كيف لا تقرئين عن الإسلام، وتجيزين لنفسك إلقاء التهم جزافًا؟! وغضبت جدًّا من كلامها، ولكن أملي كان يحدوني تجاه تحملها؛ علها تهتدي، ثم ودعتها وانصرفت، وبعد أيام خرجتْ تلك المرأة من المستشفى، وبعد قرابة ستة أشهر، أخبرني أحد العاملين معنا أن هناك امرأة تريدني على الهاتف، فرفعتُ السماعة، وقلت:

- نعم، من المتحدث؟ فإذا بها تلك المرأة نفسها، وقد تبدلت نبرة حديثها، لكنها تطلب مني أمرًا غريبًا.

- أريد أن أراك، فهل تستطيع أن تطلب إجازة من عملك، وتأتي إلينا في (لوند) مدة يومين؟

- فاعتذرت؛ لأن عملي متواصل دائمًا بلا انقطاع. فألَّحت عليّ، فامتنعتُ، فطلبت مني طلبًا غريبًا:

- ما اسم أمك؟ (فقلت في نفسي: لعل هذا من آثار العمليات الجراحية التي أجريت لها، هل سببت لها خللاً في التفكير؟).

- لماذا تريدين اسم أمي؟



- قالت بصوت متهدج: لأني: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأنا أسلمت، وعرفت طريق الحق، وأنت لك حقٌّ عليّ، وأريد أن أسمي نفسي باسم أمك، فأنت الذي دللتني على الطريق الحق، ومن حقك أن أذكرك دائمًا بخير. (فضج مجلسنا بالتكبير والتهليل). قال الدكتور: فكادت سماعة الهاتف تسقط من يدي، ثم سكت فجأة، فالتفتُ إليه، فإذا عيناه تفيضان بالدمع! وأخذته بحةٌ في صوته، فأكمل حديثه بصعوبة بالغة، قال: فذهبت إلى رئيسي في المستشفى؛ لأطلب منه إجازة يومين. فقال لي: أنت يا دكتور أحمد، الطبيب الوحيد الذي لم يحصل على إجازة منذ سنتين! خذ أكثر. قلت: لا، يومان كفاية.

فذهبت إليها، فإذا هي امرأة غير تلك المرأة التي كانت تعظم صورة كلبٍ بجوار رأسها في المستشفى، امرأة تبدلت وتبدل فيها كل شيء، كلامها، ولبسها، نظرتها للحياة، ذهبت معها إلى المحكمة، برفقة زميلين لي؛ لنشهد إشهار إسلامها، وهناك وسط قاعة المحكمة صدحت بكلمة الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وقرأت الفاتحة قراءة ملؤها البراءة والطهر، فانفجرت العيون بالدموع، وخشعت النفوس، وبكينا بكاء الطفل من شدة الفرح، وكيف لا نفرح، وقد شهدنا ميلادها الحقيقي، وخروجها من الظلمات

إلى النــور، وكيف لا أبكي فرحًا، وقد أراني الله تعالى من كنتُ سببًا في إسلامها، وإنقاذها من النار.

وقمت أنا وزميلي وصــلينا ركعتين شـكرًا لله، وصلت هي خلفنــا، وقالت لي: أتذكـر يا دكتور أحمد، صــورة ذلك الكلب الذي كدتُ أكتب له كل ثروتي؟ قلت: نعم، قالت: فإني أتلفتها، وأنفقــت كل أمــوالي في ســبيل الله، وبنيــت منهــا أكبر مركز إسلامي هنا، هنا وضع الدكتور أحمد يده على عينيه، يصارع دمعًــا يريد أن يقفز من محاجره، وقــد بدا عليه التأثر، وأنهى كلامه بهذه الجملة.

نظرت إلى الحضــور، وقد شــعّ نور الإيمــان من وجوههم، وأخــذوا في الثنــاء والدعاء لهذا الطبيب المســلم الذي ما نســي ثوابتــه، حتى في أحلــك الظروف، في الغربة في أقصــى الأرض، هذه أخلاق الطبيب المســلم ورغبته في هداية الناس، تمثلت هذه الليلة في هذا الطبيب المعتز بإســلامه، أما أنا فأحســست بغصة في حلقــي، ثم تشــجعت، وطلبت من الدكتور أن يــأذن لي بكتابة هذه القصة، فأذن لي، وهذه هي قصته، كتبتها من غير تعليق.

الحكمة

نحــن قــوم أعزنــا الله بالإســلام، فــإن ابتغينــا العزة في سواه أذلنا الله.

(١) هذا قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠ رقم ٢٠٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.



خبير التسويق

أراد رجل أن يبيع بيته، وينتقل إلى بيت أفضل، فذهب إلى أحد أصدقائه، وهو رجل أعمال وخبير في أعمال التسويق، وطلب منه أن يساعده على كتابة إعلان لبيع البيت، وكان الخبير يعرف البيت جيدًا، فكتب وصفًا مفصلاً له، أشاد فيه بالموقع الجميل والمساحة الكبيرة ووصف التصميم الهندسي الرائع، ثم تحدث عن الحديقة وحمام السباحة... إلخ. وقرأ كلمات الإعلان على صاحب المنزل الذي أصغى إليه باهتمام شديد، وقال: أرجوك أعد قراءة الإعلان!

وحين أعاد الكاتب القراءة صاح الرجل: يا له من بيت رائع! لقد ظللت طول عمري أحلم باقتناء مثل هذا البيت ولم أكن أعلم أنني أعيش فيه إلى أن سمعتك تصفه، ثم ابتسم، قائلاً: من فضلك، لا تنشر الإعلان، فبيتي غير معروض للبيع!

الحكمة

أحصِ النعم التي أعطاها اللّٰه لك، واكتبها واحدة واحدة، وستجد نفسك أكثر سعادة من ذي قبل، وإننا ننسى أن نشكر اللّٰه تعالى؛ لأننا لا نتأمل في النعم.

قال أحدهم: إننا نشكو؛ لأن اللّٰه جعل تحت الورود أشواكًا وكان الأجدر بنا أن نشكره؛ لأنه جعل فوق الشوك وردًا!

وقال آخر: تألمت كثيرًا عندما وجدت نفسي حافي القدمين، ولكنني شكرت اللّٰه أكثر، حينما وجدت آخر ليس له قدمان.



والعسـل يا شيخ

يحكـى أن رجـلاً كان يتمشـى في أدغـال أفريقيا، حيث الطبيعة الخلابة، وحيث تنبت الأشجار الطويلة، بحكم موقعها في خـط الاسـتواء، وكان يتمتع بمنظر الأشـجار، وهي تحجب أشـعة الشمس من شدة كثافتها، ويسـتمتع بتغريد العصافير، ويستنشق عبير الزهور التي تنتج منها الروائح الزكية.

وبينما هو مسـتمتع بتلك المناظر سمع صوت عَدْو سريع، والصوت في ازدياد ووضوح، فالتفت الرجل إلى الخلف، وإذا به يرى أسدًا ضخم الجثة منطلقًا بسرعة خيالية نحوه، ومن شدة الجوع الذي ألّم بالأسد، فإن خصره ضامر بشكل واضح.

أخذ الرجل يجري بسـرعة، والأسـد وراءه، وعندما أخذ الأسـد يقترب منه رأى الرجل بئرًا قديمـة، فقفز قفزة قوية، فـإذا هو في البئر، وأمسـك بحبل البئر الذي يسـحب به الماء، وأخذ يتمرجح داخل البئر، وعندما أخذ أنفاسـه، وهدأ روعه، وسـكن زئير الأسـد إذا به يسمع صوت ثعبان ضـخم الرأس، عريض الطـول في جـوف البئـر، وفيمـا هو يفكـر في طريقة يتخلص بها من الأسد والثعبان إذا بفأرين: أسود، والآخر أبيض يصعدان إلى أعلى الحبل.



أخذ الفأران يقرضان الحبل فأصيب الرجل بالهلع خوفًا، وأخذ يهز الحبل بيديه؛ بغية أن يذهب الفأران، وأخذ يزيد عملية الهز، حتى أصبح يتمرجح يمينًا وشمالاً داخل البئر، وأخذ يصدم جوانب البئر، وفيما هو يصطدم أحس بشيء رطب ولزج ضرب مرفقه، فإذا ذلك الشيء عسل النحل، حيث تبني النحل بيوتها في الجبال، وعلى الأشجار، وكذلك في الكهوف، فقام الرجل بتذوقه، فأخذ لعقة وكرر ذلك، ومن شدة حلاوة العسل نسي الموقف الذي هو فيه، وفجأة استيقظ من النوم، فقد كان حلمًا مزعجًا، فقرر الرجل أن يذهب إلى شخص يفسر له الحلم، وذهب إلى شيخ وأخبره بالحلم، فضحك الشيخ، وقال: ألم تعرف تفسيره؟!

قال الرجل: لا.

قال له: الأسد الذي يجري وراءك هو ملك الموت، والبئر الذي به الثعبان هو قبرك، والحبل الذي تتعلق به هو عمرك، والفأران الأسود والأبيض هما الليل والنهار يقصان من عمرك، قال الرجل: والعسل يا شيخ؟!

قال: هي الدنيا من حلاوتها! أنستك أن وراءك موتًا وحسابًا!



الحكمة

إنَّ الدُّنْيَا قَدْ غَرّتْنا

وَاْسْتَهْوَتْنا وَاسْتَلْهَتْنَا

مَا مِنْ يَومٍ يَمْضِي إلّا

أَوهَتْ مِنَّا رُكْنَا



الطريق المظلم

رجل استيقظ مبكرًا؛ ليصلي صلاة الفجر في المسجد، فلبس وتوضأ، وذهب إلى المسجد، وفي منتصف الطريق تعثر، ووقع، واتسخت ملابسه، فرجع إلى بيته وغيَّر ملابسه، وتوضأ وذهب ليصلي، وفي المكان نفسه تعثر ووقع واتسخت ملابسه أيضًا، فرجع إلى بيته، وغيَّر ملابسه وتوضأ وخرج من البيت، فلقي شخصًا معه مصباح، فسأله: من أنت؟ قال: أنا رأيتك وقعت مرتين، فقلت: أنير لك الطريق إلى المسجد، ونوّر له الطريق للمسجد وعند باب المسجد قال له الرجل: ادخل لنصلي، فرفض الدخول، وكرر طلبه، لكنه رفض وبشدة الدخول للصلاة، فسأله: لماذا لا تحب أن تصلي؟

قال له: أنا الشيطان، أنا أوقعتك المرة الأولى؛ لكي ترجع إلى البيت، ولا تصلي في المسجد، ولكنك رجعت، ولما رجعت إلى البيت غفر الله لك ذنوبك، ولما أوقعتك المرة الثانية، ورجعت إلى البيت غفر الله لأهل بيتك، وفي المرة الثالثة خفت أن أوقعك، فيغفر الله لأهل قريتك.

الحكمة

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾. [الإسراء: ٥٣]

التصرف الصحيح

اشـترت زوجة ماء نار؛ لأغراض تنظيف الأركان بأرضية الحمـام؛ نظـرًا لتأثيره الرائـع والسـريع في إعـادة البريـق للسـيراميك، ولكنها وضعته في زجاجة ماء في المطبخ من دون إعلام زوجهـا بمكونات الزجاجة، فما كان مـن الزوج عندما شـعر بالعطش إلا أن أمسـك الزجاجة وشـرب منها، وعندما شـعر بالطعم الـكاوي ألقى بمـاء النار من فمه علـى الأرض، ورأى كيف كان هذا الماء يغلي على الأرضـية، فطلب الزوج من زوجته الإسـراع بإحضـار اللبن من الثلاجة، وشرب أكثر من نصف كيلو من اللبن.

ثم توجه الزوج إلى معهد السـموم، وهناك طلب الطبيب من الممرضة الإسراع بإحضـار اللبن له، وعندما أعلمه الزوج بأنه قد شـرب لبنًـا بالفعل، امتـدح الطبيب هذا التصـرف، وتعجب كيف أنه تصرف هكذا، حيث إن أغلب الذين يتوجهون إلى معهـد السـموم في حـالات شـبيهة لم يكونـوا يعلمون هذه المعلومـة، فبيَّـن الطبيب للـزوج تأثير اللبن، حيـث يقوم بعمل بطانة سريعة تخفف من آثار هذه المادة الكاوية.

وأعلمـه أن اللبن يجب أن يتعاطاه المصـاب فورًا في حالة شرب أي مادة كاوية كالبوتاس، كما أضاف الطبيب له معلومة أخرى أن أي مادة بترولية كالجاز أو البنزين أو السولار عندما

تشــرب بالخطأ يجب عدم شــرب أي شيء لتخفيف تأثيرها أو مواجهته، أو محاولة إخراج هذه المادة البترولية، وكذلك المادة الكاوية، وذلك بمحاولة التقيؤ؛ لأن هذا يتســبب في صعود هذه المواد للمريء ويقوم بإعادة توزيع جديد للمادة في الأمعاء مرة أخرى، بل يجب التوجه فورًا إلى معهد الســموم، وليس إلى أي مستشفى عادي.

الحكمة

بالوقاية والعلاج يكون الشفاء[1].

(١) وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**». أخرجه النسـائي في الكبرى (رقم ٧٥٥٥) وابن أبي شـيبة في المصـنف (٥/٣١ رقم ٢٣٤١٦).



حجة القرآن

كان عندنا زميل تركي، يقول: حين كنت أدرس في الجامعة التركية كان ضمن الطلاب طالب متدين، حافظ للقرآن، فطن، ذكي، صاحب بديهة، وكان أحد الأساتذة الذين يدرسون لنا أستاذًا علمانيًّا خبيثًا، دائمًا يدس السم في حديثه، ويغمز بعض الأحكام الإسلامية، ويعرِّض ببعض تشريعات الإسلام.

وفي إحدى محاضراته، أخذ يتكلم ويقول: «القرآن كتابنا العظيم وتراثنا القديم فيه أخلاق ومواعظ، لكن ليس فيه كل شيء، فقام له هذا الطالب، وقال: يا دكتور، اللّٰه يقول في كتابه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] والإمام المبين هو القرآن العظيم، فكيف تقول: ليس فيه كل شيء؟! فغضب هذا الدكتور، وقال: «أنت تقول: إن فيه كل شيء» قال الطالب: نعم، فقال الدكتور: هل صلعتي هذه موجودة في القرآن، وكان الدكتور أصلع منذ صغره، فلم ينبت له شعر أبدًا؟!

فقال الطالب: نعم يا دكتور، صلعتك موجودة في القرآن، فقال الدكتور: أين صلعتي في القرآن؟! فقال الطالب: موجودة في قول اللّٰه عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] فأنت عقيدتك خبيثة،

وفكـرك خبيـث؛ لذلـك لم ينبـت لك شـعر، فضـجت القاعة بالضحك، وصار هذا الأستاذ أضحوكة الجامعة.

الحكمة

لَـو أَنَّ كُلَّ كَلْبٍ عَـوَى أَلْقَمْتُهُ حَجَرًا

لَصَـارَ الصَّخْـرُ مِثْقَـالٌ بِدِينَارِ(١)

(١) هذا البيت من بحر البسـيط، وينسب إلى علي الغراب الصفاقسي المتوفى سنة ١١٨٣هـ.



بلال

ذهب بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول له: يا خليفة رسول الله، إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله**»[1]، قال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما تشاء يا بلال؟ قال: أردت أن أرابط في سبيل الله، حتى أموت.

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن يؤذن لنا؟ قال بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعيناه تفيضان من الدمع: إني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله، قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل ابقَ وأذن لنا يا بلال. قال بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كنت قد أعتقتني لأكون لك، فليكن ما تريد، وإن كنت أعتقتني لله، فدعني، لما أعتقتني له. قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل أعتقتك لله يا بلال.

فسافر إلى الشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث بقي مرابطًا ومجاهدًا، يقول عن نفسه: لم أطق أن أبقى في المدينة، بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إذا أراد أن يؤذن، وجاء إلى: «أشهد أن محمدًا رسول الله» تخنقه عَبْرته، فيبكي، فمضى إلى الشام، وذهب مع المجاهدين.

وبعد سنين رأى بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه، وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟! آن لك أن تزورنا؟ فانتبه حزينًا، فركب إلى المدينة، فأتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعل يبكي، فأقبل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فجعل يقبلهما ويضمهما، فقالا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/٣٣٨ رقم ١٠١٣).



له: نشتهي أن تؤذن في السحر! فعلا سطح المسجد، فلمّا قال: اللّه أكبر، اللّه أكبر. ارتجّت المدينة، فلمّا قال: (أشهد أن لا إله إلا اللّه) زادت رجّتها، فلمّا قال: (أشهد أن محمدًا رسول اللّه) خرج النساء من خدورهنّ، فما رُئِي يومٌ أكثر باكيًا وباكية من ذلك اليوم[١].

وعندما زار الشام أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توسل المسلمون إليه أن يحمل بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يؤذن لهم صلاة واحدة، ودعا أمير المؤمنين بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد حان وقت الصلاة، ورجاه أن يؤذن لها، وصعد بلال وأذن.

فبكى الصحابة الذين كانوا قد أدركوا رسول اللّه ﷺ وبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤذن، بكوا كما لم يبكوا من قبل أبدًا، وكان عمر أشدهم بكاء.

وعند وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبكي زوجته بجواره، فيقول: «لا تبكي؛ غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه».

الحكمة

«يحشر المرء مع من أحب»[٢].

(١) ذكر هذا الخبر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/٣٥٦-٣٥٨) وقال عقبها: إسناده لين وهو منكر.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦١٦٨، ٦١٦٩) ومسلم (رقم ٢٦٤٠).



صحبة العالم

سأل عالم تلميذه: منذ متى صحبتني؟ فقال التلميذ: منذ ثلاث وثلاثين سنة، فقال العالم: فماذا تعلمت مني في هذه المدة؟! قال التلميذ: تعلمت ثماني مسائل، قال العالم: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك، ولم تتعلم إلا ثماني مسائل؟! قال التلميذ: يا أستاذ، لم أتعلم غيرها، ولا أحب أن أكذب، فقال الأستاذ: هات ما عندك؛ لأسمع.

قال التلميذ: **الأولى**: إني نظرت إلى الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوبًا، فإذا ذهب إلى القبر فارقه محبوبه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخلت معي.

الثانية: إني نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] فأجهدت نفسي في دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله.

الثالثة: إني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت أن كل من معه شيء له قيمة حفظه؛ حتى لا يضيع، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فكلما وقع في يدي شيء ذو قيمة وجهته لله؛ ليحفظه عنده.



الرابعة: إني نظرت إلى الخلق، فرأيت كلاًّ يتباهى بماله أو حسبه أو نسبه، ثم نظرت إلى قول اللّٰه تعالي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فعملت في التقوى؛ حتى أكون عند اللّٰه كريمًا.

الخامسة: إني نظرت في الخلق، وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضًا، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت الحسد واجتنبت الناس، وعلمت أن القسمة من عند اللّٰه، فتركت الحسد عني.

السادسة: إني نظرت إلى الخلق يعادي بعضهم بعضًا، ويبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، ونظرت إلى قول اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فتركت عداوة الخلق، وتفرغت لعداوة الشيطان وحده.

السابعة: إني نظرت إلى الخلق، فرأيت كل واحد منهم يكابد نفسه، ويذلها في طلب الرزق، حتى إنه قد يدخل فيما لا يحل له. ونظرت إلى قول اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فعلمت أني واحد من هذه الدواب، فاشتغلت بما للّٰه عليّ، وتركت ما لي عنده.



الثامنـة: إني نظرت إلى الخلـق، فرأيت كل مخلوق منهم متـوكلاً على مخلـوق مثله، هذا علـى ماله، وهذا على ضـيعته، وهذا علي صحته، وهذا على مركزه، ونظرت إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] فتركت التوكل على الخلق، واجتهدت في التوكل على الله.

فقال العالم: بارك الله فيك.

الحكمة

«العالم والمتعلم في الأجر سواء»[١].

(١) أخرجـه الدارمي (رقـم ٣٢٧) وابن أبي شـيبة (٥/٢٨٤ رقم ٢٦١٢١) وذكره العجلوني في كشـف الخفاء (ج٢) ص٦١ رقم (١٧٥٤) وعزاه إلى عبدالله بن أحمد في الزهد لأبيه، موقوفًا على أبي الدرداء.



قبلات البخيل

كتب رجل بخيل رسالة إلى زوجته الحبيبة الغالية، فقال: زوجتي الحبيبة، لا أستطيع إرسال راتبي هذا الشهر؛ لذا سأرسل مئة قبلة.

زوجك المخلص.

بعد أسبوع أرسلت الزوجة خطابًا؛ لترد على رسالة زوجها، فقالت: زوجي الغالي، شكرًا على قبلاتك المئة، وإليك تفاصيل النفقات: أنفقت على بائع الحليب قبلتين، وأنفقت على البقال سبع قُبلات، وعلى صاحب المنزل الذي يأتي كل يوم قبلة أو قبلتين، أما الجزار وبائع الكرفس فما كانا راضيين بالقبلات فقط؛ لذا أعطيتهم مواد أخرى، وآخرون كالبواب والسباك أخذوا ما يقارب أربعين قبلة؛ رجاء لا تقلق علي، فعندي الآن خمس وثلاثون قبلة، أتمنى أن تكفيني هذا الشهر، وسوف أتبع هذه الطريقة في الأشهر المقبلة؛ لأنها حلّت لي الكثير من المشكلات.

زوجتك الوفية.

الحكمة

يُقَتِّرُ عِيسَى عَلَى نَفسه
وليسَ بِبَاقٍ ولا خَالِدِ
وَلَو يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِه
تنفَّسَ مِنْ مِنخَرٍ وَاحِدِ

(١) هذان البيتان من بحر المتقارب، وينسبان إلى ابن الرومي: علي بن العباس من طبقة بشار والمتنبي، مات مسمومًا سنة ٢٨٣هـ.

حفظ الجميل

ذهب أبو العاص بن الربيع -وهو من أشراف قريش، وكان يحبه النبي ﷺ- إلى النبي ﷺ قبل البعثة، وقال له: أريد أن أتزوج زينب ابنتك الكبرى، وهي بنت خالته، فيقول له النبي ﷺ: لا أفعل حتى أستأذنها. ويدخل النبي ﷺ على زينب ويقول لها: ابن خالتك جاءني، وقد ذكر اسمك، فهل ترضينه زوجًا لك؟ فاحمرّ وجهها وابتسمت، وكان ذلك دليلاً على قبولها الزواج.

وتزوجت زينب أبا العاص بن الربيع، فتبدأ قصة حب قوية، إذ أنجبت منه «عليًا» و«أمامة»، ثم بدأت مشكلة كبيرة، حيث بعث النبي ﷺ، وأصبح نبيًا، في الوقت الذي كان فيه أبو العاص مسافرًا، وحين عاد وجد زوجته أسلمت، فدخل عليها من سفره، فقالت له: عندي لك خبر عظيم، فقام وتركها، فدهشت زينب وتبعته، وهي تقول: لقد بعث أبي نبيًا، وأنا أسلمت، فقال: هلا أخبرتني أولاً؟

وتطل في الأفق مشكلة خطيرة بينهما. مشكلة عقيدة. قالت له: ما كنت لأُكذِّب أبي، وما كان أبي كذابًا. إنّه الصادق الأمين. ولست وحدي من أسلمت، فقد أسلمت أمي وأسلم إخوتي، وأسلم ابن عمي علي بن أبي طالب، وأسلم ابن عمتك عثمان بن عفان، وأسلم صديقك أبو بكر الصديق.

فقــال: أما أنــا، فلا أحــب أن يقول النـاســ: خذل قومه، وكفــر بآبائه إرضــاءً لزوجته، ومــا أبوك بمتهم، ثــم قال لها: فهــلا عذرت وقدّرت؟ فقالت: ومن يعذر إنْ لم أعذر أنا؟ ولكن أنا زوجتك أعينــك على الحق، حتى تقدر عليه. ووفت بكلمتها له عشرين سنة.

وظــل أبو العاص على كفره، ثم جــاءت الهجرة، فذهبت زينب إلى النبي ﷺ وقالت: يا رســول الله، أتأذن لي أنْ أبقى مع زوجي. فقال النبي ﷺ: ابقي مع زوجك وأولادك.

وظلــت في مكة إلى أنْ حدثت غزوة بدر، وقرّر أبو العاص أن يخرج للحرب في صفوف جيش قريش. زوجها يحارب أباها! وكانت زينب تخاف هذه اللحظــة. فتبكي، وتقول: «اللهم، إنّي أخشى من يوم تشرق شمسه، فييتم ولدي أو أفقد أبي». ويخرج أبــو العاص بن الربيع، ويشــارك في غزوة بــدر، وتنتهي المعركة فيُؤْسَــر أبو العاص بن الربيع، وتذهب أخباره إلى مكة، فتســأل زينــب: وماذا فعل أبي؟ فقيل لها: انتصــر المســلمون. فتســجد شــكرًا لله. ثم ســألت: وماذا فعل زوجي؟ فقالوا: أســره حموه. فقالت: أرسل في فداء زوجي. ولم يكن لديها شيء ثمين تفتدي به زوجها، فخلعت عقد أمها الذي كانت تُزيِّن به صدرها، وأرسلت العقد مع شقيق أبي العاص بن الربيع إلى رسول الله ﷺ. وكان النبي ﷺ جالسًا يتلقى الفدية، ويطلق الأسرى، وحين رأى عقد السيدة خديجة سأل: هذا فداء من؟

قالوا: هذا فداء أبي العاص بن الربيع. فبكى النبي ﷺ وقال: هـذا عقد خديجة. ثم نهض، وقـال: أيها الناس، إنّ هذا الرجل ما ذممنـاه صـهرًا، فهلا فككتم أسـره؟ وهـلا قبلتم أنْ تـردوا إليها عقدها؟ فقالوا: نعم، يا رسول الله، فأعطاه النبي ﷺ العقد، وقال له: قل لزينب: لا تفرطي في عقد خديجة. ثم قال له: يا أبا العاص، هل لك أن أسـاررك؟ ثم تنحى به جانبًا، وقال له: يا أبا العاص، إنّ الله أمرني أنْ أُفرِّقَ بين مسلمة وكافر، فهلا رددت إلي ابنتي؟

فقال: نعم. وخرجت زينب تستقبل أبا العاص على أبواب مكـة، فقال لها حـين رآها: إنّي راحل. فقالـت: إلى أين؟ قال: لست أنا الذي سيرتحل، ولكن أنت سترحلين إلى أبيك. فقالت: لم؟ قال: للتفريق بيني وبينك. فارجعي إلى أبيك. فقالت: فهل لك أن ترافقني وتُسْلِم؟ فقال: لا.

فأخذت ولدها وابنتها، وذهبت إلى المدينة. وبدأ الخُطَّاب يتقدمون لخطبتها على مدى سـت سنوات، وكانت ترفض على أمل أنْ يعود إليها زوجها. وبعد ست سنوات كان أبو العاص قد خرج بقافلة من مكة إلى الشام، وفي أثناء سيره يلتقي مجموعة من الصـحابة. فسـأل عن بيت زينب، وطرق بابها قبيل أذان الفجر، فسألته حين رأته: أجئت مسلمًا؟ قال: بل، جئت هاربًا. فقالـت: فهل لـك إلى أنْ تُسـلم؟ فقال: لا. قالـت: فلا تخف. مرحبًا بابن الخالة. مرحبًا بأبي علي وأمامة.

وبعد أن أمّ النبي ﷺ المسلمين في صلاة الفجر، إذا بصوت يأتي من آخر المسجد: قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فقال النبي ﷺ: هل سمعتم ما سمعت؟

قالوا: نعم، يا رسول اللّه، قالت زينب: يا رسول اللّه، إنّ أبا العاص إن بعُد، فابن الخالة وإنْ قرب فأبو الولد، وقد أجرته يا رسول اللّه، فوقف النبي ﷺ، وقال: يا أيها الناس، إنّ هذا الرجل ما ذممته صهرًا. وإنّ هذا الرجل حدثني فصدقني ووعدني فوفّى لي. فإن قبلتم أن تردوا إليه ماله، وأن تتركوه يعود إلى بلده، فهذا أحب إلي، وإن أبيتم فالأمر إليكم والحق لكم ولا ألومكم عليه.

فقال الناس: بل نعطيه ماله يا رسول اللّه. فقال النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا زينب، ثم ذهب إليها عند بيتها، وقال لها: يا زينب، أكرمي مثواه، فإنّه ابن خالتك، وإنّه أبو العيال، ولكن لا يقربنَّك، فإنّه لا يحل لك.

فقالت: نعم، يا رسول اللّه، فدخلت وقالت لأبي العاص ابن الربيع: يا أبا العاص، أهان عليك فراقنا. هل لك إلى أنْ تُسْلم وتبقى معنا؟! قال: لا، وأخذ ماله وعاد إلى مكة، وعند وصوله إلى مكة وقف وقال: أيها الناس، هذه أموالكم هل بقي لكم شيء؟ فقالوا: جزاك اللّه خيرًا وفيت أحسن الوفاء. قال:

فإنّي أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه. ثم دخل المدينة فجرًا، وتوجه إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول اللّه، أجرتني بالأمس، واليوم جئت أقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنك رسول اللّه.

وقال أبو العاص بن الربيع: يا رسول اللّه، هل تأذن لي أنْ أراجع زينب؟ فأخذه النبي ﷺ وقال: تعالَ معي. ووقف على بيت زينب وطرق الباب، وقال: يا زينب، إنّ ابن خالتك جاء لي اليوم يستأذنني أنْ يراجعك، فهل تقبلين؟ فاحمرّ وجهها وابتسمت، وكان ذلك إيذانًا بقبولها المراجعة.

الغريب أنّه بعد سنة من هذه الواقعة ماتت زينب، فبكاها أبو العاص بكاء شديدًا، حتى رأى الناس رسول اللّه ﷺ يمسح عليه ويهون عليه، فيقول له: واللّه يا رسول اللّه، ما عدت أطيق الدنيا بغير زينب. ومات بعد سنة من موت زينب.

الحكمة

«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» [1].

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٧).



معلم المعلمة

حين وقفت المعلمة أمام الصف الخامس الابتدائي في أول يوم تستأنف فيه الدراسة، وألقت على مسامع التلاميذ جملة لطيفة تجاملهم بها، نظرت إلى تلاميذها، وقالت لهم: إنني أحبكم جميعًا، هكذا كما يفعل جميع المعلمين والمعلمات، ولكنها كانت تستثني في نفسها تلميذًا يجلس في الصف الأمامي، يدعى تيدي ستودارد.

لقد راقبت السيدة تومسون الطفل تيدي خلال العام السابق، ولاحظت أنه لا يلعب مع بقية الأطفال، وأن ملابسه دائمًا متسخة، وأنه دائمًا يحتاج إلى حمام، بالإضافة إلى أنه يبدو شخصًا غير مبهج، وقد بلغ الأمر أن السيدة تومسون كانت تجد متعة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر عريض الخط، وتضع عليها علامات (X) بخط عريض، وبعد ذلك تكتب عبارة: «راسب» في أعلى تلك الأوراق.

وفي المدرسة التي كانت تعمل فيها السيدة تومسون، كان يطلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ، فكانت تضع سجل الدرجات الخاص بتيدي في النهاية. وبينما كانت تراجع ملفه فوجئت بشيء ما!

لقد كتب معلم تيدي في الصف الأول الابتدائي ما يأتي: «تيدي طفل ذكي ويتمتع بروح مرحة. إنه يؤدي عمله بعناية واهتمام، وبطريقة منظمة، كما أنه يتمتع بدماثة الأخلاق».

وكتب عنه معلمه في الصف الثاني: «تيدي تلميذ نجيب، ومحبوب من زملائه في الصف، ولكنه منزعج وقلق بسبب إصابة والدته بمرض عضال، ما جعل الحياة في المنزل تسودها المعاناة والمشقة والتعب».

أما معلمه في الصف الثالث، فقد كتب عنه: «لقد كان لوفاة أم تيدي وقع صعب عليه. لقد حاول الاجتهاد، وبذل أقصى ما يملك من جهود، ولكن والده لم يكن مهتمًا، وإن الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر فيه إن لم تتخذ بعض الإجراءات».

بينما كتب عنه معلمه في الصف الرابع: «تيدي تلميذ منطوٍ على نفسه، ولا يبدي الكثير من الرغبة في الدراسة، وليس لديه الكثير من الأصدقاء، وفي بعض الأحيان ينام في أثناء الدرس».

وهنا أدركت السيدة تومسون المشكلة، فشعرت بالخجل والاستحياء من نفسها على ما بدر منها، وقد تأزم موقفها إلى الأسوأ، عندما أحضر لها تلاميذها هدايا عيد الميلاد، ملفوفة في أشرطة جميلة وورق براق، ما عدا تيدي، فقد كانت الهدية



التي تقدم بها لها في ذلك اليوم ملفوفة بسماجة وعدم انتظام، في ورق داكن اللون، مأخوذ من كيس من الأكياس التي توضع فيها الأغراض من البقالة، وقد تألمت السيدة تومسون، وهي تفتح هدية تيدي، وانفجر بعض التلاميذ في الضحك عندما وجدت فيها عقدًا مؤلفًا من ماسات مزيفة ناقصة الأحجار، وقارورة عطر ليس فيها إلا الربع فقط.

ولكن سرعان ما كفّ أولئك التلاميذ عن الضحك عندما عبَّرت السيدة تومسون عن إعجابها الشديد بجمال ذلك العقد، ثم لبسته، ووضعت قطرات من العطر على معصمها. ولم يذهب تيدي بعد الدراسة إلى منزله في ذلك اليوم، بل انتظر قليلاً من الوقت؛ ليقابل السيدة تومسون، ويقول لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي!

وعندما غادر التلاميذ المدرسة، انفجرت السيدة تومسون في البكاء ساعة على الأقل؛ لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها، ووجد في معلمته رائحة أمه الراحلة! ومنذ ذلك اليوم توقفت السيدة تومسون عن تدريس القراءة، والكتابة، والحساب، وبدأت تدرس للأطفال المواد كافة «معلمة فصل»، وقد أولت السيدة تومسون اهتمامًا خاصًا بتيدي، وحينما بدأت التركيز عليه بدأ عقله يستعيد نشاطه، وكلما شجعته كانت استجابته أسرع، وفي نهاية السنة

الدراسـية، أصـبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، وأبرزهم ذكاء، وأصبح أحد التلاميذ المدللين عندها.

وبعد مضـي عـام وجدت السـيدة تومسـون مذكرة عند بابهـا للتلميذ تيدي، يقول لها فيها: «إنها أفضـل معلمة قابلها في حياته».

مضت ست سـنوات دون أن تتلقى أي مذكرة أخرى منه. ثـم بعد ذلك كتب لها أنه أكمل المرحلة الثانوية، وأحرز المرتبة الثالثة في فصـله، وأنها حتى الآن ما زالت تحتل مكانة أفضـل معلمة قابلها طيلة حياته.

وبعد انقضـاء أربع سـنوات على ذلك، تلقت خطابًا آخر منه، يقول لها فيه: «إن الأمور أصـبحت صـعبة، وإنه مقيم في الكلية لا يبرحها، وإنه سـوف يتخرج قريبًا في الجامعة بمرتبة الشـرف الأولى، وأكد لها كذلك في هذه الرسـالة أنها أفضـل وأحب معلمة عنده حتى الآن».

وبعد أربع سنوات أخرى، تلقت خطابًا آخر منه، وفي هذه المرة أوضح لها أنه بعد أن حصل على درجة البكالوريوس، قرر أن يتقدم قليلاً في الدراسـة، وأكد لها مرة أخرى أنها أفضـل وأحـب معلمة قابلهـا طوال حياته، ولكن هذه المرة كان اسـمه طويلاً بعض الشيء: دكتور ثيودور إف. ستودارد!



لم تتوقف القصة عند هذا الحد، لقد جاءها خطاب آخر منه في ذلك الربيع، يقول فيه: «إنه قابل فتاة، وإنه سوف يتزوجها، وقد سبق أن أخبرها أن والده توفي قبل عامين، وطلب منها أن تأتي لتجلس مكان والدته في حفل زواجه، فوافقت السيدة تومسون على ذلك»، والعجيب في الأمر أنها كانت ترتدي العقد نفسه الذي أهداه لها في عيد الميلاد منذ سنوات طويلة مضت، الذي كان أحد أحجاره ناقصًا، والأكثر من ذلك أنه تأكد من تعطّرها بالعطر نفسه الذي ذَكّرهُ بأمه في آخر عيد ميلاد!

واحتضن كل منهما الآخر، وهمس دكتور ستودارد في أذن السيدة تومسون، قائلاً لها: أشكرك على ثقتك بي، وأشكرك أجزل الشكر على أن جعلتني أشعر بأنني مهم، وأنني يمكن أن أكون متميزًا.

فردت عليه السيدة تومسون، والدموع تملأ عينيها: أنت مخطئ، لقد كنت أنت من علمني كيف أكون معلمة متميزة، لم أكن أعرف كيف أعلِّم، حتى قابلتك.

(للعلم تيدي ستودارد هو الطبيب الشهير الذي لديه جناح باسم مركز «ستودارد» لعلاج السرطان في مستشفى ميثوددست في ديس مونتيس ولاية أيوا في الولايات المتحدة

الأمريكيــة، ويعــد من أفضــل مراكــز العلاج ليســ في الولاية نفسها، وإنما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية).

الحكمة

إن هنـاك حاجـة ملحـة تدعونـا إلى الـتروي في الحكـم على ما يقابلنا أحيانًـا من تصرفات بعض النـاس غـير المألوفـة أو المتوقعة منهم، سـواء كانت من كبار أو صغار، فمن المعلوم أن ظروف حياة الناس ليسـت واحدة، وقد تمرّ بنا - نحـن البشر - مواقف نبـدو فيها على غير ما نحن عليـه في الحقيقة، أو ما عهدنا عليه الآخرون، فنوصف بالغباء حينًا، ومرات بالكسل وعدم المبالاة، وبالحماقة أحيانًا، وبالبخل أحيانًا أخرى؛ نتيجة فعلنا أو ردة فعلنا.

الهَـمُّ

غـاب أحـد طلابي في الجامعة أسـبوعًا كامـلًا، ثم لقيته فسألته: سلامات يا سعد؟ قال: لا شيء، كنت مشغولًا قليلًا، كان الحزن واضـحًا عليه، قلت: ما الخبر؟ قال: كان ولدي مريضًا، عنده تليف في الكبد، وأصـابه قبل أيام تسمم في الدم، وفوجئت أمس أن التسمم تسلل إلى الدماغ. قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، اصبر، واسأل الله أن يشفيه، وإن قضى الله عليه بشيء، فاسأله أن يجعلـه شـافعًا لك يوم القيامة. قال: شـافع! يا شـيخ، الولد ليس صـغيرًا. قلت: كم عمره؟ قال: سبع عشرة سنة. قلت: الله يشفيه، ويبارك لك في إخوانه، فخفض رأسه وقال: يا شيخ، ليس له إخوان، فلم أُرْزق بغير هذا الولد، وقد أصابه ما ترى.

قلت له: سـعد، بكل اختصـار، لا تقتل نفسك بالهم، فلن يصـيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم خففت عنه مصـابه وذهبت، نعم، لا تقتل نفسك بالهم، فالهم لا يخفف المصيبة، أذكر أني قبـل مدة ذهبت إلى المدينة النبوية، والتقيت خالدًا، فقال لي: مـا رأيك في أن نزور الدكتور عبد الله؟ قلت: لماذا؟ ما الخبر؟ قال: نعزيه. قلت: نعزيه؟! قال: نعم، ذهب ولده الكبير بالعائلة كلها لحضور حفل عرس في مدينة مجاورة، وبقي هو في المدينة لارتباطـه بالجامعة، وفي أثنـاء عودتهم وقع لهم حادث مروع، فماتوا جميعًا، إحدى عشرة نفسًا! كان الدكتور رجلًا صالحًا قد

تجاوز الخمسين، لكنه على كل حال بشر له مشاعر وأحاسيس، وفي صدره قلب، وله عينان تبكيان، ونفس تفرح وتحزن.

تلقى الخبر المفزع، وصلى عليهم، ثم وسّدهم في التراب بيديه، إحدى عشرة نفسًا وصار يطوف في بيته حيران، يمر بألعاب متناثرة قد مضت عليها أيام لم تحرك؛ لأن خلود وسارة اللتين كانتا تلعبان بها ماتتا. يأوي إلى فراشه الذي لم يرتب؛ لأن أم صالح ماتت، يمر بدراجة ياسر لم تتحرك؛ لأن الذي كان يقودها مات، يدخل غرفة ابنته الكبرى فيرى حقائب عرسها مصفوفة وملابسها مفروشة على سريرها؛ لأنها ماتت، وهي ترتب ألوانها وتنسقها، سبحان من صبّره وثبت قلبه! كان الضيوف يأتون، ومعهم قهوتهم؛ لأنه لا أحد عنده يخدم أو يُعين. العجيب أنك إذا رأيت الرجل في العزاء حسبت أنه أحد المعزين، وأن المصاب غيره، فقد كان يردد: إنا لله وإنا إليه راجعون.. لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وهذا هو قمة العقل، فلو لم يفعل ذلك لمات همًا.

الحكمة

أفنيت يا مسكين، عمرك بالتأوه والحزن وظللت مكتوف اليدين تقول: حاربني الزمن، إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذًا عش حياتك بما بين يديك من معطيات؛ لتسعد.



علاج المشكلة

دخل رجل على زوجته، وهي مشغولة بالبيت، وناداها، قال: يا فلانة، قالت: نعم، قال: تعالي أريدك، لو سمحت، قالت: ماذا عندك؟ قال: تعالي وسوف أعلمك، قالت: يا حبيبي، إني مشغولة بكي ملابسك! قال: اتركي الكي، وتعالي، قالت: سوف آتي، وبعد ثوانٍ أتت، وهي ترتدي ملابس رائعة، ورائحتها أروع، وابتسامتها تفيض بشرًا.

قالت: نعم، تحت أمرك يا حبيبي، فنظر إليها بابتسامة صفراء، وقال: إنني تزوجت عليك.

جلست على الكرسي، وهي تنظر إليه، وبصوت يرتجف قالت: ماذا قلت؟

قال: أقول: إني تزوجت عليك، فهيا خذي لك ملابس، واذهبي إلى أهلك، فإنني سوف أسافر أنا وزوجتي الثانية بضعة أيام، فنظرت إليه، وهي في حالة بين التصديق والتكذيب لما تسمع.

ومن دون سابق إنذار هبّ في وجهها، وقال: قومي الآن، وضعي لك بعض الملابس، فسوف أنتظرك في السيارة، لا تتأخري علي، فخرج، وهي تنظر إليه شاخصة العينين؛ دهشة



من وقع الخبر عليها، وحيرة من أسبابه، وبعد دقائق معدودة، وهـي تفتح الباب، وتركب معه، وبصـوت يكاد يختنق قالت: لو سمحت هل يمكن أن تحضر لي الشنطة؟

نـزل مـن سـيارته، وأخـذ شـنطتها ووضـعها في المقعد الخلفي، وأدار محرك السـيارة وتوجه إلى بيت أهلها، وعندما وصـلا إلى البيت قال لها: تفضلي انزلي، ففتحت الباب، ونزل قبلها وأخذ الشـنطة، وجاء من عند الباب الذي تجلس عنده، فأمسـك يدها، وقال لها: حبيبتـي، إنني لم أتزوج، ولكنَّ أبوك توفي! فما كان منها إلا أن قالت، دون شعور منها: أشوووو....

الحكمة

بعض المصائب أهون من بعض[1].

---

(١) قال طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

هـذا البيـت من بحر الطويل، ذكـره ابن منظور في لسـان العرب (١٣/١٣٠) والطبري في تفسيره (١٦/٥٦) والقرطبي في تفسيره (١١/٨٧) وابن كثير في تفسيره (٣/١١٤).



إسلام الداعية

أكبر داعية للنصرانية في كندا يعلن إسلامه، ويتحول إلى أكبر داعية للإسلام هناك، بعد أن كان من المبشرين النشطين جدًّا في الدعوة إلى النصرانية، وأيضًا هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس (Bible). هذا الرجل يحب الرياضيات بشكل كبير؛ لذلك يحب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور، وفي أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته المسلمين للنصرانية.

كان يتوقع أن يجد القرآن كتابًا قديمًا مكتوبًا منذ أربعة عشر قرنًا يتكلم عن الصحراء، وما إلى ذلك، ولكنه ذهل مما وجده فيه، بل اكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم، وكان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي ﷺ مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده رضي الله عنهم، لكنه لم يجد شيئًا من ذلك، بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشريف لمريم عليها السلام، لا يوجد مثيل له في كتب النصارى ولا في أناجيلهم! ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما.

وكذلك وجد أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر بالاسم خمسًا وعشرين مرة في القرآن، في حين أن النبي محمدًا ﷺ لم يذكر إلا خمس مرات فقط، فزادت حيرة الرجل، فأخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر؛ لعله يجد مأخذًا عليه، ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

يقول الدكتور ملير عن هذه الآية: «من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها، وهو ما يسمى Falsification test، والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، ولن يجدوا...». يقول أيضًا عن هذه الآية: «لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة، ويؤلف كتابًا، ثم يقول: هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء، ولكن القرآن على العكس تمامًا يقول لك: لا يوجد أخطاء، بل يعرض عليك أن تجد فيه أخطاء، ولن تجد».

أيضًا من الآيات التي وقف الدكتور ملير عندها طويلاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. يقول: «إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٣ وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي

تنص على أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب»، فالرتق هو الشيء المتماسك، في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك، فسبحان الله!

يقول الدكتور ملير: «الآن نأتي إلى الشيء المذهل في أمر النبي ﷺ والادعاء بأن الشياطين هي التي تعينه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]. هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟ يؤلف كتابًا، ثم يقول: قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ مني؟ إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز! وفيها رد منطقي لكل من قال بهذه الشبهة».

ومن القصص التي أبهرت الدكتور ملير، ويعدّها من المعجزات قصة النبي ﷺ مع أبي لهب، يقول الدكتور ملير: «هذا الرجل أبو لهب كان يكره الإسلام كرهًا شديدًا، لدرجة أنه كان يتبع محمدًا ﷺ أينما ذهب؛ ليقلل من قيمة ما يقوله ﷺ، فإذا



رآه يتكلـم إلى أناس غرباء، فإنه ينتظر حتى ينتهي الرسـول ﷺ من كلامه؛ ليذهب إليهم، ثم يسـألهم: مـاذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم: أبيض فهو أسود، ولو قال لكم: ليل فهو نهار، المقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول ﷺ ويشكك الناس فيه.

وقبل عشـر سـنوات مـن وفاة أبـي لهب نزلت سـورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر أن أبا لهب لن يدخل الإسلام. خلال عشـر سـنوات كل ما كان على أبي لهـب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس، ويقول: «محمد يقول: إني لن أسـلم، وسوف أدخـل النار، ولكنـي أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الإسـلام وأصـبح مسلمًا! الآن ما رأيكم، هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟

لكـن أبا لهـب لم يفعل ذلك تمامًـا برغـم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسـول ﷺ لكنه لم يخالفه في هذا الأمر، يعنـي أن القصـة كأنها تقـول: إن النبي ﷺ يقـول لأبي لهب: أنـت تكرهنـي، وتريـد أن تنهيني، حسـنًا لديك الفرصـة أن تنقض كلامي! لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات! لم يسلم، ولم يتظاهر حتى بالإسـلام! عشر سـنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام في دقيقة واحدة!



ولكـن لأن هـذا الـكلام ليـس كلام محمـد ﷺ فهـو وحـي ممـن يعلم الغيـب، ويعلـم أن أبا لهـب لن يسـلم. كيف لمحمد ﷺ أن يعلم أن أبا لهب سـوف يثبت ما في السورة إن لم يكن هذا وحيًا من الله؟ كيف يكون واثقًا خلال عشر سنوات أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟ لكي يضع شخص هـذا التحدي الخطير ليس له إلا أمر واحـد، وهو أنه وحي من الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾» [المسد: ١-٥].

يقول الدكتور ملير عن آية أبهرته؛ لإعجازها الغيبي: «من المعجزات الغيبية القرآنية التحدي للمسـتقبل بأشياء، لايمكن أن يتنبأ بها الإنسـان، وهي خاضعة للاختبار السابق نفسه ألا وهـو: falsification tests أو مبـدأ إيجـاد الأخطاء حتى تتبين صحة الشيء المراد اختباره، وهنا سوف نرى ماذا قال القرآن عن علاقة المسـلمين مع اليهود والنصـارى، فالقرآن يقول: إن اليهود هم أشـد الناس عداوة للمسـلمين في هذا الكون، وهذا مسـتمر إلى وقتنا الحاضر، فأشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود، ويكمل الدكتـور ملير: إن هذا يُعد تحديًا عظيمًا، ذلك أن اليهود لديهم الفرصـة لهدم الإسـلام بأمر بسيط، ألا وهو أن يعاملوا المسـلمين معاملة طيبة بضع سنين، ويقولوا عندها:

ها نحن نعاملكم معاملة طيبة، والقرآن يقول: إننا أشد الناس عداوة لكم، إذًا القرآن خطأ! ولكن هذا لم يحدث خلال ألف وأربع مئة سنة! ولن يحدث؛ لأن هذا الكلام نزل من الذي يعلم الغيب، وليس من إنسان!!».

يكمل الدكتور ملير: «هل رأيتم أن الآية التي تتكلم عن عداوة اليهود للمسلمين تعدّ تحديًا للعقول؟» ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وعمومًا هذه الآية تنطبق على الدكتور ملير، حيث إنه نصراني عندما علم الحق آمن ودخل الإسلام وأصبح داعية له وفّقه الله. ويتحدث الدكتور ملير عن أسلوب فريد في القرآن أذهله لإعجازه: «من دون أدنى شك، إذ يوجد في القرآن توجه فريد ومذهل لا يوجد في أي مكان آخر، وذلك أن القرآن يعطيك معلومات معينة، ويقول لك: لم تكن تعلمها من قبل» مثل: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ

إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

يكمل الدكتور ملير، فيقول: «لا يوجد كتاب مما يسمى الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب، كل الكتب الأخرى عبارة عن مجموعة من المعلومات التي تخبرك من أين أتت هذه المعلومات، على سبيل المثال الكتاب المقدس عندما يناقش قصص القدماء، فهو يقول لك: الملك فلان عاش هنا، وهذا القائد قاتل هنا في معركة معينة، وشخص آخر كان له عدد كذا من الأبناء، وأسماؤهم فلان وفلان...إلخ. ولكن هذا الكتاب دائمًا يخبرك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات، يمكنك أن تقرأ الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني؛ لأن هذه المعلومات أتت منه»!

ويكمل الدكتور ملير: «بعكس القرآن الذي يمد القارئ بالمعلومة، ثم يقول لك هذه معلومة جديدة! بل يطلب منك أن تتأكد منها إن كنت مترددًا في صحة القرآن بطريقة لا يمكن أن تكون من عقل بشر. والمذهل في الأمر هو أهل مكة في ذلك الوقت -أي وقت نزول هذه الآيات- ومرة بعد مرة كانوا يسمعونها ويسمعون التحدي بأن هذه معلومات جديدة لم يكن يعلمها محمد ﷺ ولا قومه، وعلى الرغم من ذلك لم



يقولـوا: هذا ليس جديـدًا، بل نحن نعرفه، أبـدًا لم يحدث أن قالوا مثل ذلك، ولم يقولوا: نحن نعلم من أين جاء محمد بهذه المعلومـات، لم يحدث مثل هذا، ولكن الـذي حدث أن أحدًا لم يجـرؤ على تكذيبه، أو الـرد عليه؛ لأنها فعلاً معلومات جديدة كليًّا! وليسـت من عقل بشـر، بل من الله الـذي يعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل».

الحكمة

إن لـه لحلاوة، وإن عليـه لطلاوة، وإن أعـلاه لمثمـر، وإن أسفله لمغـدق، وإنه يعلـو، ولا يُعْلَى عليه، وإنه ليس بكلام بشر. إنه القرآن الكريم[1].

(١) هذا قول الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن من رسول الله ﷺ. ذكره الطبري في تفسيره (١٥٧/٢٩) والقرطبي في تفسيره (١٦٥/١٠) وابن كثير في تفسيره (٤٤٤/٤) وفي البداية والنهاية (٦١/٣).



تقارير سيئة

• الزعيم الإنكليزي (السـير ونسـتون تشرشل) ١٨٧٤-١٩٦٥م: كان هـذا الزعيـم اللامع بليدًا، وهـو يافع، بحيث إن والده اعتقد أنه لن يسـتطيع كسب معيشته، ولأن تشرشل كان يحب التاريـخ والأدب، فإنه رفض دراسـة اللاتينية واليونانية والرياضـيات، ودخـل مدرسـة «هـرو» تلميذًا كسـولاً، وفشـل مرتين في امتحان الدخول إلى مدرسـة «سـاند هارست»، وقد اجتـاز الامتحان في المحاولة الثالثة، ولكنـه واجه بعدئذ بعض الصعوبات التي عجز عن التغلب عليها.

• عالم الطبيعات الإنكليزي (تشـارلز داروين) ١٨٠٩-١٨٨٢م: كان داروين الصـغير من أفشل التلاميذ في المدرسة، وأكسـلهم، إلى درجة أن والده كان يعيب عليه ذلك باستمرار، وينهـره، قائـلًا: «إنـك سـوف تجر العـار على نفسـك، وعلى عائلتـك». فشـل داروين في دراسـة الطب في جامعـة إدنبرة، فانتقل إلى جامعة كمبردج، حيث أخفق أيضًا، ولم يظهر نبوغه في التاريخ الطبيعي إلا حين انطلق في رحلة على متن السـفينة «بيغـل» عـام ١٨٣١، فحـوّل الرحلة إلى إحـدى أهم الرحلات العلمية في التاريخ، مستفيدًا من نتائج أبحاثه خلالها لتأسيس نظرية التطور، أو النشوء.



• المخترع الأميركي (توماس إديسون) ١٨٤٧- ١٩٣١م: لم يؤثر فضول «إديسون» الغريب أيام طفولته في أحد سوى أمه المتسامحة، ووصفه أستاذه الأول بأنه «مشوش»، ونعته والده «بالغباء»، وحذر مدير مدرسته من أنه «لن يكون ناجحًا في أي شيء»، غير أن أمه تمكنت من جعله قارئًا نهمًا، وسرعان ما بدأ يقوم باختراعات علمية، وقد بلغ عدد الاختراعات المسجلة باسمه أكثر من ألف اختراع ذات فضل هائل على البشرية.

• الفيزيائي الألماني (ألبرت آينشتاين) ١٨٧٩- ١٩٥٥م: كان والدا «آينشتاين» يخافان على ابنهما؛ لأنه يتلعثم في كلامه حتى التاسعة من عمره، ولأنه كان يطيل التفكير قبل الإجابة عن سؤال من الأسئلة، وكان متأخرًا في كل دروسه الثانوية باستثناء الرياضيات، حتى إن أحد أساتذته نصحه بترك المدرسة؛ لأنه فاشل وتأخر دخوله إلى معهد «بوليتيكنيك زوريخ» مدة عام؛ لأنه فشل في امتحان الدخول، حتى بعد تخرجه في هذا المعهد وجد صعوبة في العثور على وظيفة، ولكنه في تلك الأثناء كان يصوغ أفكاره الأولى حول نظرية النسبية.

• ملك السيارات (هنري فورد) ١٨٦٣- ١٩٤٧م: كان فورد في بداية حياته الدراسية يجد صعوبة كبيرة في القراءة والكتابة، وكان لديه ميل نحو عمل الآلات منذ نعومة أظفاره، وكان يصلح الآلات في مزرعة والده، ويسلي زملاءه بصنع محركات البخار ودواليب الماء.



• العالم الإنكليزي (إسحاق نيوتن) ١٦٤٢- ١٧٢٧م: لم يكن هناك أمل كبير في مستقبله، وهو صغير على الرغم من ذكائه العظيم، ومع أنه كان كسولاً مهملاً، فإنه أولع بالميكانيكا، وسمح لنيوتن بمتابعة تعلمه برغم إخفاقه التام في دراسته؛ لأنه يدير مزرعة أهله، ولم يتحرر من بلادته إلا على أثر شجار عنيف هزَّ كيانه، وحفزه على تحسين وضعه، وسرعان ما باشر دراساته الرياضية والفيزيائية التي أحدثت ثورة في العلم.

• الرسام الإسباني (بابلو بيكاسو) ١٨٨١- ١٩٧٣م: كان قد تقدم في المدرسة بطيئًا؛ لأنه كان يرفض القيام بأي عمل سوى الرسم، وكان بالكاد يقرأ ويكتب، وقد أخرجه والده من المدرسة في العاشرة، وتخلى عنه أستاذه الخاص الذي كان يعده لدخول المرحلة الثانوية، بعد أن فقد الأمل في تلقينه الحساب، وبعد أن نجح بتفوق في امتحان الدخول إلى كلية الرسم والفنون ترك الكلية؛ لشعوره بالملل والضجر؛ ليبدأ دراسة الرسم دراسة خاصة في مدريد وباريس، حيث كافح سنوات عدة، قبل أن يدمغ بصماته الخالدة على الفن العالمي.

• المهندس الأسكتلندي (جيمس واط) ١٧٣٦- ١٨١٩م: كان يعاني في طفولته من شقيقة مزمنة (ألم نصف الرأس) وكان رقيقًا جدًّا، بحيث إن رفقاءه في الصف كانوا يخدعونه ويرعبونه، وكان «خاملاً وكسولاً» في دروسه، غير أنه أبدى



اهتمامًا وتفوقًا في الهندسـة في سـن الثالثة عشـرة، وبدأ منذ ذلـك الوقـت ينمـي قدراتـه العقليـة إلى أن اخـترع المحرك البخاري الذي ساعد على إحداث الثورة الصناعية.

الحكمة

وَكَمْ مُنْجِبٍ فِي تَلَقِّي الدُّرُوسِ

تَلَقَّى الحَيَاةَ فَلَمْ يُنْجِبِ[1]

(١) هذا البيت من بحر المتقارب، وينسب إلى أمير الشعراء أحمد شوقي.



متزوجان

الزوجان قررا أن يصيِّفا على البحر في الفندق نفسه الذي قضيا فيه شهر العسل منذ زمن، لكن الزوجة كانت مشغولة! فاتفقت مع زوجها على أن يسافر وحده، وهي تلحق به بعد يومين.

وصل الزوج إلى الفندق، ودخل الغرفة، فوجد كمبيوتر في الغرفة موصَّلاً بالإنترنت، فقال: أرسل إيميلاً إلى زوجتي أطمئنها على أحوالي.

بعدما كتب الرسالة، وهو يكتب عنوان البريد الإلكتروني لزوجته أخطأ في كتابة حرف في العنوان، وبالطبع ذهب الإيميل إلى شخص آخر تصادف أنه كان لأرملة راجعة حالاً من «مراسم دفن زوجها» الذي توفاه الله في اليوم نفسه.

الأرملة فتحت كمبيوترها؛ لتقرأ إيميلات التعازي، فوقعت على الأرض، مغمى عليها في لحظة دخول ولدها الذي حاول أن يسعفها بكل الطرق، وما استطاع.

نظر الابن إلى كمبيوتر أمه، وقرأ الرسالة الآتية:

زوجتي العزيزة، وصلت بخير، ويمكن تفاجئين؛ لأنك تعرفين أخباري عن طريق الإنترنت؛ وذلك لأنه أصبح عندهم في الفندق كمبيوتر يستطيع الواحد أن يرسل أخباره لأهله



وأحبابه عبره يومًا بيوم، المهم فقد وصلت منذ ساعة، وتأكدت أنهم جهزوا المكان، وأعدوا كل شـيء، وما يتبقى غير وصولك عندي هنا بعد يومين، فقد اشـتقت لك كثـيرًا وأريد أن أراك، وأتمنى أن تكون رحلتك سريعة مثل رحلتي.

ملاحظة: ليس ضروريًّا أن تحضري معك ملابس كثيرة؛ لأن الجو هنا حار جدًّا، يعني جهنم.

الحكمة

رُبَّ خطأ يسير يتسبب في ألم كبير.



النصيحة

نحتاج دومًا إلى النصيحة الصالحة التي تحث على التقوى والاستقامة، وتقوِّم الطريق، وتزيل الغشاوة، وتبصر بالأخطاء، وتدفع إلى الأمام، ويا لها من نصيحة تلك التي تأتينا من قوم صالحين قد عملوا فأجادوا، وأخلصوا فأظهر الله ما قدموا، وبارك في خطاهم وصاروا للأمة قدوة وهداة! قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

فالوصية إذًا من تمام النصيحة لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين، والتواصي بينهم بالحق قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٤]، وكما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]، فمن هنا أخذ السلف -رضوان الله عليهم- العمل بالنصح فيما بينهم، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [التوبة: ٧١].

(١) أخرجه البخاري تعليقًا قبل حديث (رقم ٥٧) ومسلم موصولاً (رقم ٥٥).

وسوف نتجول جولة محب بين بساتين ووصايا ونصائح هؤلاء الصالحين، محاولين أن نقتفي بعض الأثر، ونقطف ما أتيح من الثمر أنفع الوصايا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما الوصية فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ووصى النبي ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن، فقال: «**يا معاذ اتقِ الله حيثما كنت. وأتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن**»[(١)]، وكان معاذ رضي الله عنه من النبي ﷺ بمنزلة عالية، فإنه قال له: **يا معاذ، والله إني لأحبك**[(٢)]، وكان يردفه وراءه، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين؛ تشبيهاً له بإبراهيم عليه السلام.

فالوصية بتقوى الله هي أنفع الوصيات أجمعها، حيث بها قوام الدين، والتقوى أصل من أصول الصلاح، حيث وصف الله بها عباده المؤمنين في كتابه، وأثنى عليهم.

ومن النصائح الغالية نصيحة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، إذ قال حينما خطب الناس: «إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد بها وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ١٩٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان (٥/٣٦٤ رقم ٢٠٢٠) وابن خزيمة (١/٣٦٩ رقم ٧٥١) وصححه النووي في رياض الصالحين (ص ٣٢٠).



لله من أعمالكم، فطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدمتوه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله، بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميمًا قد تركت عليهم القالات الخبيثات، إنما الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات».

وقال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل، وهو في عمل الله فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله تعالى، وإن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]». وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفقه في سبيل الله، ولا خير فيمن جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم»[1]. فالصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينصح ببذر بذور الإخلاص في النفوس، وتعاهد النقاء في الأعمال، وتصحيح الرغبة في الابتغاء، فلا ابتغاء سوى ابتغاء وجهه سبحانه، إذ إن هذه الأيام إلى فناء، ومن تدبر تعقل، فإياك أن تجعل أجلك لغيرك، ولكن اجعله ليوم تلقى فيه ربك».

وهذه نصيحة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال يومًا: «أيها الناس، اتقوا الله في سريرتكم وعلانيتكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٦٠ رقم ٣٩) وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٤٣): هذا إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات.



عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة، فأقبل أحدهم على موضع يخرقه، فمنعوه، فقال: هو موضعي، ولي أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يديه سلم وسلموا، وإن تركوه هلك وهلكوا»، فالفاروق هنا ينصح بالشفافية في الشخصية لكل مسلم، وألا يكون بوجهين كالمنافق، فالمؤمن سريرته وعلانيته سواء، بل إن سريرته أحسن من علانيته، ويبين الفاروق أن تقويم الآخر وتوجيهه ودعوته وبيان المعروف من أول واجبات كل مؤمن، فإياك أن تذر الذين يخرقون السفينة بغير أن تأخذ على أيديهم، فإنهم سوف يغرقونها بالجميع، قال الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وتلك وصية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ضربه ابن ملجم، فدخل منزله، واعترته غشية ثم أفاق، فدعا الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: «أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شيء، فإنكما عنها راحلان، افعلا الخير، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا. ثم دعا محمدًا ولده، وقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى. قال: فإني أوصيك به، ثم قال: يا بنيّ، أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والفتور، والرضا عن الله في الشدة والرخاء.



يا بنيّ، ما شرّ بعده الجنة بشرٍّ، ولا خير بعده النار بخير. كل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار فما فيه، يا بنيّ، من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته، ومن سلَّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئرًا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه هتك عورات بنيه، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبر على الناس ذلّ، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم نفسه، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه. وقلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

يا بنيّ، الأدب ميزان الرجال، وحسن الخلق خير قرين، يا بنيّ، العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله، وواحدة في ترك مجالس السفهاء، يا بنيّ، لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، يا بنيّ، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب».

وللصالحين نصائح ووصايا، فعن ابن جريج أن طاوسًا أخبره أنه سأل ابن عباس عن الركعتين بعد العصر؟ فنهاه عنهما، قال طاوس: فقلت له: ما أدعهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما:



قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأيضًا إن سعيد بن المسيب رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من الركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟! فقال: لا، ولكن على خلاف السنة.

وقال رجل للإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟ فقال مالك: من ذي الحليفة من حيث أمرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد عند القبر. قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما أميال أزيدها؟! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة نهى عنها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وأوصي بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ ولزوم السنة والآثار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وترك البدع والأهواء واجتنابها». وقال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يومًا أوصني يا أبت، قال: «يا بني، انوِ الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»، وقد قال ابن مفلح: «وهذه وصية عظيمة سهلة على المسؤول، سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها، واستمرارها، وهي صادقة على

جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعًا، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها، ولم أجد في الثواب عليها خلافًا».
قال الشيخ تقي الدين في كتاب الإيمان: «ما همَّ به من القول الحسن والعمل الحسن، فإنما يكتب له به حسنة واحدة، وإذا صار قولاً وعملاً كتب له عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، ذلك الحديث المشهور في الهمة. ويلزم من العمل بهذه الوصية ترك أعمال القلوب المذمومة شرعًا، وأن من عملها لم يبقَ في حرز من الله وعصمته، وقد وقع من الخالق عليه من الشر والعذاب».

وكان ابن حزم يداوي النفوس بالنصيحة، فقد قال: «ولا تأسَ إن ذُممت بما ليس فيك، بل افرح به فإنه فضلك ينبه الناس عليه ولكن افرح إذا كان فيك ما تستحق به المدح، وسواء مدحت به أو لم تمدح، واحزن إذا كان فيك ما تستحق به الذم، وسواء ذممت به أو لم تذم». وقال أيضًا: «لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، لكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف».

وقال ابن حزم أيضًا: «النصيحة مرتان (فالأولى: فرض وديانة والثانية تنبيه وتذكير وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع وليس وراء ذلك إلا التركل واللطام اللهم إلا في معاني الديانة، فواجب على المرء زيادة النصح فيها رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ. وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً وبتعريض لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح.



ولا تنصح على شـرط القبول منك فإذا تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة. وليس هـذا حكـم العقل ولا حكم الصـداقة لكن حكم الأمـير مع رعيته والسيد مع عبيده».

ويقـول ابن حزم أيضًـا: «الاتسـاء بالنبـي ﷺ في وعظ أهـل الجهـل والمعاصـي والرذائل واجب. فمـن وعظ بالجفاء والاكفهرار، فقد أخطأ وتعدى طريقته ﷺ وصار في أكثر الأمر مغريًـا للموعوظ بالتمـادي على أمره لجاجاً وحـردًا ومغايظة للواعـظ الجـافي، فيكـون في وعظه مسـيئًا لا محسـنًا». وقال أيضًا: «ومن وعظ ببشر وتبسم ولين وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يسـتقبح من الموعوظ، فذلك أبلغ وأنجح في الموعظة، فإن لم يتقبل: فلينتقل إلى الوعظ بالتحشـيم وفي الخـلاء، فإن لم يقبل ففي حضـرة من يسـتحي منه الموعوظ، فهذا أدب الله تعالى في أمره بالقول اللين، وكان ﷺ لا يواجه الموعظة، لكـن كان يقول: «**ما بـال أقـوام**»[1] يفعلون كذا. وقد أثنى عليه الصـلاة والسلام على الرفق، وأمر بالتيسير، ونهى عن التنفير. وكان يتخول بالموعظة؛ خوف الملل.

الحكمة

«**الدين النصيحة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٧٥٠) و(٧٣٠١) ومسلم (رقم ٢٣٥٦).
(٢) سبق تخريجه في صفحة ٢٣٠ من هذا الكتاب.



الرمانة

في أحد الأيام كان هناك حارس بستان، دخل عليه صاحب البستان، وطلب منه أن يحضر له رمانة حلوة الطعم، فذهب الحارس، وأحضر رمانة، وقدمها إلى صاحب البستان، وحين تذوقها الرجل وجدها حامضة، فقال صاحب البستان: قلت لك: أريد رمانة حلوة الطعم، فأحضر لي رمانة أخرى.

فذهب الحارس مرتين متتاليتين، وفي كل مرة يكون طعم الرمان الذي يحضره حامضًا، فقال صاحب البستان للحارس مستعجبًا: إن لك سنة كاملة تحرس هذا البستان، ولا تعلم مكان الرمان الحلو!

فقال حارس البستان: إنك يا سيدي، طلبت مني أن أحرس البستان، لا أن أتذوق الرمان، فكيف لي أن أعرف مكان الرمان الحلو؟! فتعجب صاحب البستان من أمانة هذا الرجل وأخلاقه، فعرض عليه أن يزوجه ابنته، وتزوج هذا الرجل ابنة صاحب البستان، وكان ثمرة هذا الزواج المبارك: عبدالله بن المبارك.

الحكمة

نِعَمُ الإِلَهِ عَلَى العِبَادِ كَثِيْرَةٌ
وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الأَوْلَادِ[1]

---

(١) جاء البيت هكذا في إعانة الطالبية (١٠٣/٤)

منن الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد



التفاحة

بينما كان رجل يسير بجانب البستان وجد تفاحة ملقاة على الأرض، فتناول التفاحة، وأكلها، ثم حدثته نفسه بأنه أتى على شيء ليس من حقه، فأخذ يلوم نفسه، وقرر أن يرى صاحب هذا البستان، فإما أن يسامحه في هذه التفاحة أو أن يدفع له ثمنها.

وذهب الرجل إلى صاحب البستان، وحدثه في الأمر، فدهش صاحب البستان لأمانة الرجل، وقال له: ما اسمك؟!

قال له: ثابت.

قال له: لن أسامحك على أكلك هذه التفاحة إلا بشرط أن تتزوج ابنتي، واعلم أنها خرساء، عمياء، صماء، مشلولة، فإما أن تتزوجها وإما لن أسامحك على أخذك التفاحة.

فوجد ثابت نفسه مضطرًا، إذ أخذ يوازن بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فوجد نفسه يوافق على هذه الصفقة.

وحين حانت اللحظة التقى ثابت تلك العروس، فإذا بها آية في الجمال والعلم والتقى.

فاستغرب ثابت كثيرًا: لماذا وصفها أبوها بأنها صماء، مشلولة، خرساء، عمياء؟! فلما سألها قالت: أنا عمياء عن



رؤية الحرام، خرســاء، صماء عن قول وسماع ما يغضب الله، ومشلولة عن السير في طريق الحرام، وكان ثمرة هذا الزواج:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

الحكمة

إنك لا تجني من الشوك العنب[1].

---

(١) قال ابن كثير في التفسير (٤/١٥١): قال أبو القاسم ﷺ: «**كما أنه لا يجتني من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار**» هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال المناوي في فيض القدير (٥/٤٧): وهذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الحكم والأمثال.

الحليب

قالت الأم لابنتها: في منتصف الليل اخلطي الحليب بالماء، ثم تخرج القصة المعروفة:

يا أماه، إذا كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يرانا، فإن رب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرانا، فسمع أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلام هذه الابنة التقية، وهو يتجول ليلاً بين بيوت المسلمين، فزوجها ابنه عاصمًا، فأنجبا أم عمر بن عبد العزيز.

الحكمة

عَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيْهَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ[1]

(١) هذا البيت من بحر الكامل، وينسب إلى أبي دهبل الجمحي، المتوفى ٦٣هـ، والبيت ذكره ابن منظور في اللسان (١٢/٤١٣) والقرطبي في تفسيره (١٦/٤٨).



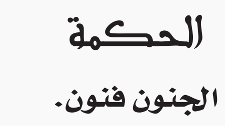
الحمار الميت

فـي يوم من الأيام توجه ابـن المدينة إلى الريف، « واتفق مع فلاح، واشـترى منه حمارًا بمئة دولار، على أن يسـتلم ابن المدينة الحمار من الفلاح في اليوم المقبل.

وفي الموعد المحدد للتسـليم أتاه الفـلاح، وقال: «اعذرني يا ابني، عندي خبر سـيئ، فالحمار مات». أجابه ابن المدينة: «بسيطة، أرجع لي فلوسي». قال الفلاح: «ولكني أنفقت الفلوس» فقال ابن المدينة: «أيضًـا بسيطة، سآخذ منك الحمار الميت». سأله الفلاح: «وماذا تفعل بالحمار الميت؟» ابن المدينة: «سوف أجـري عليه سـحب يانصـيب». الفلاح: «معقول تعمل سـحب يانصـيب على حمار ميت؟!» ابـن المدينة: «ولماذا، لا؟ فإني لن أخبر أحدًا بأنه ميت. انتظر، وسترى».

وبعد مرور شـهر التقى الفلاح ابن المدينة، وسأله: «ماذا حدث للحمار الميت؟» ابن المدينة: «عملت عليه سحب يانصيب، وبعـت خمس مئة بطاقة، كل واحدة ثمنها دولاران، وفي النهاية ربحت ٩٩٨ دولارًا».

الفـلاح: «ولم يعترض أحد؟!» ابن المدينـة: «لم يعترض أحد إلا الشخص الذي ربح السحب، فرجعت له الدولارين».



الحكمة

الجنون فنون.

---

(١) قال ابن نباته المصري من بحر الطويل:

لقد كنت ذا قلب كقلبلك عاقل فجنّ لليلى والجنون فنون

وجاء في شذرات الذهب (٦/٣٢٠):

فلما تحصلت العلوم ونلتها تبين لي أن الفنون جنون



إنجاز العمل

عجوز عربي عاش بالقرب من نيويورك أكثر من أربعين سنة، وفي يوم ما قرر أن يزرع «بطاطس» في حديقة منزله وبعض الأعشاب، لكنه يدرك أنه وحيد ومتقدم في السن، وأصبح ضعيفًا على القيام بذلك، وكان له ولد يدرس في إحدى الكليات في باريس، فأرسل له إيميلاً يشرح فيه المشكلة، قائلاً: ولدي الحبيب، أنا حزين؛ لأنني لا أستطيع أن أزرع «البطاطس» في الحديقة، وإنني متأكد من أنك لو كنت بجواري لساعدتني على زراعة الحديقة، وحفرها، أحبك. **والدك.**

وفي اليوم المقبل استقبل العجوز رسالة الرد من ولده، يقول فيها: والدي الحبيب، أرجوك لا تلمس الحديقة التي خبأت فيها «الأشياء» أحبك. **ولدك أحمد.**

وفي الساعة الرابعة مساء زارت الإف بي آي والحراس منزل الرجل العجوز، وأخذوا يفتشون الحديقة تفتيشًا دقيقًا، لكنهم لم يجدوا أي شيء، فغادروا البيت خائبين، وفي اليوم المقبل استقبل العجوز إيميلاً من ولده، يقول فيه: والدي العزيز، آمل الآن أن تكون الحديقة قد حُفرت، وأنك تستطيع زراعة «البطاطس» فيها، فهذا كل ما يمكنني فعله لك من هنا. **ولدك المحب أحمد.**

الحكمة

يمكنك إنجاز بعض المهام بمجرد تغيير طريقة تفكيرك في إنجازها.



الغواصون الثلاثة

يقول صاحب القصة: لقد تعودت مع صديقين لي أن نذهب للغوص، والصيد مرتين في الشهر، وفى هذا اليوم أنهيت عملي متأخرًا وخشيت أن أؤخر صديقيَّ، ولكنهما انتظراني، فأما الصديق الأول فهو (طلعت مدني) الذي تعودت الذهاب معه منذ عام ١٩٩٤م، أما صديقي الآخر فاسمه Manning وهو فلبيني الجنسية قد أسلم قبل عام، وسمى نفسه (يوسف).

خرجنا إلى البحر، كعادتنا وسجلنا في مكتب حرس الحدود وقت عودتنا، كما توقعناها آنذاك الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه، واتجهنا بالقارب إلى منطقة تسمى «الوسطاني»، وهي نحو عشرين كيلومترًا غرب جدة، ووصلنا الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف النهار، وأنزلنا المرساة الأولى، ولكنها لم تثبت؛ بسبب الأمواج إلا بعد محاولات عدة، ووضعنا مرساة أخرى إضافية زيادة في الحرص، حيث كان لي قبل سنوات عدة تجربة قاسية انفصل فيها القارب عن المرساة، ولكنني استطعت بفضل الله أن أصل إليه بعد خمس ساعات من السباحة المتواصلة.

تأكدنا من تثبيت المرساتين، ونزلنا ثلاثتنا للغوص، وكان هذا خطأ؛ إذ إننا لم نترك واحدًا منا على ظهر القارب، فقد

غلبتنا رغبتنا في أن نكون سويًّا تحت البحر، وألهتنا الثقة الزائدة بالنفس عن أخذ الحيطة؛ نظرًا لخبرتنا الطويلة في الغوص، كان الموج قويًّا ذلك اليوم، وكان الصيد وفيرًا، وبعد أربعين دقيقة صعدنا إلى ظهر القارب للراحة.

تأكدنا مرة أخرى من ثبات المرساتين، ثم نزلنا للغطسة الثانية الساعة الثالثة والنصف ظهرًا، وكعادتنا طلبنا من أحدنا أن يغوص قريبًا من المرساة. وبعد ثلاثين دقيقة وجدت المرساة مقطوعة، فذهب (طلعت) للتأكد من المرساة، فلم يجدها، ولم أستطع الصعود؛ لأنني أحتاج إلى دقيقتين لتحقيق تعادل الضغط، وعند صعودي رأيت في وجه (طلعت) الذعر، وهو يصرخ: القارب! الذي صار على بعد ثلاث مئة متر تقريبًا، وقاربنا طوله نحو اثنين وعشرين مترًا، فتبادر إلى ذهني تجربتي التي حدثت قبل خمس سنوات، وكيف أنني استطعت بعد خمس ساعات من السباحة المتواصلة الوصول إلى القارب.

وهنا كان خطئي الثاني، وخدعتني مرة أخرى ثقتي الزائدة بالنفس، ولو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت لأدركت في تلك اللحظة أن الأمر اليوم مختلف تمامًا، فقد كان الجو آنذاك أفضل والأمواج أهدأ، بل الذي أسهم في لحاقي بالقارب آنذاك أن المرساة المتدلية من القارب اصطدمت

بالصـخور، فأبطأت حركته، أما هذه المرة فليس ثمة صـخور، ولا شعب مرجانية، بل بحر مفتوح وأمواج قوية.

ومن دون تفكير، وحرصًـا مني على أن أكسـب كل دقيقة ألقيت بسـترة الغوص الطفوية، وأسـطوانة الهواء والبندقية، وانطلقـت في اتجاه القارب بأسـرع قوة، وفي هـذه الأثناء مرَّ قارب صيد بيني وبين القارب، فصرخت بأعلى صوتي، ولكنهم لم يروني أو يسـمعوني، فأكملت السـباحة وكان الوقت الرابعة عصـرًا، ولكن سـرعان ما أدركت أن الموج مختلف هذه المرة، وبعد سـباحة سـاعة من الزمن وجدت أن المسـافة بيني وبين القارب ثابتة لا تتغير، وبعد سـاعتين في تمام الساعة السادسة أدركت أن المهمة لن تكون سهلة، فقد تغير مسار القارب مرات عدة، وبدأت المسـافة بيني وبين القارب تـزداد. لم أفقد الثقة علـى الرغم من أنه لم يكن هناك أي شـعب مرجانية، أو قطع صـخرية، فهذه منطقة تخلو من كل ذلـك، وأقرب منطقة بها شعب مرجانية تسمى «أبو طير»، ولكن الموج لن يساعدني على الذهـاب إليها، كما أن هدفي الأول هـو اللحاق بالقارب، وعلى الرغم من أن الشـمس بدأت بالغـروب والقارب ما زال يبتعد، إلا أن تجربتي الناجحة السـابقة أمـدَّت في حبل ثقتي الزائفة بنفسي، فضاعفت قواي؛ لألحق بالقارب.

وجـنَّ الليل وابتلـع الظلام كل أثر للقــارب، وهنا توقفت أنظر، أسترجع وألوم نفسي، إذ كيف تذهب ثلاث أرواح بسبب خطأ فادح كهذا، كيف يكون ذلك؟! ما أسخف أن يفقد الإنسان حياتـه بهذه الطريقة، وأخذت أنظـر إلى «جدة» من على بعد، وأنا في قلب البحر الأحمر، أراها متلألئة مضيئة، وكانت معالمها الواضحة ونافورتها أمامي تبعث في نفسي شيئًا من الطمأنينة، وهناك في قلب البحر، حيث لا يسـمـعني إلا الله، ولا يراني إلا الله، بـدأت أناجي خالقي، وأدعـو أن يُخرجني من كربي هذا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أدعـوه دعـاء يونـس؛ عسـى الله أن يُخرجني كما أخرج نبيه مما هو أعظم - لا من قلب البحر فحسـب، بل من قلـب الحوت -، تذكرت آنذاك أنه قد فاتتني صـلاة العصـر، فتوضــأت من ماء البحر، وصليت وقرأت المعوذات، ولأول مرة في حياتي أجد للوضـوء معنى غير المعنى الذي كنت أجده، وأنا على اليابسـة، آمنًا مطمئنًا، فتوضأت من ماء البحر، ولم يكن وضوءًا مثل الذي عهدت، بل كان بمنزلة وقاء ودرع يحوط بي، ويحميني من كل ما أخشى، وأحاذر.

أما الأجزاء التي لم يغطِّها الوضوء، فأخذت أقرأ المعوذات، وأنفخ في يديَّ وأمسـح بهما جسـدي، وأحرص ألا أترك جزءًا منه بغير درع ووقاية، وأكثرت من دعائي: (**باسم الله الذي لا**



يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم)[1] ، **(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما أجد وأحاذر)**[2]، ولا تسألوني كيف لم يباغتني الذعر والخوف آنذاك، فأنا نفسي في عجب من ذلك، إلا أنها رحمة من الله ولطفه وسكينته التي تنزل على عباده، فلم يكن هناك خوف، بل اعتقاد كامل لا شك فيه أن الله الكريم القوي العزيز سيخرجني من هذه المحنة، وأن هذا المنظر المؤنس الذي أراه لمدينة جدة من على بعد سيقربه الله لي، ويأخذ بيديَّ لأصل إليه.

كان لا بد لي من أن أستمر في السباحة، فالموج عالٍ، والوقوف يعني الغرق، وليست لدي سترة سباحة تساعدني على الطفو فوق الماء، ولأول مرة في حياتي أرى النجوم بهذا الوضوح، وأرى القمر بازغًا مؤنسًا في تلك الليلة، ولأول مرة في حياتي أشعر بأنني لا أعدو أن أكون نقطة في بحر، لا أختلف كثيرًا عن أي نقطة أخرى ليس لها وزن، وبدأت أستعيد يومي، وأتساءل عن صديقيَّ الاثنين: هل تحرّكا في اتجاهي؟ بدأت أصرخ لعلهما قريبان مني، ولكن لا أحد يجيبني، أرى أنوار بعض الصيادين من على بعد، ثم تختفي، رأيت من على بعد نافورة جدة وبرجًا ومبنى كبيرًا، فقررت السباحة في اتجاه

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣/١٣٢ رقم ٨٥٢) وأبو داود (رقم ٥٠٨٨) والترمذي (رقم ٣٣٨٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٧٠٨).



المبنــى، ولكن بعد ســاعات مـن الجهد وجدت أننــي لم أحقق أي تقـدم، فالمسـافة بينـي وبين المبنـى أراها ثابتـة لا تتغير، فالمـد القـوي يعيدني إلى حيث بـدأت، واتجـاه الريح يأخذني نحـو الميناء الذي فيـه خطر على حياتي؛ نظرًا لوجود السـفن العملاقة التي حتمًا ستسحقني إن دخلتُ تلك المنطقة.

دعـوت دعاء المضـطر، وبـدأتُ أناجـي الله بأعلى صـوتي وأركز في الدعاء، وبدأت أراجع نفسـي، وأسترجع سنوات عمري وأسـأل: أغاضـب أنت علي يـا ربِّ؟ لا تؤاخـذني بعملي وعاملني بفضـلك، ولطفك، وكرمك إن لم يكن بك علي غضبٌ، فلا أبالي العيشـ أو الموت، وأصـرخ بأعلى صـوتي وكأني أملك المكان، فهو سبحانه وأنا والبحر، وأصبحت في سباق مع الزمن، كل دقيقة لها وزنهـا وقدرها، فلا أدري أتكون الدقيقة الأخيرة، وهل تكون هذه الدقيقة هي ما بقي لي على الدنيا، أسـتغفر بها ربي وأشتري بها رضاه والحياة الخالدة، يداي تجدفان بكل قواهما؛ خشية الغرق، وعقلي يسـترجع بكل قواه شريط العمر، وما قدمتْ يداي، وقلبي يدعو بكل قوة؛ ليغسل كل ما جناه؛ لعلي ألقى الله بقلب سليم.

وعلـى الرغـم مـن أن الله لم يخذلنـي مـن قبـل، وعلى الرغـم من ثقتـي برحمته ولطفه وكرمـه، إلا أنه بدأ يدخل في نفسـي إحسـاس بأن الموت قد يكون هو ما كتب الله لي في هذه الليلـة، وبـدأت أفقد قواي، فأصـبح احتمال المـوت ولقاء الله

هــو أحلى الاحتمالات، وبدأت أستســلم، ورأيــت المبنى الكبير يصغر، ويصغر، وابتلعني الظلام الحالك، فقررت أن أحتفظ بطاقتي، وأحاول الطفو فوق سـطح الماء ما اسـتطعت، فرأيت بعض الصيادين، فحاولت الوصــول إليهم دون جدوى، ورأيت كشافات أملتُ أن يكون حرس الحدود في طريقهم إليَّ، ولكنهم غيروا اتجاههم فجأة، فأصــابني الإحباط، لا أدري كيف مرت تلك الليلة بتلك الســرعة، إذ بدأ الليل ينقشــعُ، فوجدتُ نفسي قد ابتعدتُ كثيرًا عن الشــاطئ، وبدأتْ أشعةُ النور تجلي ظلمة الليل، فصليت الفجر.

وفي هذا الوقــت، رأيت من على بُعدٍ مدخنة التحلية التي كان هدفي الوصــول إليها ذلك الصــباح، وفجأة رأيت صــيادًا على مرأى مني، فأخذتُ أســبحُ إليــه بكل قوتي، وكلما اقتربت تبين لي أنه يرفعُ المرساة، فصرخت بكل صوتي، فتوقف كالذي سمع صوتًا، ولكن الموج حال بين عينيه أن تراني، واتخذ طريقه في الاتجاه الآخر، ولكن وجوده في هذه المنطقة أشعرني بالأمل من أن هذه منطقة يقصــدها الصــيادون، ولا بــد لي أن أجد صيادًا آخر.

وبالفعــل رأيتُ صــيادًا آخر، وكــررتُ المحاولة الســابقة نفســها، ولكن مــرة أخرى حال المــوجُ بيني وبينــه، وقررت أن أســتغل يومــي بأن أســبح في اتجاه محطة التحليــة، حيث كان

اتجاه الريح، وسبحت مدة تسع ساعات متتالية، حتى توسطت الشمسُ قبة السماء، وأشعة الشمس تحرق رأسي كأنها نار منصبة عليّ وبذلة الغوص تقطعُ لحمي، وأنا بين الدعاء والرحمة واللطف وملامة النفس على الخطأ الفادح الذي أقحمت فيه نفسي إلى هذا الموقف العصيب المهلك، وألوم نفسي على إلقائي السترة التي بها أستطيع أن أطفو.

مرت علي عشر ساعات منذ بدأت السباحة في اتجاه التحلية، وبحمد الله وكرمه أحرزت تقدمًا جيدًا، حتى أصبحت مقابل مدخنة التحلية أرى عمائر الكورنيش، ورأيت فرقاطة خاصة بحرس الحدود، بل رأيت كابينة الفرقاطة من على بُعد، ولكن حال الموج بيني وبينهم، بل قل: ردمني الموج، ولم يصل صراخي إلى آذانهم، خلعت زعانفي وحملتها بيدي وأخذت ألوّح بها، وأصرخ بأعلى صوتي، ولكن دون فائدة، ورأيت طائرة الدفاع المدني تحلق في الجو، ولكنها بعيدة عني، ولم أتخيل في تلك اللحظة أنهم جميعًا خرجوا؛ بحثًا عني، وأخذت نظارة الغوص أعرضها للشمس؛ لعلهم يرون انعكاس الشمس على زجاج النظارة، ولكن هيهات أن أميز بين أمواج البحر المتلاطمة.

وفقدت الأمل في كل هذه الطرق، وأخذت أسابق الزمن لاستغلال ما تبقى من النهار قبل غروب الشمس، وكل حلمي آنذاك أن أصل إلى الشاطئ، وأخرج منه، وأرجو أحد البائعين أن يسقيني ماء، ويطعمني قطعة من البسكويت، وأبحث عن

سـيارة أجرة وأطلب من السـائق أن يأخـذني إلى بيتي، وأعده بأنني سأعوضـه عن الضـرر الذي سـيلحق بمقعد سيارته من جراء بلل الماء. وبدأ العطش يشـتد علي وخيل لي أنني قد أجد عبـوة ماء ملقـاة في البحر من إحدى السـفن أو القوارب، وبلغ العطشـ منـي كل مبلغ، فشـربت بعضـ الماء المالـح، وتذكرت آنذاك نصيحة الأطباء لي بالإكثار من شرب الماء؛ حتى لا تتأثر حصـوة الكلـى عندي مرة أخـرى، وتذكرت ألم حصـوة الكلى الذي باغتني قبل ثلاثة أسابيع، واحتجت لتخفيف الألم أن آخذ أشـد أنواع المسكنات، فدعوت الله أن يلطف بي، فيصرف عني ألم حصـوة الكلى؛ لعلمي ويقيني بأن الألم الذي أصـابني قبل بضعة أسابيع لو باغتني الآن، فإنه يعني حتمًا الموت.

الأمل يتضـاعف، وأخذت أضاعف مجهودي للوصول إلى الشـاطئ، وفجأة تحول اتجاه الرياح، فاستخرت الله: (**اللهم، إني أسـتخيرك بعلمـك، وأسـتقدرك بقدرتـك، وأسـألك من فضـلك العظيم، فإنك تقـدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت عـلام الغيـوب، اللهـم، إن كنـت تعلـم أن في هـذا الأمـر** –وهو توجهي لهذا المبنى الشامخ على طريق الكورنيش الذي أراه من علـى بعد– **خيرًا لي في ديني ومعاشـي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه**)[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ١١٦٢).

وفجـأة أصـبح اتجـاه الريـاح إلى التحليـة، وأصـبحت العمارة بجانبي بعد أن كانت أمامي، وبدأت شمس يوم الجمعة بالغـروب، وجـنَّ الليل، وأظلمت الدنيا مـرة أخرى من حولي، قربت من التحلية وسـمعت أذان المغرب، فـكان للأذان معنى غير المعنى الذي عرفته طوال حياتي، بل كأني أسمعه لأول مرة في حياتـي: الله أكبر، الله أكبر، أمـل كبير، في رب كبير، أكبر من كل محنة وكرب، وكان هذا الأذان أول صـوت بشـر أسمعه على مدى أربع وعشـرين سـاعة، فكان بمنزلة بشـرى من رب كريم أنه سينجيني بلطفه من هذا الكرب.

وتوضأت وصـليت المغرب، وأكملت مسيرتي نحو التحلية المضـيئة أمامي، ومرة أخرى تغير اتجـاه الرياح، ودفعني نحو البحر، فذهبت كل جهودي للوصول إلى التحلية أدراج الرياح، فأصـابني الإحبـاط، وعلمت بعد ذلـك أن الله لطف بي أن لم أقترب أكثر من التحلية؛ نظرًا لوجود شفاطات ضخمة لم أكن لأفلـت منها لو أنني اقتربت من الشـاطئ، ولكان موتًا محققًا. وهنا باغتني الشيطان لأول مرة بكل قواه كأني أسمعه يحدثني بصوت عالٍ في عرض البحر، وهو يقول لي: «لقد خذلك ربك، يريـد الله أن يذلك، ويلعب بك وسـتموت بعد ذلك لا محالة»، سمعت صوت الشيطان، مستهزئًا ساخرًا، والعجيب في الأمر أن الصـوت لم يكن من داخلي، ولكنه صوت كأنه آتٍ من الخارج،



وأنظر حولي، فلا أرى إلا الأمواج والبحر، ولا أسمع إلا تلاطم الأمواج، وهذا الصوت الساخر المستهزئ.

بادرت مرة أخرى إلى الوضوء؛ وقاية وأمنًا وحماية، ودعوت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وقرأت المعوذات ونفخت في يدي ومسحت كل جزء من جسدي، وأصرخ بأعلى صوتي؛ حتى يرتفع صوتي على صوت الشيطان الساخر، وأقول: «يا معين، أعني، يا مغيث، أغثني»، وأصلي على سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ بأعلى صوتي؛ لعل الله يحن علي بصلاتي على أحب خلقه إليه «صاحب شفاعة اليوم الأعظم»، وهنا سمعت أذان العشاء، ومرة أخرى كان للأذان في نفسي أعمال هي من أعمال الآخرة وسكينة وطمأنينة وبشرى وأمل. ولو أنني سئلت: أي الاثنين أشد عذابًا وتنكيلاً بي أهي الشمس الضارية الحارقة تسلخ جلدي بسياط لهيبها وتحرق جسدي بألسنة نيرانها، أم البرد القارس المؤلم الذي يفتت العظم ويمزق الجسد من الألم في منتصف الليل والقشعريرة والرجفة التي تصاحبها كل ليلة لما استعطت أن أجيب؟!

وكل الذي حال بيني وبين الموت من البرد في الليلتين هو أحقر من أن أذكره في قصتي هذه، ولكني استحضرت فيه معنى العبودية والضعف الكامل لله. هل يمكن أن يصدق أن الذي حال بيني وبين الموت من البرد هو قطرات البول



الساخنة التي حرصت أن أحتبسها في النهار، وأبقيها ليلاً عندما تشتد علي القشعريرة، وأخشى أن تنخفض درجة حرارتي «Hypothermia» فتكون هذه القطرات في داخل بِذْلة الغوص قطرات الحياة الدافئة. ما أضعفك يا ابن آدم، وما أجرأك على خالقك وأنت من أنت وهو سبحانه من هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الإنفطار: ٦]. أخذ مني الإرهاق كل مأخذ، ووصلت إلى نقطة الاستسلام.

اشتدت عليَّ القشعريرة، فدعوت الله أن يخلصني من هذا الكابوس، وناجيت ربي أسأله: يا رب، لم يعد لي من قوة، فقد يكون من الأفضل أن تأخذني إليك برحمتك. تذكرت والدي وزوجتي وبناتي الثلاث ودعوت لهم، فإني أعلم أنهم ليسوا ممن يقدر على تحمل مثل هذا الامتحان. وأحسست براحة عميقة، فكنت أخشى أن أنجو، ثم أعلم أن صديقيّ لم يَنْجُوَا، فألوم نفسي. كيف أنجو، ويهلكان؟! واستحضرت معنى أن الغريق في الجنة، فأصبحت أرى نعيم الجنة في الموت، وأعيش جحيم الماء في الحياة الذي أصبح أشبه ما يكون بماء نار مسكوب عليّ، وأصرخ بأعلى صوتي من الألم، وقد كثرت جروحي وآلامي.

نظرت نظرة أخيرة، فوجدت نفسي أبتعد أكثر فأكثر عن اليابسة، وعلمت أن البحر يبتلعني. استجمعت شتات فكري

وأمري، واستحضـرت معنى الشـهادة واستشـهدت، وأسلمت نفسـي لله، وأغمضـت عينـي، واجتهدت في اسـتقبال القبلة، وودعـت كل مـا في الدنيا مـن ذكريـات وآلام وأفـراح وأتراح واسـتقبلت ربي أدعوه أن يكتب لي الجنة، وأن يكون ماء البحر قد غسـل ذنوبـي كلها، وحمدت الله على هـذه الميتة، وأنني لم أمت موت الفجاءة، حيث لا وقت للمراجعة والاستغفار. تخيلت نفسـي أشرب ماء البحر، وأن الكرة الأرضية تنشق من تحتي، وأنا أنزل فيها، وبدأت في النزول، وفجأة ناداني صوت صارخ، إنما هي شعرة بين حفظ النفس والانتحار، وفيها مصيرك إلى جنة أو إلى نار: إنك تنتحر.

فدفعت نفسي ثانية بكل ما تبقى لي من قوة، وبدأت أسبح مرة أخرى، ولكن قواي ما لبثت أن خانتني ثانية، والقشـعريرة اسـتنزفت مـا بقي لدي مـن قوة، وأجـد صـعوبة في التنفس، فعلمـت أنها علامة ما قبل الموت. وبدأت أغوص، وفجأة موجة قوية ترفعني إلى السطح، فأخذت نفسًا عميقًا بما تبقى لي من قوة، فاستشـعرت يد الله تحملني وترفعني ونسمة هواء عجيبة كأنها ملئت بروح السـماء، وأنظر حولي فأرى أربعة أو خمسـة دلافـين «Dolphins» تطـوف بي في هذا الليل المظلم، تصـدر تلـك الأصـوات الجميلـة التي طالما ظننتها صـورة من صـور تسـبيحها لخالقها، فأدركت أنها علامات الحياة يرسـلها الله

لي؛ ليعلمني أنه سبحانه منجني، ولو بعد حين. موج يرفعني ويحول بيني وبين البحر أن يبلعني، ونسمة هواء معبأة بروح السماء تملأ رئتي وجسدي بالحياة. ومجموعة دلافين تطوف وتسبح بحمد ربها بلغة لا نفقهها.

أنزل الله علي السكينة مرة أخرى، وبدأت أفكر مرة أخرى في النجاة. رأيت السفن من على بعد طوابير تنتظر دخول الميناء، وهي كقطع من المدن، فقررت السباحة تجاهها، على الرغم من علمي بخطورة ذلك، ولكن ليس لي من خيار، وبعض هذه السفن راسية ومحركاتها العملاقة مغلقة لعلي أصل إلى إحداها، ولا أسحق بمحركاتها، فتوجهت إلى أصغرها، واستطعت الاقتراب، وأخذت أصرخ بأعلى صوتي باللغتين: العربية والإنجليزية؛ لعل أحدًا يسمعني، وما زلت في الثلث الأخير من الليل، ولكن دون فائدة. ألهمني الله أن أضع أحد زعنفيّ تحت رأسي؛ لأريح قدمي ولأستند على الزعنف لثوانٍ قليلة، فوجدت أن الموج يرفعني عندما أضع الزعنف تحت وجهي، وأتخذه وسادة وأغفو ثواني قليلة، قبل أن يلطمني الموج ويوقظني.

وألهمني الله في ذلك الوقت أن أدعوه بقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، ولم أعلم آنذاك أن كلمة «المضطر» لم تذكر في القرآن الكريم



إلا مــرة واحدة في هذه الآية. وبينما أنا أصــارع الموت في الثلث الأخير من الليل بما تبقى لي من قوة وأصــبّر نفسي وأقرأ هذه الآية إذا بخبطة قوية تأتي من الخلف، فوضعت نظارة الغوص، فرأيت سـمكة قرش من نوع «White Tip» ولي في أنواع القروش علـم ودرايــة. وكأنه يقول لي: ماذا تفعل هنا، أو أنه يدرسـني، وهذه من عادات القرش، فبصره ضعيف ويعتمد على جسده في تحديد ماهية فريسـته ووزنها ونوعها تحليلاً للجسم، بل طعمه وجنسه.

وفجــأة تبدد التعب والعطش وعادت لي قوتي وأحسسـت بهرمــون الإدرينالـين «Adrenaline Rush» كأنمـا ينسـكب في دمي سـكبًا؛ ليعيد لي الحيــاة والقوة للحفــاظ عليها، وعلمت بعد ذلك دور هرمون الإدرينالين الذي يفرز من غدتي الكظر، «وهمــا الغدتان الموجودتان فــوق الكليتين» تحت أي ضــغط أو توتر، وهذا الهرمون يسـاعد على بدء مجموعة من التفاعلات الحيوية التي خلقت من أجل مسـاعدة الجسم على التعامل مع الأزمــة والتكيف معها. ففي البداية من هــذه التفاعلات يفرز الكبد السـكر في الدم؛ للإمــداد ببعض الطاقة؛ حتى يسـتعد الجسـم للهجوم أو الهرب، وعندئذ يكون التنفس أسرع؛ حتى يمد الجسـم بالمزيد من الأكسـجين، ثم يزداد معدل ضربات القلب؛ حتى تضخ الدم بصورة أكبر؛ لكي تحمل السكر الزائد

والأكسـجين إلى المخ والعضـلات، كما يؤدي إفراز الإدرينالين إلى تأثيرات عديدة في الجسم، أهمها أنه يزيد من قوة انقباض العضـلة القلبية، ويزيد من سرعة نبضات القلب ما يؤدي إلى زيادة ملحوظة في النتاج القلبي، كذلك يؤدي إفراز الإدرينالين إلى انقباض الأوعية الدموية المحيطية، وتحويل سـريان الدم من الجلد والأحشاء إلى العضلات الهيكلية والدماغ.

فكانت تلك الضربة القوية هي أكثر ما أحتاج إليه لمواصلة المقاومة وعدم الاستسـلام، ولكني ضحكت في نفسي، وناجيت ربـي: «يا رب، أهذا الذي ينقصـني؟» أدعوك ربّ أن تنجيني، فترسل لي قرشًا؟ أستجديك ربّ، بألوهيتك وربوبيتك إن أردت أن تأخذني إليـك، فخذني قطعة واحدة، لا في فم هذا القرش ممزقًا أشـلاء، لم أرَ في حياتي قرشًا بهذا القرب، وبدأ يحوم حولي، فأخذت أحوم حول نفسي؛ لأتأكد من نوعه، فتيقنت أنه «White Tip»، وهـذا النوع من القروش قـوي وذكي، بل عنده قدرة الصـعود فوق الشـعب المرجانية في حالة إتعابه لفريسته، وقـد رأيـت مثله مـن قبـل، وإن لم يكن بذلك الحجـم في رحلة صـيد، وكنت أحمل سمكًا قد صـدته فهاجم صيدي، فألقيت له الصيد كاملاً بما فيه بندقية الصيد؛ لأفدي به نفسي.

دعوت ربي أن يسخر لي هذا الوحش، وأكثرت من الدعاء: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[1]، «**بسم الله الذي**

(١) سبق تخريجه في صفحة ٢٤٨.



لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»[1]، واستمر القرش يحوم حولي وحجمه أكبر مني بكثير، وقدرت طوله بنحو ثلاثة أمتار، وازداد دعائي، وتذللي إلى اللّه الذي يقول للشيء كن فيكون، والعجيب في الأمر أن اللّه ألهمني أن أدعوه بأن يسخر لي هذا الوحش الفتاك، ولم يلهمني أن أدعوه بصرفه عني. مرت ثلاث ساعات وما زال القرش يحوم حولي، فتيقنت آنذاك أنه لم يؤمر بأن يفتك بي، وإلا لفعل ذلك منذ ساعات فاطمأننت، بدأ فجر يوم السبت ينشق، فتوضأت لصلاة الفجر، وأحسست مرة أخرى بقوة الوقاية والحماية والتحصين والدرع الذي يحيط بي بوضوئي هذا، وصليت الفجر وأنا أحاذر من هذا القرش، وأدعو اللّه أن يسخره لخدمتي ويقيني شر هذا البحر وينجيني منه.

ماذا يريد القرش؟! بعد الصلاة فوجئت بالقرش يقترب مني أكثر ويحوم حولي، وكأنه يريد الهجوم، عندئذ أدركت أنه إن هجم علي فأنا هالك لا محالة، وعسى لو رأى مني محاولة للرد أن يعدل عن رأيه، فجمعت كل ما تبقى لي من قوة، وقررت أن ألقي جسدي كله عليه إن اقترب مني؛ لعله يظن أن بي قوة، ففعلت وارتطمت به، فغاص إلى الأعماق، ثم عاد مرة أخرى إلى السطح كأنه يقول لي: يا عبداللّه، لم أرد إيذاءك أو قتلك أو أكلك، فلم يؤذن لي أن أفعل، ولو أُذن لي لما رأيتني إلا وقد سلبت قطعة من جسدك وأنت لا تشعر.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة ٢٤٨.

وعــاد يحوم حولي ببطء كأنه يعلمني أنه موكل بمرافقتي في رحلتي هذه، فأصـبح بعد ذلك بالنسـبة لي بمنزلة سـمكة عادية تحوم حولي تؤنس وحشتي، وعندما أضاءت الدنيا أصبح بمقدوري أن أتيقن بما لا شـك فيه أن القرش هو من الفصيلة التــي ذكرت آنفًا، وأنه لا يريد الفتك بي بإذن خالقه، فأصـبح القرش أنيســي، بعد أن كان همي ومصدر قلقي وخوفي. أخذت أقترب من السـفن ونسيت الآلام والعطش، وقد غمرتني فرحة النجــاة من القرشـ والاقتراب من السـفن. وفي هــذه الأثناء سـمعت صـوت محرك (حوامة حرس الحدود) فتوقعت أنهم لن يروني كما حدث قبل ذلك طوال الأربعين سـاعة الماضـية، ولكنهـم كانــوا يقصـدونني واقتربوا منــي، فخلعـت زعانفي ورفعتهـا كما فعلت في محاولاتي السـابقة؛ لجلب الانتباه إلي، وصــاح أحدهم: أأنت الدكتور حسـام جمعـة؟ فأجبت: «نعم» فقال: «أبشر لقد نجوت».

حاولوا رفعي أولاً من يدي، فسـقطت من آلامي، ثم ألقوا إلي سلمًا وصعدت الحوامة ولم أستطع الوقوف، ولكني سجدت لله طويـلاً، فقال أحدهم: اتركوه يسـجد لله، وباغتني النوم، وأنا سـاجد لله. وقيل لي بعد ذلك: إنني لو تابعت سـباحتي في اتجاه السـفن الضـخمة لفتكت بي القروش هنــاك، حيث إنها منطقة تلقى فيها المواشي المريضة وتسمى «بحر المواشي»، قبل



أن تصل إلى الميناء، وتكثر فيها القروش، ولما بقي مني قطعة واحدة؛ ليتعرفوا بها علي. وذهبوا بي إلى مركز الحوامات، وقدم لي سكبة من الماء لم أذق في حياتي أطعم من مذاقها كأنها سكبت من ماء الجنة. وكان اسم الحوامة «زفاف»، وبالفعل كان يوم زفافي مرة أخرى للدنيا، وكانت فرحة منقذي بي من سلاح الحدود غير معقولة، وكأنما زفت لهم حياتهم كذلك من جديد، وعلمت بعد ذلك أن المسافة التي قطعتها في أربعين ساعة نحو خمسين كيلو مترًا، أي تقريبًا المسافة من جدة إلى نقطة تفتيش الشميسي القريبة من مكة المكرمة. أما بالنسبة لأصدقائي «طلعت مدني»، و«يوسف» فقد علمت أنه تم العثور عليهما من قبل متطوعين «فريق/ محمد دباغ» يوم الجمعة في السابعة صباحًا، فحمدًا لله على نجاتهما، وعلمت أن كل بيوت جدة كانت تدعو لي بالنجاة ممن أعرف، ولا أعرف ومساجد وأئمة دعوا لي في تلك الجمعة الحاسمة من حياتي.

وحصوة الكلى اختفت! ذهبوا بي إلى المستشفى وتعجب الأطباء من معدلات الأملاح في الدم، وغيرها من التحاليل التي يتعذر الحياة بمثل هذه المعدلات والأرقام. أما حصوة الكلى التي كانت عندي قبل أسابيع، فبقدرة الله -سبحانه وتعالى- اختفت تمامًا، ولم تترك أثرًا في الأشعة، وأغلب الظن أن الله تكفل بها وشفاني وخلصني منها وأنا في البحر. ولم أنم مدة يومين بعد نجاتي، وما زلت اليوم بعد أسبوعين من الحادثة

أنام ما لا يزيد على ثلاث ساعات في اليوم. وتسألني اليوم: ما الذي حدث لك؟ أقول لك: إن الله أراد بي لطفًا وخيرًا عظيمًا يوم كتب الأرزاق والآجال واختار لي اسمي بسابق علمه.

فجمعتي الحاسمة تلك ستبقى لي ما حييت فاصلًا كالسيف الحاسم بين حياتي قبلها وحياتي بعدها. فما أنا اليوم ذلك الذي كنته بالأمس قبل جمعتي الحاسمة تلك، وقد نذرت إلى ربي نذورًا كبيرة. أبسطها ألا أتكاسل عن صلاة الفجر في المسجد، وأن أسخر حياتي للدعوة إلى الله، وأن أسعى لتسخير وتجنيد قصتي هذه التي هي من آيات الله لإحياء النفوس وتذكير الناس والعودة بهم إلى الله، وأن أمتثل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام:١٦٢].

وإنني اليوم لأنظر بعين غير تلك التي كنت أنظر بها، وأسمع بأذن غير تلك التي كنت أسمع بها، وكل الأعمال والشعائر صبغت عندي بصبغة السماء، فلا الأذان هو الأذان الذي كنت أعرفه، ولا الوضوء هو الوضوء، ولا الصلاة هي الصلاة، ولا طعم الماء هو طعم الماء، ولا تعظيم النعمة هو تعظيمها، ولا الشعور بالأمان هو الشعور بالأمان، ولا تقدير الصحة والعافية هو هو، ولا الدعاء هو الدعاء، فقد كنت أنظر إلى الدعاء «كمسدس ماء»، واليوم أعلم أنه أشد وأمضى من أقوى قنبلة ذرية على وجه الأرض،

بل في تشبيهي هذا إنقاص للمعنى وسوء أدب مع خالق السماء والأرض، ولكني أجتهد في تقريب المعنى ما استطعت.

وأدركت ما في هذه الأمة من خير عظيم، فأصدقاء أعرفهم، وغيرهم لا أعرفهم ذهبوا للبحث عني بالقوارب طوال الليل والنهار، وأناس لا أعرفهم، ولا يعرفونني هجروا مضاجعهم، وقاموا الليل يدعون الله أن يحميني، وأنا هناك في وسط البحر. فأبى الله إلا أن يكون أرحم من قلوب الرحماء من أمته، وأن يكتب لهم الأجر، ولي النجاة. تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ولم يقل سبحانه: (وكذلك ننجي المرسلين أو الأنبياء)؛ ليؤكد سبحانه أنه سيكون من أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة من سينجيه الله بصور عجيبة وغريبة فيها كرامات، كتلك التي أنجى الله بها نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت في جوف البحر. ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا

ﭐلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]. أما القرش فلا تسألوني عنه، ولا عن الضربة التي أمر أن يوجهها إلي في تلك المنطقة بالذات «منطقة الكليتين»، فالأطباء يعلمون أن ما فوق الكلية هو الغدة فوق الكلوية المسؤولة عن إفراز هرمونات الكاتاكولامي «Catecholamine» وما دورها في مثل هذه المواقف، كل الذي أعرفه هو أن تلك الضربة التي أمر الله هذا القرش بها كانت بمنزلة القوة التي أعانتني على أن أواصل مسيرتي نحو تحقيق واجب الحفاظ على النفس، والنجاة من الموت، ولم يؤمر القرش بغير هذه الضربة، مستجيبًا لله الخالق الذي له الأمر من قبل ومن بعد: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦].

أخوكم الدكتور حسام عبد السلام جمعة.

الحكمة

كُلُّ ابنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُه

يَومًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ(١)

---

(١) هذا البيت من بحر البسيط، وينسب إلى كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني أهدر النبي ﷺ دمه عندما هجا النبي ﷺ وشبب بنساء الصحابة، وعندما أسلم جاء إلى النبي ﷺ مستأمنا، وأنشد لاميته المشهورة التي مطلعها:
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، مات سنة ٢٦هـ. والبيت ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧١/٤) وابن منظور في اللسان (٣٠١/١).



اليتيم

بدأت منذ ساعة ولادة هذا الطفل، وفي يوم ولادته توفيت أمه، وتركته وحيدًا، حار والده في تربيته، فأخذته خالته؛ ليعيش بين أبنائها؛ إذ الأب مشغول في أعماله صباح مساء، وتزوج الأب بعد سبعة أشهر من وفاة زوجته، وأتى بولده؛ ليعيش معه، وبعد مضي ثلاث سنوات وبضعة أشهر أنجبت الزوجة الجديدة طفلين: بنتًا وولدًا، فكانت زوجة الأب لا تهتم بابن زوجها الذي لم يجاوز الرابعة من عمره، إذ كانت توكل أمره إلى الخادمة؛ لتهتم به، إضافة إلى أعمالها في البيت، غسلًا ونظافة وكنسًا وكيًا.

وفي يوم شديد البرودة دعت الزوجة أهلها للعشاء، واهتمت بهم وبأبنائها وأهملت ابن زوجها الصغير الذي لم يكن له غير الله، حتى الخادمة شُغلت بالمأدبة، ونسيت الصغير، التمَّ شمل أهل زوجها، عندها ودخلوا في أحاديثهم، حتى جاء موعد العشاء، فأخذ الصغير ينظر إلى الأطعمة المنوعة، وكله شوق أن تمتد يداه إلى الحلوى أو المعجنات؛ ليأكل منها، ويطفئ جوعه، فما كان من زوجة أبيه إلا أن أعطته بعض الأرز في صحن، وقالت له صارخة: اذهب، وكلْ عشاءك في الساحة (ساحة البيت).

أخذ الطفل صحنه مكسور القلب، حزين النفس وخرج به، وهم انهمكوا في العشاء، ونسوا أن هذا طفل صغير محتاج إلى حبهم، ورحمتهم. جلس الطفل في البرد القارس، يأكل الأرز، ومن شدة البرد انكمش خلف أحد الأبواب يأكل ما قدم له، ولم يسأل عنه أحد أين ذهب، ونسوا وصية رسول الله ﷺ باليتيم، والخادمة شغلت في الأعمال المنزلية، ونام الطفل في مكانه في ذاك الجو البارد.

خرج أهل الزوجة، بعد أن استأنسوا وأكلوا، وأمرت زوجة الأب الخادمة أن تنظف البيت، وأوت إلى فراشها، ولم تكلف نفسها أن تسأل عن الصغير! عاد الزوج من عمله، فسأل الزوجة عن ولده، فقالت: مع الخادمة (وهي لا تدري هل معها أم لا؟) فنام الأب، وفي نومه حلم بزوجته الأولى تقول له: انتبه للولد، فاستيقظ مذعورًا، وسأل زوجته عن الولد؟ فطمأنته أنه مع الخادمة، ولم تكلف نفسها أن تتأكد، نام مرة أخرى، وحلم بزوجته تقول له: انتبه للولد.

فاستيقظ مذعورًا مرة أخرى، وسأل زوجته عن الولد؟ فقالت له: أنت تكبر الأمور، وهذا حلم، والولد بخير، واكتفى بكلامها، فعاد إلى النوم، وحلم بزوجته الأولى تقول له: «خلاص، الولد جاءني» فاستيقظ مرعوبًا، وأخذ يبحث عن الولد عند الخادمة، فلم يجده، عندها جنّ جنونه، وأخذ يركض



في البيت هنا وهناك، حتى وجد الصغير، ولكنه كان قد فارق الحياة، إذ تكوم على نفسه، وازرقّ جسمه، وبجانبه صحن الأرز، وقد أكل بعضه.

الحكمة

«وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٣٠٤).



العمل وجزاؤه

كنت في الفيصلية أنا وأحد الأصدقاء، فذهبنا إلى مجمع المطاعم، وجلسنا على إحدى الطاولات، وعلى بُعْد طاولتين منا كان هناك شابان يجلس أحدهما ومعه كوب قهوة، والآخر كان معه «زقارة»، وفي الطاولة التي أمامهما كان يجلس شاب وحده «يستمتع» بوجبة الغداء، لكن يبدو أن رائحة الدخان أفسدت عليه متعته، خصوصًا أن المدخن كان يبعد السيجارة عن صاحبه.

فارتفعت الأصوات بين الشاب والمدخن، الذي رفض بكل صفاقة إطفاء سيجارته، وقد كان يصيح بين كل جملة وجملة: «ماذا أفعل لك؟ فليست هناك لوحات تقول: ممنوع التدخين»، والحقيقة أنه في كل مكان يدخن الناس بكل صفاقة سواء في وجود لوحات أو من دونها، وفي بعض الأماكن تجد لوحات: «ممنوع التدخين» وتجد طفاية السجائر تحت اللوحة والمدخنون متحلقون حولها.

الشاب صاحب الغداء أخذ غداءه إلى مكان آخر، وأخذ يأكل، وبعد خمس دقائق تقريبًا قام أربعة أشخاص كانوا يجلسون على الطاولة الملاصقة لنا، وكأنهم يعزمون على شيء ما. نهض الأربعة، حاملين معهم مخلفات وجباتهم، واتجهوا إلى المدخن وصاحبه، ووضعوا مخلفاتهم على طاولة المدخن،



وهم يتبسمون، فصاح المدخن: خيرًا إن شاء اللّٰه، فهل ترون الطاولة حاوية زبالة؟! رد عليه أحد الأربعة، بعد أن تلفت يمينًا ويسارًا، وهو يضع يده على ذقنه، كأنه يبحث عن شيء، ثم قال: «ليست هناك لوحات تقول: ممنوع ترمي مخلفاتك في طاولة من بجوارك»! ثم انصرفوا، وهم يضحكون ضحكًا هستيريًّا.

فأعجبتني أنا وصاحبي الحركة، وصفقنا تصفيقًا حارًّا وصفق معنا بعض الأشخاص، طبعًا ليتكم رأيتم وجه المدخن الذي تحول بقدرة قادر إلى طمطامة مستوية!

الحكمة

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به.



أمسك بيد من تحب

يحكى أن فتاة صـغيرة كانت مــع والدها العجوز يعبران جسرًا، فخاف الأب الحنون على ابنته من السقوط؛ لذلك قال لها: حبيبتي، أمسكي بيدي جيدًا؛ حتى لا تقعي في النهر.

فأجابت ابنتــه دون تردد: لا، يا أبي، أمســك أنت بيدي، فـردّ الأب باسـتغراب: وهـل هناك فـرق؟ كان جـواب الفتاة سـريعًا أيضًا: لو أمسـكتُ أنا بيدك، قد لا أستطيع التماسك، ومـن الممكـن أن تنفلت يـدي، فأسـقط، لكن لو أمسـكتَ أنت بيدي، فأنت لن تدعها تنفلت منك أبدًا.

الحكمة

عندمـا تثق بمـن تحب أكثر من ثقتـك بنفسك، وتطمئـن علـى وضـع حياتك بـين أيديهـم أكثر من اطمئنانك لوضـع حياتك بين يديك، فعندها أمسك بيـد مـن تحـب، قبـل أن تنتظـر منهـم أن يمسكـوا بيديك.



صبر النمل

النمل لا ينسحب أو يستسلم أبدًا، إذا احتجز في مكان معين، أو حاولت إيقافه، فسيبحث عن طريق آخر، وسيحاول التسلق أو المرور من أسفل أو من الجوانب. وسيستمر في البحث عن طريق آخر؛ لذلك لا تستسلم في البحث عن طريق آخر؛ لتصل إلى هدفك.

النمل يفكر في الشتاء طول فصل الصيف، فمن الغباء أن تعتقد أن فصل الصيف سيستمر إلى الأبد؛ لذلك فإن النمل يجمع طعام الشتاء في منتصف فصل الصيف. وكما يقال: لا تبنِ بيتك على الرمال في الصيف، إذ يجب أن تفكر في العواصف التي ستأتيك في الشتاء؛ لذلك لا تنسَ الأرض الصخرية، بينما أنت تستمتع بالشمس والرمل، ومن ثم، فمن المهم أن تكون واقعيًا، فكر في المستقبل.

والنمل أيضًا يفكر في فصل الصيف طول فصل الشتاء، إذ خلال فصل الشتاء، يذكر نفسه بأن «فصل الشتاء لن يستمر طويلاً، وقريبًا سيخرج من هنا» يخرج في أول يوم دافئ.

وعندما يعود البرد مرة أخرى، فإن النمل يعود إلى مساكنه، لكن يعود للخروج مرة أخرى في أول يوم دافئ؛



لذلك: كن دائمًا إيجابيًا في كل الذي تستطيع أن تفعله، كما تجمع النملة خلال فصل الصيف؛ لتستعد لفصل الشتاء!

الحكمة

لا تستسلم أبدًا، وفكر في المستقبل، وكن إيجابيًا، وافعل كل ما تستطيع فعله، ولا تكن كقمة الجبل ترى الناس صغارًا، ويراها الناس صغيرة.



جندي في إسبانيا

هـذه قصـة جندي إسـرائيلي كان يحارب في فلسـطين، وهرب إلى إسـبانيا، يروي قصـته، وقد رفض أن يعلن اسمه، يقول: أنا أحد الجنود الإسـرائيليين الذين يحاولون استرجاع أرضـهم، كما قيل لنا، أمروني بالعمل في الجهة الشـمالية من بيت المقدس، في البداية كنت فخورًا بما أفعله، خاصـة عندما أضـرب شـابًّا في مثل عمـري، فأشـعر بالقوة وأحب إشـعاره بالضعف.

وفي يـوم من الأيام علم أحد جواسيسـنا أن مجموعة من الفلسـطينيين سـيقومون بالهجوم علينا في أثناء الليل، فبدأنا بالاستعداد بكامل قوتنا، ونحن نضحك ونسخر منهم، يظنوننا أغبيـاء، لكننـا كنا أذكى منهم! أتى المسـاء فسـمعنا صـرخة مدويـة من أحـد المنازل، فكانت تلك إشـارتهم لاسـتدراجنا، فنفذنا خطتنا وشكلنا فرقتين: فرقة تنتظر عند بيت المقدس، وفرقة تخرج للمنزل الذي سمعنا منه الصوت.

ذهبنا إلى هناك، وكان المنزل مظلمًا جدًّا، و كان مهدمًا، حيث تم قصفه من قبل، دخلت المنزل، فتملكني إحساس غريب بالخوف، كنت أصلي لأخرج سالمًا، وإذا بشخص أمامي يحاول قتلـي، لكن ردة فعلي كانت أسـرع، وأطلقت عليه طلقات عدة،



وهنا ذهب شعور الخوف! بعد دقائق عدة وإذا بي أرى عشرات أمامي، فلم يكونوا رجالاً ولا جنودًا، بل كانوا كالملائكة، كانوا يحيطون بي ويقاتلونني، فكنت أصرخ، ولا أحد يسمعني، فظننت أنني مت، وأنني في الجحيم.

رأيت أحد رفاقي وإذا به يضحك، ويقول: ماذا تفعل؟ تقاتل الهواء؟! لكنني كنت أصرخ، وأبكي، وأقول: انظر، إنني أقاتل عشرات وحدي، ساعدني! و بدا مستغربًا، ويقول: هل تمزح؟ إنك تبدو كالأحمق، هيا بنا نعود أدراجنا، فيبدو أنهم لا يريدون الخروج لمقاتلتنا، ويبدو أن جاسوسنا غبي أيضًا! وحينها كنت ما زلت أرى الوجوه التي أمامي يملؤها الغضب، وكانت أجنحتها كالسوط على جسدي، وكنت أصرخ، وأرى صاحبي يهرب، وأنا أصرخ: لا تتركني معهم! ثم فقدت وعيي من هول ما رأيت، وعندما فتحت عيني فإذا بي أرى رجلاً عجوزًا يضمد جراحي، وكان يهمس لي ولم أفهم منه شيئًا؛ إذ لا أجيد العربية، ثم أتى شاب في قمة الوسامة، عمره سبع عشرة سنة تقريبًا، وتحدث معي باللغة الإنجليزية، فسألته: أين أنا؟! فقال لي: إنك في منزل جدي، كنا عائدين من المسجد، ورأيناك فاقدًا للوعي، فحملناك، وقمنا بتضميد جروحك.

ورأيت جده يخبره شيئًا، فأردف إلي، قائلاً: كنت تقول أشياء غريبة، وتصرخ، فقال الشاب: جدي يريد معرفة ما



جرى لك، وتنهدت، وأخبرتهما بما حدث، وأنا أحس بخوف غريب. ثم رأيت جده يبتسم ابتسامة ارتحت حين رأيتها، وقال شيئًا لحفيده، فأخبرني حفيده: هناك تفسير واحد، وهو ما ذكر في القرآن الكريم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩]، ثم بدأ يفسر لي تلك الآية التي جعلت جسمي يصاب بالقشعريرة.

سألتهما: لماذا أنقذتماني؟! لماذا ساعدتماني؟! فقال الشاب: هذا واجبنا وديننا يدعونا إلى ذلك. لقد قتلتم والدي ووالدتي، وشقيقاتي الأربع، وشقيقي الرضيع، وجدتي، لكننا رددنا الإساءة بالإحسان، كما علمنا رسولنا الكريم! قلت لهما، وأنا أبكي، وتلك هي المرة الأولى التي أحس فيها بالضعف، وتلك هي المرة الأولى التي لا أجد وصفًا من الكلمات يشرح حالتي النفسية: كيف أكفر عن ذنبي لما فعلته طوال خمس سنوات؟! كيف أردّ لكما هذا الجميل؟! كيف أوقف ما يحدث هنا من ظلم؟!

وضع الجد يده الحانية على رأسي، وبدأ يتمتم بكلمات من القرآن أشعرتني بالراحة! وحين انتهى ابتسم لي الشاب، وقال: أطلق العنان لنفسك، وادرس الإسلام! اذهب بعيدًا، وابدأ من جديد، فالإسلام يمحو جميع ذنوبك السابقة!



واظب على الصلاة، فستشعر براحة، واعطف على الفقير، وردّ الإساءة بما هو أحسن وسترى حياتك مملوءة بالسعادة! فقلت: إذًا لماذا لا تعيشون في سعادة بما أنكم تفعلون كل هذا؟! فقال لي: كيف يمكننا أن نطلب من الله إيقاف النعمة علينا.

استغربت من كلامه، ولم أفهم، فأردف قائلًا: حين يموت لدينا ثلاث مئة وخمسون شهيدًا في اليوم، صدقني فنحن سعداء؛ لأننا نملأ الجنة، ونحن فخورون بشهدائنا الأحياء عند ربهم يرزقون! حين يختارنا الله بين البشر لاختبارنا، فتلك أكبر شهادة بأننا أحد أفضل الأمم على الأرض! كم أنا فخور بعائلتي التي ذهبت في دقيقة واحدة إلى رب العالمين، فما أريده منك الآن أن تبدأ حياة جديدة مملوءة بالإخلاص، وتفتح صفحة بيضاء تملؤها بالعمل الصالح.

بقيت عندهما يومين حتى أتعافى، أكلت وشربت كما لم آكل من قبل، وتعلمت تعاليم الإسلام، وحينما اقتنعت اقتناعًا كليًّا، نطقت بأجمل ما نطقت به شفتاي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله! فحضنني الجد وقبلني على جبهتي، وقال: على الرغم من أنك لست ابني، ولا من لحمي ودمي، لكنني فخور بك، ويزداد فخري بأن أراك رجلًا صالحًا!



ودعتهما، وقررت الذهاب إلى أوروبا، حيث أبدأ من جديد، أبني بيتًا وأكون عائلة، وخرجت من فلسطين متنكرًا مع جميع الإسرائيليين المغادرين لقضاء رحلة في أوروبا، وذهبت إلى إسبانيا، فهي أسرع رحلة للخروج من هذا المكان، وما إن كانت الطائرة في الأجواء، حتى أحسست براحة غريبة، وما إن هبطت في مدريد، قلت في نفسي: هنا يبدأ الاختبار، غادرت مدريد إلى إشبيلية التي بها عدد من المسلمين، وكنت أذهب للمسجد كل يوم، حتى التقيت مجموعة طيبة من المسلمين، منهم مغاربة، ومنهم فلسطينيون، ومنهم أوروبيون، فحكيت لهم قصتي، وأصبحت بطلاً قوميًا في نظرهم.

وها أنا هنا بعد سنة كاملة، متزوج من فتاة فرنسية، ذات أصول جزائرية، ومستعد لاستقبال ابني الأول، وغيرت اسمي إلى محمد خير الأسماء، وسأسمي ابني عليًّا؛ تيمنًا بالجد وحفيده.

الحكمة

مَـنْ يَفْعَلَ الْمعرُوفَ لاَ يَعْـدَمْ جَوَازِيَه

لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللّهِ وَالنَّاسِ[1]

---

(١) هذا البيت من بحر البسيط، وينسب إلى الحطيئة: جرول بن أوس العيسي، مات سنة ٤٥هـ، والبيت ذكره القرطبي في تفسيره (٣٨٣/٥) (٣٤٦/٧) وفي الموضعين: «الخير» بدل «المعروف».



سعر البيض

قبل بضع سنوات استيقظ الشعب الأرجنتيني صباح أحد الأيـام، وإذا بتجّار الدواجن والبيض كلهم قد اتفقوا على رفع سعر البيض مرة واحدة، عقدوا اتفاقهم دون أن يفكروا لحظة واحدة أن هناك من لا يسـتطيع أن يجد قوت يومه، وأن هنـاك مـن يكـدّ النهار والليل؛ ليسـدّ رمق أطفال جيـاع، هل تعلمون لماذا؟ لأنهم تجّار جشعون حثالة، لايهمم إلا أن يملؤوا جيوبهم بأموال النـاس، كيفما اتفق، فماذا حصل بعد ذلك؟

الشعب الأرجنتيني شعب متطور، وشعب يفهم الحضارة، ويعـرف القوانـين، إذ كان المواطـن الأرجنتينـي ينـزل إلى التموينـات، ويأخذ البيضـ، وعندما يجد سـعره مرتفعًا، فإنه يعيده إلى مكانه، ويقول: لا بأس، ليس هنـاك داعٍ للبيض حاليًا، لا يضر أبنائي إن تركوا البيض مدة بسيطة، فالأكل ولله الحمد متوافر، وكان هذا هو حـال جميع المواطنين الأرجنتينيين، لقد كان أفراد الشعب الأرجنتيني متفقين فكريًا فيما بينهم، فعندما وجدوا أن سعر البيض مرتفع تركوه في السوق إلى أن فسد.

فماذا تتوقعون أنه حصـل بعد ذلك؟ بعد أيام، وكالعادة تأتي سـيارة التوزيع الخاصة بشركة الدواجن؛ لتنزل الكميات الجديـدة من البيضـ، ولكنهم فوجئـوا بأن أصـحاب المحال



يرفضـون إنـزال أي كميات جديـدة؛ نظـرًا لأن البيض الذي لديهم ما زال كما هو لم ينقص؛ لأن الناس عزفوا عن الشراء، فقام التجّار بإعادة الكميات إلى مستودعاتهم، وقالوا: لنصبر أيامًا قليلة؛ لعل وعسـى أن يعود المواطنون إلى شـراء البيض، انتظر التجار أيامًا، وانتظر الشعب أيامًا، وانتظروا وانتظروا، ولكـن هل تعلمون من هو الخاسـر في مـدة الانتظار هذه؟ هل هم المواطنون الذين لم يأكلوا البيض؟ أم حثالة التجّار الذين رفعوا سعر البيض؟

ولا تنسـوا أن الدجـاج خلال مدة الانتظار مـا زال يبيض ويبيض ويبيض، فالدجاج واصل إنتاجه وتورط التجار في البيض الـذي ملأ الدنيـا، فقد تكدّسـ البيض في الثلاجـات والمخازن والمسـتودعات والبقالات دون وجود مشـترٍ، والدجاج الخائن في المـزارع قد اتفق مع المواطنين، وواصـل إنتاجه من البيض، ولم يتوقف، وأصحاب التموينات لم يطلبوا، فالبيض الموجود لديهم بالأسعار الجديدة ما زال متسمّرًا في الرفوف.

وبعـد أيام عدة اتفـق التجّار الحثالة، هذه المـرة اتفاقًا جديـدًا، وهو بيع البيض بسـعره السـابق قبـل الارتفاع، ولكنّ الشـعب الأرجنتيني الأبيّ رفض أن يشتري البيض مرة أخرى، وذلـك لكـي يتـأدب التجّـار، ولا يعـودوا لمثلها، فعـاد التجّار وخفضوا من سعر البيض مرة أخرى، ولكن الشعب العظيم لم

يشـتـرِ البيض. فكادت عقول التجّار تزول، فالخسـائر تتراكم والموت قادم.

أخـيرًا، وبعد كل هـذا اتفق حثالـة التجّار الخاسـرين، وهم خاسـئون بأن يبيعوا البيض بربع سـعره قبل الارتفاع، مع تقديم اعتذار رسمي للشعب في الصحف بعدم تكرار ما حدث، وأصبح الشعب الأرجنتيني فائزًا في معركته مع التجار، وفائزًا بأنه يشـتري البيض بخصـم ٧٥٪ من سـعره الأصلي. وهنيئًا للشـعب الواعي، الشـعب المتفق فكريًا والعارف مصلحته، لقد مسحوا وجوه التجّار بالتراب، وداسوا عليهم بأقدامهم.

الحكمة

على نفسها جنت براقش[1].

---

(١) قال بشار بن برد من بحر الطويل:

على أهلها تجني براقش فاتقوا   جناية عبد واسعدوا بقلوب

وقـال الفيروز آبادي في القاموس: يضـرب لمن يعمل عملاً يرجع ضـرره عليه. (ص٧٥٤) وذكره ابن منظور في اللسان (٦/٢٦٥).



أسرة واحدة

عرض بعض الدعاة على رجل أمريكي مشهدًا حيًّا للحرم المكي، وهو يعج بالمصلين، قبل إقامة الصلاة، ثم سألوه: كم من الوقت يحتاج هؤلاء للاصطفاف في رأيك؟

فقال: ساعتين إلى ثلاث ساعات، فقالوا له: إن الحرم أربعة أدوار، فقال: إذًا اثنتي عشرة ساعة، فقالوا له: إنهم مختلفو اللغات، فقال: هؤلاء لا يمكن اصطفافهم.

ثم حان وقت الصلاة، فتقدم الشيخ السديس، وقال: استووا، فوقف الجميع في صفوف منتظمة في لحظات قليلة، فانبهر الرجل وطلب التعرف على الإسلام.

الحكمة

إذا كنت لا تقرأ إلا ما يُعجبك فقط، فإنك إذًا لن تتعلم أبدًا.



سر الصندوق

بعد ستين سنة من الزواج كشفت له السر، وهي على فراش الموت، فقد ظلاّ متزوجين ستين سنة، كانا خلالها يتصارحان حول كل شيء، ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام، أو خدمة أحدهما الآخر، ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق، وحذرت زوجها مرارًا من فتحه أو سؤالها عن محتواه، ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته، فإنه لم يأبه بأمر الصندوق، إلى أن كان يوم أنهك فيه المرض الزوجة، وقال الطبيب: إن أيامها باتت معدودة.

بدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجات زوجته في حقائب؛ ليحتفظ بها تذكارًا، ثم وقعت عينه على الصندوق، فحمله وتوجه به إلى السرير، حيث ترقد زوجته المريضة التي ما إن رأت الصندوق حتى ابتسمت في حنو، وقالت له: لا بأس، بإمكانك فتح الصندوق، فتح الرجل الصندوق، ووجد بداخله دُميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك خمسة وعشرون ألف دولار، فسألها عن تلك الأشياء، فقالت العجوز، هامسة: عندما تزوجتك أبلغتني جدتي أن سر الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدل والنق (النقنقة)، ونصحتني بأنه إذا غضبت منك، أكتم غضبي، وأقوم بصنع دمية من القماش، مستخدمة الإبر.



هنا كاد الرجل يشـرق بدموعـه: دُميتان فقط؟! يعني لم تغضـب مني طوال ستين سنة سـوى مرتين! وبرغم حزنه على أن زوجته في فراش الموت، فقد أحس بالسعادة؛ لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين، ثم سـألها: حسنًا، عرفنا سر الدميتين، ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟

أجابته زوجته: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدُّمى! من سـتر على مؤمن سـتر الله عليه في الدنيا والآخرة. وليست هناك أسوة في الدنيا أفضل من محمد بن عبد الله ﷺ الذي قال لرجل فضـائحي أتاه ليخبره عن فعلة مشـينة اقترفها أحدهم، فقال له الرسـول ﷺ وكأنه يقرّعه: «**هلاّ سـترت عليه**»[1]، وكررها ثلاث مرات، وملامح الغضب كانت بادية على وجهه الكريم. وهناك فئة من النـاس لا همّ لهم غير التلذذ بالحديث عن فضـائح الآخرين، ولو أنك (بحثت) في تفاصـيل حياتهم لوجدت الخزي الذي يندى له الجبين. كلنا يخطئ وأفضلنا هو من يتوب، وما أكثر ما تبت!

الحكمة

مَنْ ذا الَّذِي ما ساءَ قَطْ

ومَنْ له الُحسْنى فقَطْ[2]؟!

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٤٠٣ رقم ٨٠٨٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) هذا البيت من مجزوء الكامل، وينسـب إلى عبدالغني النابلسـي المتوفى سـنة ١١٤٣هـ، وذكر البيت صديق حسن خان في أبجد العلوم (٣/٨٢) نقلاً عن ابن خلكان: أن رجلاً صـالحًا كان في بيت الحريري صـاحب المقامات، فترنم بهذا البيت وهو في خلوة فسمع هاتفاً يقول:

محمد الهادي الذي   **عليه جبريل هبط**



لقد توفي

في أحد الأيام وصل الموظفون إلى مكان عملهم، فرأوا لوحة كبيرة معلقة على الباب الرئيس لمكان العمل كتب عليها: «لقد توفي البارحة الشخص الذي كان يعوق تقدمكم، ونموكم في هذه الشركة! ونرجو منكم الدخول وحضور العزاء في الصالة المخصصة لذلك»!

في البداية حزن جميع الموظفين لوفاة أحد زملائهم في العمل، لكن بعد لحظات تملك الموظفين الفضولُ لمعرفة هذا الشخص الذي كان يقف عائقًا أمام تقدمهم، ونمو شركتهم!

بدأ الموظفون بالدخول إلى قاعة الكفن، وتولى رجال أمن الشركة عملية دخولهم ضمن دور فردي لرؤية الشخص داخل الكفن.

وكلما رأى شخص ما يوجد بداخل الكفن أصبح، وبشكل مفاجئ غير قادر على الكلام، وكأن شيئًا ما قد لامس أعماق روحه.

لقد كان هناك في أسفل الكفن مرآة تعكس صورة كل من ينظر إلى داخل الكفن، وبجانبها لافتة صغيرة تقول: «هناك شخص واحد في هذا العالم يمكن أن يضع حدًا لطموحاتك ونموك في هذا العالم، وهو أنت».



الحكمة

حياتك لا تتغير عندما يتغير مديرك، أو يتغير أصدقاؤك، أو زوجتك، أو شركتك، أو مكان عملك، أو حالتك المادية.

حياتك تتغير عندما تتغير أنت، وتقف عند حدود وضعتها أنت لنفسك! راقب شخصيتك، وقدراتك، ولا تخف من الصعوبات والخسائر والأشياء التي تراها مستحيلة!

كن رابحًا دائمًا! وضع حدودك على هذا الأساس، وعلى هذا الأساس تصنع الفرق في حياتك.

حكمة القاضي

هذه قصة مشهورة وقعت في إحدى مدن المملكة العربية السعودية: القصة مفادها بأنه كان هناك طالب جامعي يدرس في قسم القضاء في إحدى الجامعات السعودية، رجع ذات يوم إلى بيته، فإذا بزوجته تخونه على فراشه مع شخص آخر، فلما رأياه أصابهما الخوف، وكأنما نزلت عليهما صاعقة من السماء، فقال للرجل: البس ثيابك، فقال له الرجل: أقسم بالله العظيم إنها من أغرتني، فقال: البس ثيابك، وستر الله عليك، وأخرجه من منزله، وهو يحترق غيظًا وقهرًا، ولكن أراد ما عند الله.

فلما خرج الرجل ابتسم ابتسامة، ربما تعجب من نجاته أو سخرية من ذلك الإنسان الملتزم، فما كان من ذلك الطالب الجامعي إلا أن قال: حسبي الله ونعم الوكيل بكل حزن وقهر مما ألمّ به! وهذا موقف يتمنى الواحد أن يموت، ولا يعيش مثل هذا الموقف، ورجع إلى زوجته، وقال لها: اجمعي ملابسك وأشياءك وأنا أنتظرك خارج الغرفة؛ لكي تذهبي إلى أهلك، فأخذت تبكي، وتفسر ما أصابها بأنه من نزوات الشيطان، وتختلق كثيرًا من الأمور، المهم التزم الزوج الصمت إلى أن انتهت من كلامها، وطلقها ثلاث طلقات، وقال لها: ستر الله عليك، وحسبي الله ونعم الوكيل!



انتظرها خارج الغرفة، وسافر بها نحو ثلاث مئة كيلومتر إلى أن أوصلها بيت أهلها، وعندما أوصلها إلى هناك، قال لها: ستر الله عليك، واتقي الله الذي يراك، وسوف يرزقك من أوسع أبوابه، فقالت له: فعلاً أنا لا أستحقك، وأخذت تلطم في نفسها، وأعاد الكلام السابق عليها، ثم ذهب إلى المدينة، ويقول لي ذلك القاضي: مرت عليَّ السنون، حتى تخرجت في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ولم أفكر قط في حضور أي مناسبة من مناسباتنا في جازان، وبرغم تلك السنين لم تغب عن عيني لحظة واحدة تلك الضحكة الساخرة من ذلك الرجل.

تزوج من امرأة ثانية وأنجب منها، وعُيِّن قاضيًا في المحكمة، ويذكر مدى تفاني زوجته الثانية، وما فعلته من أجله، ويقول: عوضني الله بزوجة لم أحلم يومًا من الأيام بها، فكانت عظيمة بكل ما تعنيه الكلمة، وطُلب منه أن يدرّس في الجامعة؛ لأنه حاصل على مرتبة الشرف الثانية، ولكنه رفض، واكتفى بالقضاء، ومن ثم أكمل دراسته حتى حصل على الدكتوراه في القضاء الإسلامي، ووصل إلى المحكمة الكبرى في جدة، يقول: طلبت من الله في كل صلاة أن أنسى ذلك الموقف، ولكن دائمًا يمرّ بي كلما رأيت شخصًا يضحك، فأستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

يقول: وفي ذات يوم أتت لي أوراق القضايا كالعادة وأدخلت علي، وكان الدور على قضية قتل للبت فيها، وهنا كان دوائي



علتي، وثمرة قولي لكلمة: حسـبي اللّه ونعم الوكيل، إذ كان هو الرجل نفسه الذي وجدته في بيتي، فقد قتل شخصًا آخر، وجاء مكبلاً بالحديد، وحالتـه يرثى لها، فلما دخل علي بدأ حديثه، فقال: يا شيخ، أنا دخيل اللّه، ثم دخيلك، فقال القاضي: ماذا أتى بك إلى هنا؟ وما هي مشـكلتك؟ فقال الرجل: لقد وجدت رجلاً في فراشـي مع زوجتي، وقتلته، فقال له القاضـي: ولماذا لم تقتل زوجتك؛ كي تكون الشجيع ابن الشجيع؟ فقال الرجل: لقد قتلت الرجل، ولم أشـعر بنفسـي، فقال القاضـي: لماذا لم تتركه؟ وتقول له: ستر اللّه عليك، فقال الرجل: هل ترضاها يا شـيخ، على نفسك؟ فقال القاضـي: نعم، أرضاها على نفسي، ولا أقول إلا: حسبي اللّه ونعم الوكيل.

فمـا كان من الرجـل إلا أن فتح فمه، وقال: لقد سـمعت هذا الكلام من قبل، فقال القاضـي: نعم، سـمعته مني عندما غدرت بزوجتي، واسـتغللت ذهابي للتحرش بها، حتى أوقعت تلـك المسـكينة في الزنا، هل تذكر ضـحكتك علـي، وأنا أقول: سـتر اللّه عليك، حتـى تركتني أتحسـب عليـك والقهر يقطع جوفي، نعم، ترك اللّه لك المهلة، ولكنك تماديت في عصـيانك وسـفورك، حتى أراد اللّه أن يقتص منك لعباده، أقسـم باللّه العظيـم إنني أعلم أنـه طوال حياتك لن تنسـى ذلك الموقف، ومن ثم سكت القاضي قليلاً، وقال: ماذا تظن أنني أستطيع أن



أفعل؟ ليس بيدي شيء إذا لم يتنازل عنك أهل القتيل، والآن سأصدر فيك حكم شرع الله عز وجل فقال الرجل: أعلم ذلك، ولكن لا أريد منك إلا شيئًا واحدًا، فقال القاضي: وماذا تريد؟ قال الرجل: أريدك أن تسامحني، وتدعو لي بالرحمة، نعم، أطعت شيطاني، وهذا أقل من جزائي، ويعلم الله أن ما قالته لك زوجتك صحيح، فأنا من تحرشت بها بوسائل عدة، وكلما تفشل وسيلة آتي بوسيلة شيطانية أخرى، وهذه الحقيقة، ويا ليتك قتلتني في ذلك الوقت! ولم أرَ ما رأيته، فما كان من القاضي إلا أن قال: سامحك الله دنيا وآخرة.

ولم ينتهِ القاضي عند هذا الحد، فهو يقول: ما عشته لحظة الصدمة الأولى لم يكن بالشيء الهين لولا ذكري لله عز وجل، وقد سعى بعض أهل الخير الذين يريدون إقناع أهل المتوفى بالتنازل، ولكن حكمة الله فوق كل شيء، فأراد الله عز وجل أن يقتص من ذلك الرجل بقلم ذلك القاضي الذي كان يحمله؛ لكي يتعلم به علوم الشريعة الإسلامية سبحان الله الحكيم العليم!

الحكمة

كما تدين تدان وبالكيل الذي كلت به تكتال[1].

(١) مكتوب في الإنجيل... عن فضالة بن عبيد. ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/١٦٦ رقم ١٩٩٦) بينما أخرج الجزء الأول البخاري تعليقًا في كتاب التفسير سورة الفاتحة، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (ص ٨٤٥).

الثلاجة

ثلاجة كبيرة عبارة عن غرفة كبيرة عملاقة، تملكها شركة لبيع المواد الغذائية، وذات يوم دخل أحد العمال في الثلاجة؛ كي يجرد محتوياتها، وفجأة وبالخطأ أُغلق على هذا العامل الباب، فطرق الباب مرات عدة، فلم يسمعه أحد، ومن ثم لم يفتح له أحد، إذ كان الوقت نهاية الدوام، وآخر يوم في الأسبوع، ويليه يومان عطلة نهاية الأسبوع، فعرف الرجل أنه لا بد هالك، فجلس ينتظر مصيره.

وبعد يومين، وفي بداية الأسبوع فتح الموظفون الباب، فوجدوا الرجل ميتًا، ووجدوا بجانبه ورقة كتب فيها مشاعره لحظات وفاته، وكان قد كتب: أنا الآن محتبس داخل هذه الثلاجة، أحس بأطرافي تتجمد، وأشعر بتنميل في أطرافي، وأشعر بأنني لا أستطيع أن أتحرك، وأحس بأنني أموت من البرد، وبدت الكتابة، وكأنها تضعف شيئًا فشيئًا، حتى صار الخط ضعيفًا، إلى أن تلاشى.

ولكن العجيب! أن الثلاجة كانت منفصلة عن الكهرباء، ترى من الذي قتل الرجل؟! إنه الوهم الذي عاشه، إذ اعتقد، وهو في الثلاجة أن الجو بارد جدًّا، إلى درجات تحت الصفر، وأنه سوف يموت، فكان اعتقاده الخاطئ سببًا في موته موتًا حقيقيًّا.



الحكمة

الأفكار السلبية والاعتقادات الخاطئة قد تدمر حياتنا.

كثير من الناس أحجم عن عمل ما؛ لأنه يعتقد أنه ضعيف، غير قادر عليه، أو غير واثق من نفسه، وقد يكون في الحقيقة عكس ذلك تمامًا، حقًّا إنها القناعات، لكن تبًا للمستحيل!



الكتابة

قصــة حقيقية لامرأة في السبعين، لم تكن تجيد القراءة أو الكتابــة، تمنت ذات يوم أن تكتب بيدها لفظ الجلالة؛ حتى لا تموت، وهي لا تعرف كتابته، فتعلمت الكتابة والقراءة.

ثم بعـد ذلك قــررت أن تحفظ كتاب الله، واسـتطاعت خــلال عامين ذات السـبعين عامًــا أن تحفظ كتــاب الله عزوجل كامــلاً، ولم يمنعها كبرها، ولا ضـعفها؛ لأنها ملكـت الإرادة، وكان لها هدف واضح، في حين يتعذر كثيرون، وهم في عنفوان الشباب بقولهم: ذاكرتي ضعيفة، حفظي بطيء!

الحكمة

أَلَا بِـالْجِـدِّ تُـكْـتَـسَـبُ الـمَـعَـالِي

وَمَـنْ طَلَـبَ الْعُلَا سَهِـرَ اللَّيَالِي[1]

(١) جاء البيت هكذا في فيض القدير (٤/٥٠٥):

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا ســهر الليالي

وجاء بعده:

تروم العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي



رأس الديك

يحكى أن رجلاً أعمى البصر، رأى لحظة من عمره، فأبصر رأس ديكٍ، فأصبح هذا المنظر مقياسه وميزانه للأشياء، فكان يقول لكل شيء يسأل عنه: أين هو من رأس الديك؟!

ولعل هـذه الحكاية تدلف بنـا إلى حال أولئـك الأعراب الذيـن تفجرت عليهم الأرض بترولاً، وفتحت عليهم الدنيا من كل جانـبٍ، وتغيريت مظاهر حياتهم ومبانيهم، ثم ضـربوا في مشارق الأرض ومغاربها، يبحثون عن التنمية والتقدم.

الحكمة

إذا أعطى الوهاب، فلا تسأل عن الأسباب.



شاهد ذكي

شاهد ذكي يضع قاضي المحكمة في مأزق، حدث ذلك في مرسيليا في عهد كانت تسيطر عليها عصابات عدة، استطاعت أن تمتلك كل شيء، وذلك في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث قام أحد زعماء هذه العصابات بقتل أحد خصومه، فألقي القبض عليه، وعندما جاء شاهد الإدانة الوحيد ليقف أمام القاضي الذي حصل في المساء فقط على رشوة ضخمة؛ لتبرئة زعيم العصابة، سأل القاضي الشاهد في صرامة: ماذا حدث بالضبط؟

أجابه الشاهد في هدوء وثقة: كنت أجلس في مخزن المتجر في الساعة الثانية، بعد منتصف الليل، والسيد (فيران) صاحب المتجر في الخارج، ثم سمعت طلقًا ناريًّا وعندما هرعت من المخزن إلى المتجر، وجدت السيد (فيران) جثة هامدة والدماء تنزف من ثقب بين عينيه الجامدتين الجاحظتين، والسيد (ديبوا) يقف أمامه ومسدسه في قبضته والدخان يتصاعد من فوهته، ولم يكن هناك سواه.

سأله القاضي في صرامة مخيفة: هل رأيته، وهو يطلق النار على رئيسك؟ أجابه الشاهد في بساطة: كلا، ولكن مظهره يؤكد أنه هو الفاعل، فلم يكد يراني حتى رمقني بنظرة قاسية، ودسَّ المسدس في جيبه، وغادر المكان في هدوء، وهو يتصور



أني لن أجرؤ على إدانته، والشهادة ضده. عاد القاضي يسأله في صرامة: هل رأيته يطلق النار؟ أجابه الشاهد في حيرة: بل، سمعت صوت الطلق الناري، وقاطعه القاضي المرتشي في حزم: هذا لا يعد دليلاً كافيًا. ثم ضرب مائدته بمطرقته الخشبية، مستطردًا في صرامة: فلينصرف الشاهد.

احتقن وجه الشاهد في غضب، ونهض من مقعد الشهادة، وأدار ظهره للقاضي، وهتف بصوت مرتفع: يا لك من قاضٍ غبي وأحمق وتشبه الخنازير في عقلك ومظهرك! صاح القاضي في مزيج من الغضب والذهول والاستنكار: كيف تجرؤ على إهانة هيئة المحكمة أيها الرجل؟ إنني أحكم عليك بـ... استدار إليه الشاهد وقاطعه بغتة: هل رأيتني أشتمك يا سيدي؟!

صاح القاضي في غضب: لقد سمعتك وسمعك الجميع، وقاطعه الشاهد، مبتسمًا في خبث: هذا ليس دليلاً كافيًا يا سيدي، احتقن وجه القاضي، وضجت القاعة بالضحك، وأدرك الجميع مغزى المفارقة، ووجد القاضي نفسه في مأزق يهدد سمعته ومستقبله، فلم يجد سوى أن يستسلم لرغبة الرأي العام، ويحكم على زعيم العصابة بالإعدام، وكان أول حكم إعدام على أحد زعماء مافيا مرسيليا.

الحكمة

العدل أساس الملك، وآفة الرأي الهوى[1].

---

(١) الجملة الثانية جاءت صدر بيت، ذكره في شذرات الذهب (٣٣٦/٨) وعجزه هكذا: **وآفة العجز الكسل.**

الرجل الإيطالي

أراد الله أن أتقابل معه في إحدى المناطق السياحية في جدة، عندما كانت زوجته تحاضر في قاعة مغلقة للنساء، وأراد أن يكلمني، ويحكي لي قصته، فقد كان حريصًا على إبلاغي بها، وباختصار شديد، قال لي: أريد أن أخبرك قصتي، وكان يتكلم العربية المكسرة، مع الإنجليزية المختلطة بالإيطالية.

وبما أنني أفهم الإنجليزية وأتحدثها بطلاقة مع بعض الإيطالية -بفضل الله- لم أواجه أي مشكلة في استيعاب ما يقول.

عندما بدأ قصته شعرت بقشعريرة سرت في جسدي، حيث قال: لي قصة أعتقد أنني سأكون مخطئًا إن لم أبلغها للناس، وقد وصاني بإبلاغها، فاستمعوا لما يقول.

يقول: كنت شابًّا أجوب شوارع ميلانو (بلدة إيطالية صناعية شهيرة) ألبس الحلق في أذني اليسرى، وأفعل المحرمات بأشكالها وألوانها وأشرب الخمر، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي بدل حياتي رأسًا على عقب.

يتابع حديثه قائلاً: عملت في مصنع للملابس، وكان اسمي مركبًا بالإيطالية، يظن السامع به أنني من أصل بوسني، وفي ذات مرة ناداني رئيسي في العمل، وهو مخمور كعادته، إلا



أنه في هذه المرة أخذ يسب المسلمين ويشتمهم، وينظر إلي، يعتقد أنني مسلم، وهو لا يدرك بسبب سكرته أنني مثله لا صلة لي بالبوسنيين، ولا بالإسلام، ولكن كنت أسمع وأقرأ عنهم للثقافة العامة فقط، ثم قال لي: (أنتم يا أيها المسلمون، كنتم في يوم من الأيام أسياد هذا العالم، أما اليوم، فأنتم عبيد لنا، وتعملون عند أقدامنا).

لا أدري ما الذي حصل لي، وأنا أستمع إلى ذلك الحاقد علي، وهو ثمل نجس يفرغ شحناته المريضة، لقد شعرت، وكأن الدم يفور في عروقي، فقد كان طبعي عصبيًّا ولم أدرِ بماذا أجيب وقتها!

لقد فاجأني، فأحببت أن أستفزه بقولي، ولم أدرِ إلا ولسان حالي يقول له، لا شعوريًّا: هل تعرف محمدًا؟ قال: ماذا تريد؟ تكلم بسرعة، قلت: عندما كان المسلمون متمسكين بكتاب الله، ويطبقون أحكامه كانوا يسودون العالم، ولكن بعد أن تركوه، ولم يطبقوا ما فيه من تعاليم ساد الفساد والانحراف العالم، والآن أنا سأخرج من مكتبك تعرف لماذا؟ نظر إلي مندهشًا غاضبًا، وهو يقول: لماذا؟

قلت: سأذهب لأشتري قرآنًا مترجمًا باللغة الإيطالية؛ حتى أقرأه وأطبق ما فيه، وأرجع إليك، فأدوسك تحت قدمي.



خرجت من مكتبه، و قد ألجمت المفاجأة لسانه، وطبعًا طردني من العمل، فذهبت إلى غرفة سكني المشتركة مع زملاء لي، ودخلت الحمام فغسلت وجهي، وأنا أبكي بكاءً حارقًا مؤلمًا، فقد كنت أعاني قلة المال وقلة الحيلة وفقرًا شديدًا، وخرجت من الحمام، ثم سجدت منهارًا على الأرض، وأنا أبكي، حتى ظن من معي في الغرفة أنني قد أصبت بالجنون، ولم أكن أعلم حينها أن تلك كانت بداية هدايتي في رحلتي المثيرة مع الإسلام.

يتابع قوله: بعد أن سجدت باكيًا سرت في جسدي قشعريرة وراحة لم أشعر بها في حياتي، وخرجت من ذلك البيت متوجهًا إلى المركز الثقافي الإسلامي في مدينة ميلانو، حيث استقبلت بحفاوة وحب وأشهرت إسلامي فورًا؛ لعلي أجد حلاً لمشكلتي، وفقري، ثم خرجت أنا ورجلان من المركز الإسلامي، وتوجهنا إلى إحدى الحدائق العامة نتبادل أطراف الحديث عن الإسلام.

كان الجو غائمًا باردًا شديد البرودة، وبينما نحن في الحديقة نمشي، إذ دخل وقت صلاة الظهر، فذهبنا إلى أحد ينابيع المياه داخل تجويف في إحدى الأشجار، وقام أحدهم بتعليمي الوضوء، وكان الماء باردًا جداً إلا أنني كنت مستمتعًا بالبرودة، وكان تحت الشجرة ذاتها اثنان من العشاق مسترخيان تحت ذات الشجرة، ولما رأيا طريقة اغتسالي بالماء،



وغسـل قدمـي في ذلك الجو البـارد توقفا عما كانـا يفعلانه، وأذكر علامات الذهول على وجهيهما.

ثم سألني الرجل بتطفل خجول: ماذا تفعل؟ إن الجو بارد، فقلت: هكذا يجب أن نتطهر؛ لنتعبد ونقابل خالق الكون، ونصلي له، ثم أذَّن صـاحبي المرافق لي أذان الظهر، وأقمنا الصلاة في داخل الحديقة وسـط ذهول الموجودين، ووالله ما إن انتهينا من الصـلاة، حتى كان عددنا عشـرين رجلاً، حيث تصادف وجود مجموعة من المسلمين العرب في الحديقة نفسها.

ولكن المفاجأة! أنه ما إن انتهينا من الصـلاة، حتى وقف ضابط إيطالي يبدو أن عمره في الخمسينيات كان واقفًا يراقبنا بكامل زيه العسـكري، ثم تقدم واقترب من الإمام الذي صلى بنا بعد انتهائنا من الصـلاة، وكنت أسـتمع جالسًا للمحادثة، فسـأل الضابط بتعجب: ماذا تفعلون؟ فأجاب صديقي الإمام: نصـلي لله تعالى، قال الضـابط: وما هذا الدين؟ قال الإمام: الإسلام، قال بتعجب بالغ: (الإسلام! ولكن الإسلام دين سفك دمـاء وإرهاب وقتل، رد الإمام بـكل هدوء وثبات: ليس كذلك، بـل الإسـلام ديـن محبة ودين سـلام، ثـم اسـتأذناه قائمين لننصـرف، فقال الضـابط بصـوت كأنه ينادينـا فيه: وكيف يمكن لشـخص أن يكون مسـلمًا؟ قال الإمام: ببسـاطة يذهب إلى المركـز الإسـلامي يعلن إسـلامه، قال الضـابط: أريد أن

أدخل في هذا الدين، قال الإمام: لماذا؟ ظنه يستهزئ، فأحب أن يختبره.

فقال الضابط: (نحن نعلم الطلاب الملتحقين بالجيش ست سنوات كيف ينضبطون في صف واحد، ويتحركون سويًّا بإتقان وأنتم خلال خمس ثوانٍ اصطف عشرون رجلاً، لا تعرفون بعضكم واتبعتم إمامكم بكل دقة وانضباط أشهد أن الذي علمكم هذا ليس بشرًا، بل لا بد أن يكون رب هذا الكون المستحق للعبادة. اقشعر جسدي، وأنا أستمع من الرجل الإيطالي قصته، فقلت له: أكمل، فقال: ذلك الضابط الآن اسمه «عبدالرحمن» أسلم وحسن إسلامه، وإذا أردت أن أخبرك عن مكانه الآن، أقول لك: هو في مترو الأنفاق، لقد تقاعد من الجيش، وتسلم مستحقاته، ومن بينها بطاقة مجانية للمواصلات يدخل المترو المكتظ بالناس من الصباح إلى المساء، وقد أعفى لحيته البيضاء واستدار وجهه كأنه البدر، ثم يقول للجالسين في القطار باللغة العربية التي حفظ منها كلمته المعتادة، قائلاً: «أشهد أن الله حق، وأن محمدًا ﷺ حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن يوم القيامة حق»، ثم يسرد المواعظ باللغة الإيطالية، فيخرج معه عند الوصول إلى محطة النزول من عشرة إلى خمسة عشر شخصًا يشهرون إسلامهم فيما بعد، وهذا حاله يوميًّا منذ أن أعلن إسلامه.

يتابع الإيطالي، ساردًا لي القصص العجيبة التي رآها وسمعها بنفسه، فيقول: وفي أحد الأيام، وبينما أنا في المركز الإسلامي في إيطاليا، إذ تقابلت مع رجل إيطالي أعطاه اللّه من جمال الشكل والوسامة الشيء الكثير ملتحٍ، يتلألأ وجهه نورًا اسمه أحمد فسألته عن أحواله، و من أي المدن هو؟ فأخذ يسرد لي قصته، ويقول عن نفسه: كنت أعيش في مدينة ميلانو، عمري لم يتجاوز الثالثة والعشرين، أعيش في الظلام، ورثت عن والدي المتوفى مبالغ كبيرة جدًّا وقصورًا ومصانع وسيارات فارهة، حتى كنا نعد من العائلات ذات الثراء الفاحش في إيطاليا، ولم يكن يعيش في القصر معي سوى أمي وأختي.

كنت لا أترك يومًا من عمري دون عشيقة وخمر ومخدرات منذ اللحظة التي أستيقظ فيها حتى أنام، فأدمنت المخدرات بكل أصنافها وأنواعها، وكنت إذا رجعت القصر على هذه الحالة، وأجد أمي أمامي أضربها ضربًا شديدًا، وأدخل إلى غرفتي، وأنام، وكان هذا حالي معها كل يوم تقريبًا، حتى إنها أصبحت تختبئ مني، حتى أفيق.

وكنت إذا خرجت من باب قصري بسيارتي الفارهة أجد عند الباب أكثر من إحدى عشرة فتاة من أجمل الجميلات، ينتظرنني؛ ليركبن معي، وأتسلى بمن يقع عليها الاختيار في ذلك اليوم، ثم أبدّل بها أخرى في اليوم المقبل.

ومع ذلك لم أشعر بالسعادة يومًا، حتى إنني كنت أشعر بضيق شديد يعتصر صدري، فكنت عابس الوجه، غليظًا شديد العصبية، خرجت في أحد الأيام إلى أحد المقاهي في الظهيرة، ولم أرغب في اصطحاب أي من الفتيات معي، واشتريت جريدة، وطلبت كوبًا من القهوة، وجلست أقرأ في المقهى على طريق المشاة.

فإذا أنا برجل يقف بهدوء خلف كتفي، وأنا لا ألتفت إليه، يسألني مئة ليرة إيطالية؟ ويقول: أريدها دينًا، أرجعه لك بعد شهر (والمئة ليرة إيطالية لا تساوي شيئًا يذكر، تقريبًا عشرة ريالات سعودي أو أقل).

يقول: فأخرجتها من جيبي، ورفعت يدي إلى الخلف دون النظر إليه وطلبت منه الانصراف؛ لأنني لا أحب المتسولين، فلم أكن أطيق النظر إليهم.

واستمررت على حالي هذا، وبعد شهر تقريبًا كنت في ذات المقهى أحتسي قهوتي كعادتي، وإذا بذلك الرجل يعود إليّ ويضع يده على كتفي مرة أخرى، فالتفت إليه، وكان كبيرًا ذا لحية بيضاء، وجرى بيني وبينه الحوار الآتي:

أحمد: ماذا تريد؟

الرجل: قد استلفت منك مبلغًا من المال، مئة ليرة قبل شهر ألا تذكر؟! وهذا هو المبلغ أرجعه إليك في الموعد (وأخرج لي مئة ليرة).



أحمد (بغضب شديد): هل أنت مجنون أيها الغبي، أنت تعلم أن من يأخذ هذا المبلغ الزهيد لا يرجعه، ولو كان دينًا.

الرجل (بكل هدوء وثبات): ولكن ديني أمرني إذا أخذت أو استلفت شيئًا أن أرجعه مهما كان صغيرًا.

أحمد غاضبًا: وما دينك هذا؟

الرجل: الإسلام.

أحمد: الإسلام! ولكن الإسلام دين قتل وإراقة دماء وإرهاب وتخلف.

الرجل: بل الإسلام منهج حياة وسعادة لمن أحسن تطبيقه بطريقة صحيحة.

أحمد: سمعت كلمة سعادة من ذلك الرجل الذي شابت لحيته ورقّ ثوبه، وعلى وجهه ابتسامة تمنيتها ملكي، وقلت في نفسي: لا بأس سأدفع مالي كله من أجل لحظة أشعر فيها بما يشعر به هذا المسكين من سعادة، ورضا، ورأيت في يده ورقة مطوية، فسألته: ما هذا الذي في يدك؟

الرجل: بعض الكلمات عن الإسلام، فأخذتها من يده، وقلت: هل تسمح لي بقراءتها، قال الرجل: بل هي لك، ثم ذهب، ولم يلتفت إلي، فناديته، ثم قلت له: هل تسكن قريبًا من هنا؟

قال: نعم، قلت: هذه المطوية صغيرة جدًّا أريد أكثر؛ لأقرأ.

قال الرجل: سأحضـر لك كل يوم في هـذا المكان مطوية جديدة عن الإسـلام وأنت تشرب قهوتك، وأخذ أحمد يحرص على ارتياد ذلك المقهى؛ ليقرأ المطوية.

كان ذلك الرجل حريصًا على الحضور للمقهى بالمطوية، وفي الوقت المحدد.

بعـد أن قرأت عشـر مطويات تقريبًا شـرح الله صـدري للإسلام وأتيت للمركز الإسـلامي، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسـول الله، وغيرت اسمي إلى أحمد وبدأت أتعلم الدين الإسـلامي، وتطبيق منهجه. بـدأت أمي تلاحظ التغير الذي حصـل لي، إذ أصـبحت عندما أدخل القصر أذهب إلى غرفتي مباشـرة، دون أن أضـربها، بل على العكس أصـبحت أقبلها إذا رأيتها، فاستوقفتني مرة، وهي خائفة حذرة، وقالت لي: مـا الذي جـرى لك يا بنـي؟ وذلك حـين رأت آثار لحيتي بدأت تظهر على وجهي.

فقلـت: ما بك يا أمـي، لماذا أنت خائفـة؟ قالت: كنت يا بنـي، إذا دخلت إلى البيت تضـربني، والآن أنـت تقبلني على يدي ورأسي، ولك أيام على ذلك، فهل حصل لك شيء؟

قال أحمد: نعم، لقد دخلت في دين الإسلام.



قالت: وهل أمرك هذا الدين بتقبيلي؟

قال أحمد: نعم، وأمرني بالإحسان إليك.

قالت أمي مباشرة: أريد أن أدخل في هذا الدين.

وأسلمت أمي واستبدلت بالصليب المعلق على حائط غرفتي لفظ الجلالة، واشتريت مصحفًا مترجمًا باللغة الإيطالية، ووضعته في غرفتي، وفي أحد الأيام، وبينما أنا أهمّ بالدخول إلى غرفتي إذا بي أفاجأ بأختي قد دخلت، وجلست، وبين يديها المصحف المترجم تقرؤه في ذهول عجيب، وتركتها، ولم أشعرها برؤيتي لها، حتى أسلمت بنفسها دون أن أتكلم بكلمة.

ومن العجائب التي حدثت لي أنه بمجرد أن أعلنت إسلامي، واغتسلت، وبدأت تطبيق شعائر الإسلام ذهب عني إدماني للمخدرات فورًا من دون مستوصفات أو مستشفيات أو عيادات نفسية، فعلمت أن الإسلام يغسل ما قبله، ويمسح كل ما فات، فزاد يقيني وتمسكي بالله.

ثم يقول أحمد غاضبًا، وبنبرة صوت جادة: لقد أضعت من عمري سنين في الملذات والشهوات والكفر بالله، وأعداء الدين ينصبون المكائد بأهل الإسلام ويحاربون دين الله، ويثيرون الفتن، ويفترون على الله الكذب، وإني أشهد الله

الذي لا إله إلا هو، وبما علمت من الحق لأسـلطنّ أموالي كلها، ومـا بقي لي من حياة لنشـر هـذا الدين في إيطاليـا، ولو كره الكافرون، وكان هذا آخر كلامه معي، قبل أن نفترق، فسبحان من أبدل قلبه في لحظة صدق!

تابع الرجل الإيطالي حديثه لي، بعد أن سرد لي القصص السـابقة، ثم أخذ يكمل قصـة حياته بعد هدايته، حيث تزوج من فتاة إيطالية من أصل بوسني، ولم يكن صعبًا عليه إقناعها بالالتزام، فقد كانت مهيأة، وتعرف بعض اللغة العربية، ودأب هـو وهي على خدمـة الدين، حيث قاما بإنشـاء مركز جديد؛ لتعليم الإسـلام للصـغار في إيطاليا، عبر ما يسمى دور رعاية الأطفـال المسـلمين، وكان الإقبـال عليهـم عظيمًـا، حتى من الجاليات غير المسلمة، ثـم أنجبا ثلاثة أبنـاء وابنتين، كلهم حفظة لكتاب الله تعالى.

ثم قطع حديثه، وقال: أتريد أن أسمعك بعض ما يحفظون، فقلت: تفضـل، ونادى أبناءه، ثـم أوقفهم لي، كأنهم في طابور الصـباح يتلون القرآن واحدًا بعد الآخـر، وهم يجيدون تقليد الشيخ الحذيفي والشيخ باصفر، وكان أصغرهم يبلغ من العمر ست سنوات يتلو القرآن صحيحًا مجودًا، حتى إنني تعجبت من ذلـك، ولكن لا عجب من نـور الله إذا فاض في قلوب من كتبت لهم الهداية.



الحكمة

يَالَيْتَنِي مَا زِلْتُ فِي الطُّفُولَةِ

بِنَفْسِي الطَّاهِرَةِ المقبُولة

لاَ أَعْرِفُ الحِقْدَ وَلَمْ أَدْرِ الحَسَد

وَلم أُنَافِسْ فِي الدَّنيَّاتِ أَحَد

يُحِبُّ كلَّ المسْلِمِينَ قَلبِي

وَلَيسَ فِي قَلْبِي سِوَاكَ رَبِّي

مقابلة الشيخ

كان الشيخ أحمد بن حنبل مسافرًا، فمر بمسجد، فذهب ليصلي فيه، ولم يكن يعرف أحدًا في تلك المنطقة، وكان وقت النوم قد حان، فافترش الشيخ أحمد مكانه في المسجد، واستلقى فيه لينام، وبعد لحظات إذا بحارس المسجد يطلب من الشيخ عدم النوم في المسجد، ويطلب منه الخروج، فقد كان هذا الحارس لا يعرف الشيخ أحمد، فقال الشيخ أحمد: لا أعرف لي مكانًا أنام فيه، ولذلك أردت النوم هنا، فرفض الحارس أن ينام الشيخ، وبعد جدال شديد، وأخذ وردّ قام الحارس بجر الشيخ أحمد إلى الخارج جرًّا، والشيخ متعجب، حتى وصل إلى خارج المسجد.

وعند وصولهما للخارج إذا بأحد الأشخاص يمرّ بهما، والحارس يجر الشيخ، فسأل: ما بكما؟ فقال الشيخ أحمد: لا أجد مكانًا أنام فيه، والحارس يرفض أن أنام في المسجد، فقال الرجل: تعالَ معي إلى بيتي؛ لتنام هناك، فذهب الشيخ أحمد معه، وهناك فوجئ الشيخ بكثرة تسبيح هذا الرجل، وهو يعد العجين، إذ كان خبازًا، يعمل في المنزل، ويكثر من الاستغفار، فأحس الشيخ أن أمر هذا الرجل عظيم من كثرة تسبيحه.

فنام الشيخ، وفي الصباح سأل الشيخ الخباز سؤالاً، إذ قال له: هل رأيت أثر التسبيح عليك؟



فقال الخباز: نعم، ووالله إني كلما أدعو الله دعاءً يستجاب لي، إلا دعاءً واحدًا لم يستجب حتى الآن، فقال الشيخ: وما ذاك الدعاء؟ فقال الخباز: أن أرى الإمام أحمد بن حنبل.

فقال الشيخ: أنا الإمام أحمد بن حنبل، فوالله إنني كنت أجرّ إليك جرًّا، وها قد استجيبت دعواتك كلها.

الحكمة

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيْهِ
تَأَمَّلْ فِيكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ

سِهَامُ اللَّيلِ لاَ تُخطِي وَلكِنْ
لهَا أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضَاءُ

---

(١) هذان البيتان من بحر الوافر، وينسبان للشافعي رحمه الله، ذكرهما المناوي في فيض القدير (٣/٥٢٧).

المحتال

تمكن محتال سعودي في الجنادرية من أن يوقع إدارة مهرجان الجنادرية في حرج شديد بعد انتحاله شخصية ابن أحد أنجال الملك عبدالعزيز، وذلك حين طلب من مسؤولي المراسم والعلاقات في الجنادرية، كما هو متبع مرافقين أمنيين؛ لتمكينه من سهولة التجوال على الأجنحة المشاركة، وترتيب زيارته لها والتعريف بمحتوياتها.

ومضى المحتال في حيلته، ومعه مرافقوه الشخصيون إلى حد عدم قبوله الجلوس في منصة العروض الشعبية للفرق داخل أجنحة المناطق إذا لم يكن في الصف الأول، بل وصل به التمادي إلى التوقيع في سجل الزوار بصفته الكاذبة، ودعوة أحد السفراء الذين تصادف وجودهم في أحد الأجنحة إلى زيارته في قصره، قبل أن ينكشف أمره بالمصادفة البحتة، إذ تصادف أن اجتمع شقيق الأمير الحقيقي، والمحتال في أحد الأجنحة ليفاجأ الجميع بأن الأمر تم باحترافية عالية واستغلال تام للمواهب الشخصية، فسُجِن بعد ذلك هذا المحتال.

الحكمة

مهما احتال المحتال، فلا بد أن يقع في شر أعماله.



رجل محترم ومؤدب

في أحد الأيام التقيت شخصًا محترمًا ومؤدبًا، ووقعت في الحب، وعندما قررنا الزواج قررت أن أقدم أغلى التضحيات بالنسبة لي، وأتخلى عن أكل البقوليات، خاصة الفول. وبعد بضعة أشهر من الزواج، وفي يوم عيد ميلادي وكنت في طريقي للعودة إلى المنزل بعد انتهاء دوامي تعطلت سيارتي في الطريق. وحيث إننا نعيش في الريف اتصلت بزوجي، وأخبرته أنني سوف أتأخر قليلًا؛ إذ إنني مضطرة إلى أن أعود إلى البيت مشيًا على الأقدام.

وفي طريقي للعودة مررت بمحل صغير يبيع الفول، وكانت رائحة الفول أقوى من أن تكمل مسيرك دون أن تتوقف، فقلت لنفسي: إنني سوف آكل صحنًا صغيرًا، ومن السهل جدًّا التخلص من جميع آثار الفول في أثناء سيري إلى البيت، حيث إن الطريق طويل. فتوقفت عند المحل، واشتريت صحنًا من الفول، وأكلته، وأحسست بأنني ما زلت جائعة، فأكلت الصحن الثاني، ثم الثالث، وفي طريقي إلى المنزل حاولت جهدي أن أتخلص من جميع الغازات التي تملأ بطني بسبب أكلي للفول، وعند وصولي إلى البيت رأيت زوجي ينتظرني عند الباب فرحًا لرؤيتي، وهو يقول لي: حبيبتي، لقد عملت لك مفاجأة على

العشـاء الليلـة، وطلب مني أن أغطي عينـي بقطعة قماش، ثم أمسكني من يدي وأدخلني غرفة الطعام.

أجلسـني على الكرسـي، وفي اللحظة التـي أراد فيها أن يرفع العصابة من على عيني رن جرس الهاتف! فطلب مني أن أعده بألا أرفع العصـابة، حتى يكمل مكالمته، ويعود، وفي أثناء انشغاله بالمكالمة بدأ مفعول الفول يظهر مرة أخرى، وأصبحت لا أسـتطيع أن أتحمل أكثر من ذلك، فوجدتها فرصـة، ورفعت إحدى رجلي؛ لأطلق سراح واحدة.

لم يكـن لهذه الواحدة صـوت قوي، ولكـن كانت رائحتها قوية كرائحة الشاحنة المحملة بالسماد، فرفعت المنديل من على رجلي، وحركته يمينًا وشمالاً؛ لتحريك الهواء وإبعاد الرائحة، وأحسست مرة أخرى بأني في حاجة إلى إطلاق واحدة أخرى، وكنـت لا أزال أسـمع صـوت زوجي يتكلـم في الهاتف، فرفعت رجلي مـرة أخـرى، وأطلقـت الثانية، ثـم الثالثـة، فالرابعة، وأصبح المكان رائحته كريهة!! كرائحة الملفوف المطبوخ!

ولأن زوجـي مـا زال على الهاتف يتكلم، قلت في نفسـي: سـأتخلص مما تبقى من الغازات في بطني، وأخرجت الباقي، وأحسست بالراحة، ولكن أصبحت رائحة المكان لا تطاق، ومرة أخرى حركت المنديل؛ حتى تختفي الرائحة، وبعد بضـع دقائق



سمعت زوجي يودع الشخص الذي معه على الهاتف، ورجع إلى الغرفة، فرسمت على وجهي صورة البراءة، وكأنني لم أفعل أي شيء. ورفع زوجي العصابة من على عيني، ففوجئت بوجود اثني عشر شخصًا حول مائدة الطعام يصفقون لي، ويقولون : عيد ميلاد سعيد، من خجلي أغمي علي!

الحكمة

رُبّ أكلةٍ تمنعُ أكلاتٍ[1].

(١) ذكر هذا المثل أبو عبيد بن سلام في الأمثال (ص ٣٣٠) والثعالبي في التمثيل والمحاضرة (ص٢٣٥) وابن الجوزي في اللطائف (ص١٤٧).



فِهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة







